# جمهورية السودان

## وزارة التعليم العالي

## جامعة أم درمان الإسلامية

### معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قسم الدراسات النظرية


# اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور

**تأليف**

**نورالدين، علي بن أحمد بن علي القرافي**

(سنة ٩٧٢هـ كان حياً)

**دراسة وتحقيق**

**رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير**

**في الدراسات الإسلامية**

**٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ**


**إعداد**

**الطالب/ محمد الأمين محمد حمد**

**إشراف**

**فضيلة الأستاذ الدكتور/ أبشر عوض محمد إدريس**

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهـــداء

إلى والديَّ الكريمين

إلى كل من علمني حرفاً

أو أسدى لي نصحاً

أو قدم لي معروفاً

# شكر وتـقديـر

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] صدق الله العظيم

اعترافا بالفضل لأهله فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على ما من به علي من نعم كثيرة، وأسأله سبحانه أن يوزعني شكر نعمه وحسن الثناء عليه.

كما أشكر والدي الكريمين على جميل إحسانهما إلي، وأسأله سبحانه وتعالى أن يمتعهما بالصحة والعافية، والشكر لكل من علمني حرفاً أو أسدى لي نصحاً ومعروفاً.

كما أزجي وافر الثناء والشكر لأستاذي الجليل المشرف فضيلة الأستاذ الدكتور أبشر عوض محمد إدريس وأسأل الله أن يبلغه ما يريد وفوق ما يريد من خيري الدنيا والآخرة على ما بذله معي من جهد وما قدمه لي من توجيه يزين ذلك خلق حسن وتواضع كريم، ولطف ولين وقلب طيب.

والشكر موصول لجامعة أم درمان الإسلامية ممثلة في معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي على ما تقوم به من جهد عظيم في مجال العلم والبحث والتحقيق.

والشكر والتقدير لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على خدماته المتميزة في خدمة الباحثين والبحث العلمي.

ولا يفوتني أن أشكر أهل بيتي الكرام، وكل من أعان أو أعار أو أشار أو بذل نصحاً ليرى هذا العمل النور، فاسأل الله للجميع البركة والمغفرة وحسن الأجر والثواب.

وختاماً أسال الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح وأن يصلح نياتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.



[1] - ابراهيم /٧

# ملخص الرسالة

قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[٢].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: تناولت في هذا البحث دراسة وتحقيق كتاب: (اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور) تأليف: نورالدين، علي بن أحمد بن علي القرافي، وقسمته إلى مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

تناولت في **المقدمة** أساسيات البحث وهي: موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، ومشكلاته، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ورموز البحث.

أما **القسم الأول** فهو خاص بالدراسة النظرية المتعلقة بالكتاب وقسمته إلى أبواب وفصول تناولت فيها التعريف بالمؤلف، والحياة السياسية والعلمية خلال عصره، والكتب المتعلقة بالكتاب، إضافة لوصف نسخ المخطوط، وعرض نماذج منها.

و**القسم الثاني** خصصته لتحقيق الكتاب وقد تناوله مؤلفه في مقدمة وأربعة أبواب وفصول، اجتهدت فيه قدر الإمكان، لإخراج النص كما أراد له المصنف، ملتزماً خطوات التحقيق العلمية المتبعة، والتعليق في هامش الرسالة على ما يحتاج إلى تعليق.

وذيلت البحث **بخاتمة** استعرضت فيها ما تضمنه الكتاب من أمور مهمة يحتاج الناس إليها وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور كالعقل والعدل. مع بعض التوصيات التي رأيت أهميتها كضرورة الاهتمام بالتراث الإسلامي وخاصة المخطوطات. وحتى تعم الفائدة والاستفادة القصوى من البحث فقد ذيلته بمجموعة من **الفهارس** فوضعت فهرساً للآيات القرآنية، وفهرساً للأحاديث، وفهرساً للأعلام، وفهرساً للمصادر والمراجع.



[٢] ـ النساء / ٦٥

## المقدمة

لتحقيق الغرض المنشود من إجراء أي بحث لا بد من التطرق لأساسياته وهي: موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، ومشكلاته، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، ورموز البحث وسوف أتناولها في هذه المقدمة بشيء من الإيجاز:

### موضوع البحث:

يعتبر كتاب اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، لمؤلفه علي بن أحمد بن علي القرافي من الكتب المهمة لتناوله مواضيع الناس في أشد الحاجة إليها ومنها العقل الذي أكرم الله سبحانه وتعالى به الإنسان وفضله على كثير من خلقه، فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٣].

وبالعقل يوزن الإنسان أقواله وأفعاله فإن كان خيراً تكلم فغنم، وإن كان شراً سكت فسلم، امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم)[٤].

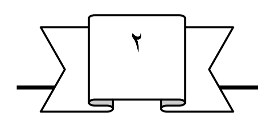
---

[١] ـ الرعد/٤ ، النحل /١٢ ، الروم ٢٤

[٢] ـ الرعد ١٩ ، الزمر /٩

[٣] ـ العنكبوت /٤٣

[٤] ـ أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان. أنظر: شعب الإيمان، المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق :محمد السعيد بسيوني زغلول (٢٤١/٤ ، رقم ٤٩٣٨). والديلمي في الفردوس. أنظر : الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، مكان النشر بيروت (٢٥٩/٢ ، رقم ٣٢٠٤). والقضاعي في مسند الشهاب. أنظر: مسند الشهاب، المؤلف : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي (٣٣٩/١ ، رقم ٥٨٢) . وابن أبي الدنيا في الصمت. أنظر: الصمت وآداب اللسان، لعبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق : أبو إسحاق الحويني (ص ٦٣ ، رقم ٤١) .




فالعقل نعمة عظيمة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان تستحق الشكر، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] ومن علامات شكر هذه النعمة، طاعة الله سبحانه وتعالى بإتباع أوامره واجتناب نواهيه، والاهتداء بسنة سيد المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما تناول الكتاب العدل، الذي هو ميزان الله في الأرض، إذ به ينتصف للمظلوم ممن ظلمه؛ ويؤخذ للضعيف من القوي، ويتميز الحق من الباطل قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[٢]. وبالعدل ينعم العباد ويزول الفساد وتكثر الخيرات، وينال طالبه أعلى الدرجات، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: (سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله)[٣] وذكر منهم الإمام العادل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة)[٤].

ولأهمية العدل أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء للأمة أدلة وهداة، وللدين عمداً وتثبيتا، فهم السرج المنيرة، وحملة الأمانة عن الله إلى خلقه، أنزل معهم الكتاب والميزان، حتى يقوم الناس بالقسط، ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان،

---

[١] - ابراهيم /٧

[٢] - الشورى /١٧

[٣] - أخرجه البخاري: أنظر (صحيح البخاري) الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا (٢٣٤/١ ، رقم ٦٢٩)، صحيح البخاري باب من جلس في المسجد ينتظر وفضل المساجد.
أخرجه مسلم: أنظر صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي (٧١٥/٢ ، رقم ١٠٣١) صحيح مسلم باب فضل إخفاء الصدقة (عن أبى سعيد وأبى هريرة معًا).

[٤] - يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاما أنظر: المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء، سنة النشر ١٤٠٤ – ١٩٨٣، مكان النشر الموصل (٣٣٧/١١ ، رقم ١١٩٣٢).
وفي مجمع الزوائد (٣٥٧/٥ رقم ٩٠٠٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه سعد أبو غيلان الشيبانى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات . أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر : دار الفكر، بيروت - سنة ١٤١٢هـ
والبيهقى في سننه. أنظر:: سنن البيهقي الكبرى، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (١٦٢/٨ ، رقم ١٦٤٢٦) . وأخرجه أيضًا : البيهقى في شعب الإيمان (١٩/٦ ، رقم ٧٣٧٩) .

إلى نور اليقظة والإيمان. وجعل الله سبحانه وتعالى العلماء ورثة الأنبياء، إذ هم أحبابه وصفوته من خلقه، ومشرق نور حكمته.

وبالعدل يستقيم نظام الملك، لأن الملك إذا بُني على قواعد العدل، ودعّم بدعائم الفضل، وحصّن بدوام الشكر، وحُرس بأعمال البر، نصر الله مواليه، وخذل معاديه، وعضّده وسلّمه من الغير، ومن جعل ملكه خادما لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادما لملكه طمع فيه كل إنسان. فيجب على السلطان، مراعاة العدل والإنصاف، توصلاً إلى نظام المملكة، وتوسلاً إلى قوام السلطنة، لسلامة الناس في أموالهم، وأبدانهم، وعمار بلدانهم، فالعدل رأس المملكة وأركانها، ودعامة لأحوال الأمة وبنيانها، وثبات للأشياء ودوامها، وبالجور والظلم خرابها وزوالها. كما يجب على الرعية كذلك مراعاة العدل في معاملاتها في كل زمان ومكان، فيما أوكل إليها من مسئوليات وأسند إليها من واجبات ومهمات فقد جاء في الحديث الشريف كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته [١] وأولى الرعية أن يبدأ الإنسان بنفسه التي تختزن خيره وشره، فمن طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله.

---

[١] - صحيح البخاري (٨٤٨/٢ ، رقم ٢٢٧٨) باب العبد راع في مال سيده. صحيح مسلم (١٤٥٩/٣، رقم ١٨٢٩) باب فضيلة الإمام العادل.

## أسباب اختيار الموضوع:

بعد اطلاعي على إحدى نسخ كتاب (اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور)، وقراءتها وجدته كتاباً قيّماً ومفيداً، يستحق الدراسة والتحقيق، لأسباب منها:

١- مكانة المؤلف العلمية، وعلو منزلته، وثناء العلماء عليه، إذ يمتاز بحسن الأدب، والأخلاق الرفيعة، باحترامه لعلمائه ومشايخه، واعترافه بفضلهم، فجمع بين هَدي العلم، وحسن الخُلق.

٢- الكتاب ذو منزلة علمية رفيعة، ومعلومات غزيرة ومفيدة، تناول أموراً الناس في أمس الحاجة إليها، كالعقل والعدل والاحتكام لشرع الله وحسن الخلق والاهتمام بالرعية، والبعد عن حكم الهوى في كل قضية.

٣- الكتاب واضح المعاني، سهل القراءة والفهم، تم سرده بأسلوب أدبي، ممتع ومشوق، فيه حلاوة السهل الممتنع.

٤- أوضح عظم المسؤولية، وما يجب على الملك تجاه مملكته، والراعي تجاه رعيته.

٥- أكد على أهمية حسن اختيار المسئول ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

## أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث من خلال أهمية المواضيع التي تناولها فقد تناول العقل والعدل، طاعة الرسل وأولي الأمر، شكر النعم، صفات ولي الأمر، البعد عن الهوى، حسن الخلق، الشورى، تفقد أحوال الرعية، الالتزام بقواعد الشرع الشريف، منع موالاة واستخدام أهل الذمة، عدم التحجب عن الرعايا، الاهتمام بالقناطر والمساقي والجسور، الاهتمام بعمران وتنمية البلاد، الاهتمام بمنصب الاحتساب، الاهتمام بالشرطة والخفر، التناصح بين الراعي والرعية، الاهتمام بما فيه سعادة الدنيا لأنها مزرعة الآخرة، الاهتمام بصفات الوزراء وشروط اختيار الوزير. تناوله لبعض الآيات البيّنات التي يحتاجها الناس وقت الشدة والأزمات.

**أهداف البحث:**

ويهدف البحث إلى تحقيق أهداف عدة منها:

١-إحياء التراث بإظهار هذا الكتاب لتعم فائدته، فهو كتاب جمع فأوعي، وأخذ من كل فن طرفة.

٢-إحياء ذكرى المؤلف أسوة بمشايخ الإسلام أهل المصنفات المفيدة، حيث لم أقف على كتاب من مؤلفاته المحققة، سوى كتاب لطائف المنن في قواعد السنن[١].

٣- تذكير ولاة الأمور بأهمية المواضيع التي تناولها الكتاب، والتي بإتباعها يمكن تحقيق بعض الأهداف كالأمن والاستقرار والرفاهية.

**مشكلات البحث:**

واجهتني بعض الصعوبات وتعتبر بسيطة إذا ما قورنت بصعوبات ومشاكل تحقيق المخطوطات ومنها:

١- صعوبة الحصول على بعض نسخ المخطوط.

٢- صعوبة قراءة بعض الكلمات الواردة في النسخ.

٣- الفروقات الكثيرة بين النسخ المختلفة.

٤- كثرة الأقوال المأثورة والأعلام والأشعار وصعوبة عزوها إلى مصادرها.

٥- صعوبة فهم بعض الكلمات الواردة في المخطوط مثل كلمة (فقج مخمت).

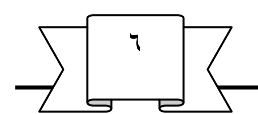
**منهج البحث التحليلي الوصفي والاستقرائي التاريخي:**

١- قسم المؤلف كتابه إلى أبواب والأبواب إلى فصول تناول فيها قضايا مهمة. وتوافقاً لمنهج المؤلف قمت بتقسيم الدراسة النظرية إلى أبواب وفصول.

٢- اتبعت في تحقيق الكتاب منهجاً تلفيقياً استفدت فيه من زيادات وتصويبات النسخ الأخرى، أضفتها إلى النسخة الأم ورمزها (أ) واجتهدت في إصلاح

---

[١] - لطائف المنن في قواعد السنن حققه: نايف بن قبلان العتيبي، ونشرته مكتبة دار الاستقامة، بمكة المكرمة سنة ١٤١٦هـ.




الأخطاء، وحاولت توثيق النصوص، وشرحت من ألفاظها ومعانيها ما وجدته ضرورياً.

٣- تحققت من نسبة الكتاب إلى مؤلفه، والتعريف بمصادره .

٤- تطرقت إلى فترة حياة المؤلف التي كُتب خلالها البحث والتي شهدت كثيراً من الاضطرابات والفتن والتحالفات بين مجموعة من الدول والممالك تفرقها الديانات وتجمعها المصالح والمؤامرات، وقد شهد القرافي نهاية دولة المماليك، التي وُصف فيها نهاية العهد الغوري بالفساد وظلم العباد. كما عاش القرافي بدايات الدولة العثمانية في عهدي السلطان سليم الأول والسلطان سليمان خان الأول، وامتدح الأخير.

**الدراسات السابقة:**

هنالك بعض الدراسات نجدها قد تناولت مواضيع مشابهة لما تناوله كتاب اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور منها:

١- كتاب سراج الملوك، لمحمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي.

٢- كتاب تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك، لإبراهيم بن علي الطرسوسي الحنفي.

٣- كتاب تاريخ الخلفاء، للسيوطي.

٤- كتب السياسة الشرعية.

٥- إضافة إلى الكتب التي أخذ منها المؤلف في تأليف كتابه.

**مصطلحات ورموز البحث :**

١- اعتمدت نسخاً أساسية في التحقيق وهي نسخة المجمع العلمي العراقي ورمزت لها بالرمز (أ) ونسخة جامعة الملك سعود ورمزت لها بالرمز (ب) ونسخة مكتبة باريس الوطنية ورمزت لها بالرمز (ج).

٢- استعنت بنسخ فرعية أخرى وهي نسخة دار المخطوطات بصنعاء ورمزت لها بالرمز (د) ونسخة مكتبة شستربتي بايرلندا ورمزت لها بالرمز (هـ) ونسخة المكتبة الوطنية بالجزائر ورمزت لها بالرمز (و).

٣- أوضحت معاني المصطلحات التي وردت في نسخ المخطوط، فمثلا كلمة (فح) المقصود بها (فحينئذ).

**عملي في الكتاب:**

يمكن تلخيص ما قمت به من عمل في الآتي:

١- جمع النسخ من أماكن تواجدها وصفّها وتصحيحها ومقارنتها مع بعضها البعض، واتبعت في ذلك خطوات التحقيق العلمية.

٢- اتبعت منهجاً تلفيقياً للاستفادة من زيادات وتصويبات النسخ الأخرى عند مقارنتها بالنسخة الأم وهي نسخة المجمع العلمي العراقي ورمزها (أ) واخترتها أماً لاكتمالها ووجود زيادات فيها، وهي النسخة الوحيدة التي ذُكر فيها اسم المؤلف.

٣- تبنيت ترتيب صفحاتها وبنيت عليها المنهج التلفيقي الذي سرت عليه، وقمت بمقارنتها بالنسخ الأخرى وتصحيحها بإضافة الجمل الساقطة، وتصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية والصرفية، والألفاظ الغريبة أو غير الواضحة.

٤- عزوت الآيات إلى أسماء سورها وأثبت أرقامها.

٥- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة، وبينت مراجعها من كتب السنة، والتي لم أتمكن من الوقوف عليها في كتب الحديث المعروف، أثبتُّ النص الأقرب للأحاديث الواردة في المتن.

٦- حاولت قدر المستطاع توثيق النصوص التي وردت في الكتاب وعزوها إلى مصادرها.

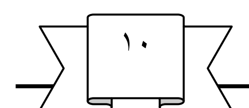
٧- شرحت من ألفاظ النص ومعانيه ما رأيته ضرورياً للفهم، وبينت الكلمات والمصطلحات الغريبة بالرجوع إلى عدة قواميس.

٨- ترجمت للأعلام الوارد ذكرها في المخطوط قدر المستطاع.

٩- أثبتُ النص المستخلص من النسخ وفق قواعد الإملاء، كما أثبتُ الفروق بين النسخ في هامش كل صفحة من صفحات النص.

١٠- حاولت قدر الإمكان التعريف بمصادر المؤلف. وترجمتُ له، ولشيوخه ولمصنفاته، وعصره ومكانته.

١١- وضعت ثبتاً لأهم المراجع التي استفدت منها في الدراسة والتحقيق، وما رأيته ضرورياً من الفهارس.




## الباب الأول

## التعريف بالمؤلف

**وتناولته في ستة فصول:**

**الفصل الأول: اسمه، لقبه، كنيته، شهرته، مولده:**

**اسمه:** علي بن أحمد بن علي بن عبدالمهيمن بن حسن بن علي الشيخ نورالدين القاهري الشافعي الشهير بالقرافي الأنصاري[1]، **يلقب:** بنور الدين، **ويكنى:** بأبي الحسن، **ويشتهر:** بالقرافي.

**مولده:** لم يذكر أحد من العلماء الذين ترجموا له سنة مولده، ولعله في الثلث الأخير من القرن التاسع الهجري، يدل على ذلك تاريخ وفاة أحد مشايخه الذين تلقى العلم عنهم وهو الإمام اللقاني المتوفى عام (٨٩٦هـ)، وآخر ما وقفت عليه من مشايخه كانت وفاته عام (٩٣١هـ) وهو الإمام الصابي.

**الفصل الثاني: نشأته وطلبه للعلم وأشهر مشايخه:**

عاش الشيخ نورالدين القرافي بحي القرافة بالقاهرة بمصر، كما يبدو من ترجمته: القرافي، القاهري، وتلقى العلم عن مشايخ عصره بمصر، إذ يقول الغزي: (أخذ عن الديمي، والقاضي زكريا، والبرهان ابن أبي شريف، والصابي، واللقاني، والشبلي، والنور المحلي ولعله مات قبل الثمانين وتسعمائة رحمه الله تعالى)[2].

ومن أشهر مشايخه:

- إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أيوب المعروف بابن أبي شريف المقدسي المصري الشافعي (٨٣٣ - ٩٢٣هـ)[3].

---

1- انظر : الكواكب السائرة للغزي ١٨٢/٣، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي، منشورات مكتبة المثنى – بغداد، ٦٦٥/٢ ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، طبعته وكالة المعارف في استانبول سنه ١٩٥١، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان /٧٤٤. أنظر: معجم المؤلفين : لعمر رضا كحاله، بيروت، دار إحياء التراث العربي سنة 1957-1376 ، ٢٣/٧

2- انظر : الكواكب السائرة للغزي ١٨٢/٣

3- أنظر: الكواكب السائرة ١٠٢/١ – ١٠٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ابن العماد) (ت ١٠٨٩هـ) : تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، الناشر دار بن كثير ، سنة النشر ١٤٠٦هـ، مكان النشر دمشق ١١٨/٨ – ١١٩ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للعلامة محمد بن علي الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة، مكان النشر بيروت ٢٦/١
والسناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، لأبي بكر بن أحمد بن أبي بكر، باعلوي (ت ١٠٥٣هـ)، مخطوط توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٦- تاريخ، وصورة منه بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٩٦٣- ف، ص ٢٠١.

- إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عطية بن جميل القاضي برهان الدين أبواسحاق المغربي الأصل القُهُوقي اللقاني القاهري الأزهري (٨١٧-٨٩٦هـ)[١]
- زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري القاهري الأزهري الشافعي (٨٢٣-٩٢٦هـ)[٢].
- عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب الخضيري السيوطي الشافعي جلال الدين أبوالفضل (٨٤٩ - ٩١١هـ)[٣].
- عبدالقادر الصابي الشافعي جمال الدين (... - ٩٣١هـ)[٤].
- عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر أبو عمرو الديمي الأزهري المصري الشافعي (٨٢١ - ٩٠٨هـ)[٥].
- محمد بن شيخ الإسلام شهاب الدين الشبلي الشيخ الإمام العلامة شمس الدين[٦].
- النور المحلي، الشيخ الإمام العلامة نور الدين المحلي[٧].

---

1- أنظر ترجمته في: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، تحقيق، الناشر منشورات دار مكتبة الحياة، سنة النشر، مكان النشر بيروت ١٦١/١ – ١٦٣ ، وشذرات الذهب ٣٥٨/٧

2- أنظر ترجمته في : الكواكب السائرة للغزي ١٩٦/١ – ٢٠٧ ، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي (ت ١٠٣٧هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٥، مكان النشر بيروت ١١٢/١ ، شذرات الذهب ١٣٦/٨-١٣٧ ، البدر الطالع ٢٥٢/١ ، الأعلام للزركلي ٤٦/٣ ، الاعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خيرالدين الزركلي، بيانات النشر : دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ . معجم المؤلفين ١٨٢/٤ . أنظر: معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحاله، بيروت، دار إحياء التراث العربي ،1957-1376

3- أنظر ترجمته في : الكواكب السائرة للغزي ٢٢٦/١ ، هدية العارفين ٥٣٤/١ . السنا الباهر ص ٧٧ . الأعلام ٣٠٣/٣، شذرات الذهب ٢١/٨ . فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، حققه: إحسان عباس ونشرته دار الغرب الإسلامي بيروت في جزءين ط٢ سنة ١٩٨٢م ١٠١١/٢

4- أنظر ترجمته في السناء الباهر ص ٣٠٠ – ٣٠١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٨١/٨ ، قال عبدالحي بن العماد الحنبلي هو : (جمال الدين أبو عبدالله عبدالقادر أو عبيد بن حسن الصاني بصاد مهملة ونون نسبة إلى صانية قرية داخل الشرقية من أعمال مصر – القاهري الشافعي الإمام العلامة)، واتفق ابن العماد مع صاحب كتاب السنا الباهر في اسمه وشيخه الملتوني وتلميذه الحافظ النجم الغيطي وفي ذكر سنة وفاته (٩٣١هـ)، وعدم ذكر سنة ميلاده.

5- أنظر ترجمته في: الضوء اللامع ١٤٠/٥ ، الكواكب السائرة ٢٥٩/١ ، النور السافر ٤٦/١ ، الأعلام للزركلي ٢١٤/٤

6- أنظر: الكواكب السائرة ١٦٥/٣

7- انظر ترجمته: الكواكب السائرة ٨٠/٢ ، والنور السافر ٣٦٠/١

**الفصل الثالث: أشهر تلاميذه:**

المؤلفات التي اطلعت عليها وترجمت للشيخ القرافي، موجزة جداً، ولم تتطرق لتلاميذه كثيراً، وذُكر في كتاب فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمؤلفه عبدالحي الكتاني[١]، أنّ ابن القاضي: حجّ فأجازه يحيى الخطاب المكي والنجم الغيطي وأحمد بن أحمد بن عبدالحق السنباطي ومحمد بن عبدالرحمن البهنسي ومسند مكه الوجيه عبدالرحمن بن فهد العلقمي ونورالدين علي بن أحمد القرافي كلاهما من أصحاب السيوطي. فالشيخ نورالدين علي بن أحمد القرافي، أحد العلماء الذين أجازوا للإمام العلامة مسند فاس ومؤرخها أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية المكناسي المعروف بابن القاضي[٢].

والجدير ذكره أن ولادة ابن القاضي سنة ٩٦٠هـ ووفاته سنة ١٠٢٥هـ، معنى ذلك أن وفاة القرافي بعد سنة ٩٦٠هـ، وهذا ما ذكره الغزي[٣] في كتابه الكواكب السائرة بمناقب المائة العاشرة إذ قال: لعله مات قبل الثمانين وتسعمائة يعني (القرافي) رحمه الله، ورغم قلة تلاميذه، إلا أن مؤلفاته تعرّف بمنزلته ومكانته العلمية.

**الفصل الرابع: مكانة المؤلف العلمية ومؤلفاته:**

أشاد العلماء بمكانة المؤلف العلمية رحمه الله تعالى، وعلو منزلته فوصفوه بشيخ الإسلام، المحدث، الحافظ، الفاضل.

وصفه الغزي في ترجمته بالشيخ إذ يقول: (الشيخ نورالدين القاهري الشافعي الشهير بالقرافي)[٤].

وبعد بحث مضن عن مؤلفات الشيخ القرافي، تمكنت من الوقوف على بعضها وجميعها مخطوط، عدا كتاب لطائف المنن في قواعد السنن، حاولت قدر المستطاع الحصول على نسخ منها، وما وفقني الله في الحصول عليه وضعت له تعريفاً موجزاً، ومن مؤلفاته:

---

[١] ـ أنظر: فهرس الفهارس والاثبات ١١٤/١

[٢] ـ أنظر: معجم المؤلفين ١٤٧/٢

[٣] ـ أنظر : الأعلام ٦٣/٧

[٤] ـ أنظر: الكواكب السائرة ٤٤٥/١

١- الجواهر المكللة: ذكره البغدادي في كتابه هدية العارفين[١]، وعمر رضا كحالة في كتابه معجم المؤلفين[٢].

٢- الصوارم الهندية: ذكره البغدادي في كتابه هدية العارفين[٣]، وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين[٤]. كما ذكره بروكلمان[٥] في ملحقه[٦].

٣- كتاب لطائف المنن في قواعد السنن[٧]: تناول فيه أنواع الأحاديث وتعريفها وذكر منها: المتواتر والمشهور والمستفيض والعزيز والغريب والصحيح والحسن والضعيف والشاذ والمحكم والمختلف والناسخ والمنسوخ والمعلق والمرسل والمعضل والمنقطع والمدلس والموضوع والمتروك والمنكر والمعلل والمدرج والمقلوب والمضطرب والمصحف والمجرف والمسند والموقوف والمقطوع والعالي السند. **أوله** : حمدا لذي الفضل العميم والمنن، وصلاة وسلاما على أشرف نبي أوضح لنا معالم السنن..

٤- المطالب العلية بالإجازة العامة الأسيوطية: ذكره البغدادي في كتابه هدية العارفين[٨]، وذكر فيه بعض الذين أجاز لهم السيوطي ومنهم: القاضي عبد الرحمن أفندي أنه مجاز من الأسيوطي بالإجازة العامة.. **أوله:** حمدا لمن أيد هذا الدين بعصابة دينه الظاهرة..

---

[١] - أنظر: هدية العارفين ٧٤٤/١

[٢] - أنظر: معجم المؤلفين ٢٣/٧

[٣] - أنظر: هدية العارفين ٧٤٤/١

[٤] - أنظر: معجم المؤلفين ٢٣/٧

[٥] - هو المستشرق الألماني كارل بروكلمان، مؤلف كتاب تاريخ الأدب العربي باللغة الألمانية Arabischen Litteratur, von Carl Brockemann, Cppyright 1943 by E. J. Brill, Leiden, Netherlands وقد تُرجم إلى العربية ضمن خزانة التراث التي أصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وهي فهرس شامل لما هو موجود بمركز الملك فيصل للبحوث من مخطوطات أصلية ومصورات وأماكن تواجدها في مكتبات العالم، وأرقام حفظها.

[٦] - توجد نسخة من المخطوط في مكتبة رامبور بالهند برقم (١/٢١٤/٣١٣)، ونسخة بأحمد الثالث بتركيا برقم (١٥٢٦). أنظر : تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني بروكلمان ٤٢٥/٢ .

[٧] - حققه: نايف بن قبلان العتيبي ونشرته مكتبة دار الاستقامة بمكة المكرمة ١٤١٦هـ. توجد صورة من المخطوط بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم (٧) مصطلح الحديث مصورة عن نسخة مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم (٦٢٨).

[٨] - أنظر: هدية العارفين ٧٤٤/١

٥- نفحات العبير الساري بأحاديث أبي أيوب الأنصاري[1]: تحدث فيه عن سيرة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ومناقبه. وتناول الأحاديث التي رُويت عنه، وجمعها المؤلف كما ذكر من كتب الأحاديث المشهورة، كجامع الأصول لابن الأثير، والجامع الكبير والجامع الصغير للسيوطي، والبداية والنهاية لابن كثير. **أوله:** حمداً لمن أشرق أنوار الأزل ورد لواحق عجز الأبد على صدر سوابق العهود واطلع شمس الإيمان فأضاءت بها الأكوان لكل موجود.

٦- نهاية المطلوب في استحباب كتابة البسملة بكمالها في كل مكتوب[2]، **أوله:** ( إن أبهى خبر يشرق على صفحات الوجود نوره). قال مؤلفه: اختصرتها من كتاب وضعته، مسمى: ( بالجواهر المكللة).

٧- هادي النبيه لتدريس التنبيه: كتاب في الفقه الشافعي[3].

٨- جواهر العقد في قول علي بن أبي طالب من لانت أسافيله صلبت أعاليه[4].

٩- سيب السيل في وصف الخيل[5]: تناول فيه الخيل وفضائلها، وبدء خلق الخيل وأول من ركبها، وحسن معاملتها وملاطفتها والاهتمام بها، وألوانها وأصواتها وأوصافها. وجاء فيه: فهذه رسالة لطيفة ونبذة في علم الخيل شريفة، انتقيتها من جر الذيل في علم الخيل، لشيخ مشايخي مجتهد العصر جلال الدين السيوطي رحمه الله سبحانه، وأرسل عليه من رضوانه طوفانه. **أوله:** حمداً لمتيح السحاب ومبيح العباب ومنشئ العِراب من أجاويد الخيل، وشكراً لمن أراد تبليغ المراد لذي عزٍ يراد ومجدٍ يراد بدوام الإسعاد على ظهور الصافنات الجياد..

---

[1] - توجد نسخ من المخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم (٤٧٣٤)، وبالمتحف البريطاني برقم (or 11134). وتركيا بمكتبات: أحمد الثالث برقم (٥٦٧) وأسعد أفندي برقم (٤٥١) وأياصوفيا برقم (٩٤٢)، وحفيد أفندي برقم (٤٤) ورئيس الكتاب برقم (٢٧٦) ونورعثمانيه برقم (٩٤٠)، وبايزيد عمومي برقم (١٠٧٧).

[2] - أنظر: هدية العارفين ٧٤٤/١ ، أنظر: معجم المؤلفين ٢٣/٧

[3] - توجد نسخة من المخطوط بالمكتبة الخالدية بفلسطين برقم ١٢/٢٦، وبالمكتبة الظاهرية بسوريا بالأرقام (٢١٢١) ، (٢١٣٤) ، (٢٣٥٧) فقه شافعي.

[4] - توجد نسخة منه بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا برقم (771h). ومنه نسخة بمكتبة الملك فهد بالرياض.

[5] - توجد نسخة من المخطوط بالمكتبة الأزهرية بجمهورية مصر العربية برقم (٤٣٠٠) أباظه ٧٣١٩.

١٠- سؤال وجواب في الفقه الشافعي[1].

١١- كتاب اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور[2]: وهو الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه، مجموع لطيف جمعه مؤلفه من كتب متعددة وجاء في **مقدمتــه:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوباً وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة[3] .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب.

**الفصل الخامس: مذهبه**

ذكر الغزي في كتابه: الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة، بأن الشيخ القرافي شافعي المذهب، إذ جاء في ترجمته: (الشيخ نورالدين القاهري الشافعي الشهير بالقرافي)[4].

وُصِف على غلاف كتابه نفحات العبير الساري بأحاديث أبي أيوب الأنصاري بأنه: (الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المدقق الفهامة نورالدين علي الأنصاري القرافي الشافعي)[5].

كما وُصِف على غلاف كتابه: سيب السيل في وصف الخيل، (بالشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة المحقق المدقق الشيخ نورالدين القرافي الشافعي)[6].

---

[1] - توجد نسخة من المخطوط بمكتبة جامعة برنستون بأمريكا برقم (1164 h 7).

[2] - توجد نسخه من المخطوط بالمجمع العلمي العراقي برقم (٩٤٩/م) وجامعة الملك سعود بالرياض برقم (٣/٢٣٨)، ومكتبة باريس الوطنية برقم (٣٥٧٥)، والمكتبة الوطنية بالجزائر برقم (٢١٠٥)، ومكتبة تشستربتي بايرلندا برقم (٥٠٢٧)، ومكتبة الكونجرس الأمريكي برقم تسلسلي (٤٥)، ومكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بمصر برقم (٣٧).

[3] - ذكر من هذه الكتب: الجامع الصغير للسيوطي، وبداية الهداية، والتبر المسبوك للغزالي، ومعيد النعم للسبكي، وفاكهة الخلفاء لابن عرب شاه، وقمع النفوس للإمام الحصني.

[4] - أنظر: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ١٨٢/٣

[5] - أنظر: نسخة المتحف البريطاني رقم (or11134)

[6] - أنظر: نسخة المكتبة الأزهرية رقم (٤٣٠٠) أباظه ٧٣١٩

**الفصل السادس: وفاته**

بعد حياة حافلة طابعها الأدب وحسن الخلق والجد والاجتهاد وخدمة العلم والمعرفة تُوفي الشيخ علي بن أحمد القرافي الأنصاري – رحمه الله – ولم يعين العلماء تاريخ وفاته على وجه التحديد وإنما ذكروه على وجه التقريب.

فذكر البغدادي في كتابيه: إيضاح المكنون[١] وهدية العارفين[٢] أنه توفي في حدود (٩٤٠هـ) أربعين وتسعمائة. وذكر عمر رضا كحالة التاريخ نفسه في كتابه معجم المؤلفين[٣] .

وذكر الغزي في كتابه: الكواكب السائرة: (لعله مات قبل الثمانين وتسعمائة رحمه الله)[٤]. وهو الأرجح[٥]، والشيخ القرافي أحد علماء القرن العاشر رحمه الله.

---

[١] - أنظر: إيضاح المكنون ٦٦٥/٢

[٢] - أنظر: هدية العارفين ٧٤٤/١

[٣] - أنظر : معجم المؤلفين ٢٣/٧

[٤] - أنظر: الكواكب السائرة ١٨٢/٣،

[٥] - في تحديد تاريخ وفاة القرافي أرجح قول الغزي (لعله مات قبل الثمانين وتسعمائة) لأنه كان حياً حتى سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة كما ذكر القرافي نفسه في خاتمة كتابه نفحات العبير الساري بأحاديث أبي أيوب الأنصاري إذ قال: وكان الفراغ من تأليفه في ليلة يسفر صبحها غر يوم الثلاثاء ثاني عشر رجب الفرد الحرام لسنة اثنتين وسبعين وتسعمائة والحمد لله رب العالمين. أنظر: مخطوط نفحات العبير الساري صفحة (٨٦) نسخة المتحف البريطاني رقم (or 11134) وتوجد نسخة منه بمركز الملك فيصل للبحوث . كما أن ولادة أحد تلاميذه وهو ابن القاضي سنة (٩٦٠هـ).

## الباب الثاني

## الحياة السياسية والعلمية خلال فترة المؤلف

**وفيه فصلان:**

**الفصل الأول: الحياة السياسية:**

شهدت الفترة المرتبطة بحياة القرافي كثيراً من الاضطرابات والفتن، والتحالفات بين مجموعة من الدول تفرقها الديانات، وتجمعها المصالح والمؤامرات كالدولة الصفوية، الأوروبية، النصرانية ، اليهودية، المملوكية ، العثمانية.

وللوقوف على بعض ملامح الحياة السياسية خلال هذه الفترة، لا بد من وقفة تاريخية لأحداث بعض الممالك والدول خاصة المملوكية والعثمانية، وتجنباً لازدحام المبحث بسرد الأحداث، سوف اختصر، ولمن أراد المزيد، يمكنه الاطلاع على بعض كتب التاريخ[١] التي تناولت هذه الفترة.

**دولة المماليك الجراكسة :**

تولى الملك قايتباي الجركسي الأصل، الحكم سنة ٨٧٢ هـ، ولُقب بالملك الأشرف، أبي النصر سيف الدين، وخلال فترة حكمه الممتدة ثلاثين سنة هدأت الأحوال والفتن، وأنشأ كثيراً من المدارس والتكايا، والجوامع في بلاد مصر والشام ومكة والمدينة، وتوفي سنة ٩٠١هـ، ودفن بالجامع الذي أنشأه بالقرافة، وهو جامع يشتهر بحسن هندسته، ولطافة نقوشه[٢].

تولى الحكم بعده ابنه محمد، وتلقب بالملك الناصر، أبي السعادات ناصر الدين وكان يغلب عليه المجون واللهو واللعب، والسفه وما كان له التفات إلى الملك ولا تدبير السلطنة، وعلى عكس عهد أبيه فقد شهدت أيامه فتن وحروب بين طوائف المماليك، وكانت نتيجتها قتله في ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ، وبعد موته تولى

---

[١] - ومن هذه الكتب: التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية، لمحمد بن محمد بن أبي السرور (ت ١٠٨٧هـ). وقلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، لإبراهيم بن عمار العبيدي (ت ١٠٩١هـ)، وكتاب عجائب الآثار للجبرتي، وكتاب: مرج الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ) وتاريخ القرماني المعروف بالدول وآثار الأول، لأحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ). وتاريخ السلطان سليم العثماني مع السلطان قانصوه الغوري، لأحمد بن علي بن زنبل (ت ٩٨٠هـ). وتاريخ الملك الأشرف قايتباي، وهو مخطوط وتوجد نسخة منه بالمتحف البريطاني رقمها or 3029 ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ٢٤٢/١، لمؤلفه: علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار الإيمان بالاسكندرية ، تاريخ النشر ٢٠٠٣م

[٢] - تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك، الناشر دار النفائس، مكان النشر بيروت ٩٤/١

قانصوه، أحد مماليك أبيه الجراكسة، وتلقب بالملك الظاهر، واستمرت الفتن في أيامه، وثار عليه بعض الأمراء وحاربوه، وانتصروا عليه في ٢٩ ذي القعدة سنة ٩٠٥ هـ، فهرب واختفى فاتفقوا على خلعه وتولية الأمير جان بلاط الجركسي مملوك قايتباي وبايعوه في ذي الحجة سنة ٩٠٥هـ، وتلقب بالملك الأشرف أبي النصر[١].

وفي السنة التالية شق الأمير طومان باي عليه عصا الطاعة وذهب إلى دمشق واتفق مع بعض الأمراء على خلع السلطان جان بلاط، فعملوا بذلك محضرا بحضور علماء وأمراء دمشق وتسمى بالملك العادل، ثم قصد مصر فوصلها في جمادى الأولى سنة ٩٠٦ هـ، ودخل القاهرة في ١١ منه، فتحصن جان بلاط في القلعة، وحُوصر وقُبض عليه، وعُزل وجددت البيعة إلى طومان باي، ثم أُرسل جان بلاط[٢] إلى سجن الإسكندرية وأقام به وخنق بأمر طومان في ٤ شعبان سنة ٩٠٦هـ. وفي أواخر رمضان سنة ٩٠٦ هـ، حصلت فتنة بين طوائف المماليك، ففر طومان باي واختفى، ثم ضُبط في ذي القعدة وقتل، وتولى الأمير قانصوه الغوري، في مستهل شوال سنة ٩٠٦هـ،وتلقب بالملك الأشرف، وكثر الظلم[٣] في آخر أيامه.

**الدولة العثمانية:**

قصد السلطان العثماني الغازي سليم الأول بلاد الشام ومصر ليفتحها لعدة أسباب منها[٤]: القضاء على المماليك لموقفهم العدائي من الدولة العثمانية، الخلاف على الحدود بين الدولتين في طرسوس في المنطقة الواقعة بين الطرف الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وبين شمالي الشام.

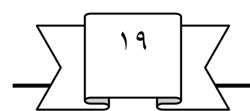
---

[١] - تاريخ الدولة العلية ٩٤/١

[٢] - المصدر السابق ٩٤/١

[٣] - حُكي عن شخص من أولياء الله تعالى مجاب الدعوة أنه رأى بمصر في أيام الغوري جنديا من الشراكسة أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب منه حقه وهو ممتنع فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه الجندي بالدبوس فشج رأسه وقال هذا شرع الله فسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندي بالمتاع وما قدر أحد من المسلمين على منعه من فعله، قال الشخص فصعب علي هذا الحال فرفعت يدي إلى الله تعالى ودعوت الله عز وجل على الجندي وسلطانه وحزبه وإخوانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة إجابة وقبول، فما مضى على هذه الوقعة قليل من الزمان إلا وبرز الغوري بجنوده وأمواله وبنوده وأثقاله وخزائنه وأنصاره وأعوانه من مصر لقتال السلطان سليمان خان إلى حلب فجاء الخبر بعد قليل بأنه كسر وقتل أكثر جنوده وفقد هو تحت سنابك الخيل في مرج دابق وكان قتله بين الظهر والعصر يوم الأحد خامس عشر رجب سنة ٩٢٢ اثنتين وعشرين وتسعمائة. أنظر: سمط النجوم العوالي ٦٢/٤

[٤] - أنظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ٢٤٢/١




يضاف لذلك تفشي ظلم الدولة المملوكية بين الناس خاصة في عهد قنصوه[١] الغوري ورغبة أهل الشام وعلماء مصر في التخلص منها والانضمام إلى الدولة العثمانية.

حدثت موقعة هائلة بين عساكر الغوري والعثمانيين بجوار حلب سنة ٩٢٢هـ، فانتصر العثمانيون وقُتل الغوري في أثناء المعركة، ودخل السلطان سليم مصر عقب ذلك في أوائل محرم سنة ٩٢٣ هـ[٢]، وصار ملكاً للديار المصرية، والبلاد الشامية.. ولما توفي تولى بعده ابنه الغازي السلطان سليمان[٣].

**التحالفات الدولية:**

بعد الهزيمة التي ألحقتها الدولة العثمانية بالدولة الصفوية، ظهرت بعض التحالفات والتكتلات، والمعاهدات، حيث تحالف البرتغاليون والفارسيون وشكلوا اتحاداً ضد العثمانيين، وقام المماليك بدعمه سراً.

وقّعت الدولة العثمانية معاهدة تجارية مع جمهورية البندقية، ومنحت أول الامتيازات القنصلية للأجانب عام ٩٢٨هـ، حيث خولت قنصلها لدى استانبول حق حضور المرافعات أمام المحاكم، حين الفصل في قضاياها، وأسباب هذه المعاهدات التجارية، ترجع إلى محاولة العثمانيون إعادة النشاط التجاري إلى البحر المتوسط، بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح[٤].

كما منحت الدولة العثمانية امتيازات لملك فرنسا عام ٩٤٢ هـ، كانت بداية لإثارة المشكلات[٥]، إذ خول اتفاق الامتيازات الطرفين حق التجول والاتجار، والزيادة البحرية، وأجاز المبادلات الاقتصادية، بدون ضرائب، وصار للقنصل الفرنسي في

---

[١] - كان قانصوه الغوري كثير الدهاء ذا رأى وفطنة وتيقظ إلا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والفسق بخيلا، وكثر ظلمه في آخر أيامه، كان يوقع بين خصومه ويأخذ هذا بذاك وذاك بذا ويدس لهم الدسائس من الطعام والسم ونحوه حتى أفنى قرانصتهم ودهاتهم، واتخذ مماليك جددا واستجلب جلبا وأعد عددا وصاروا يظلمون الناس ويعاملون الخلق عسفا وغشما وهو يغض عنهم ويتغافل فأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وأكثروا العناد وطغوا في البلاد وصار يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والبأس، وكثرت العوانية في أيامه لكثرة ما يصغي إليهم وصاروا إذا شاهدوا أحدا توسع في دنياه وأظهر التجمل في ملبسه ومثواه وشوا به إلى السلطان فيرسل إليه يطلب القرض ويصفي أمواله ويسلمه إلى الصوباشي ليأخذ ماله ويهلك أهله وعياله، وأما الميراث فبطل في أيامه وصار إذا مات أحد يأخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء. أنظر: سمط النجوم العوالي ٦٢/٤

[٢] - أنظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية ٩٦/١

[٣] - أنظر: المصدر السابق ٩٦/١

[٤] - أنظر:المصدر السابق ٢٢٣/١

[٥] - أنظر: المصدر السابق ٢٠٢/١

اسطنبول والإسكندرية، حق التحاكم بموجب القوانين الفرنسية على رعاياهم دون ممانعة، ولا يحق للقضاة العثمانيين الحكم على تجار ورعايا فرنسا، بناء على شكاوي الأهالي إلا في حضرة الصدر الأعظم، أو من يمثله، ومُنع حجز أسرى بصفة رقيق، وصار للسفن الفرنسية حق الرسو في الموانىء العثمانية، والتزود بصورة إلزامية، وعدم تفتيشها إلا في أماكن معينة، وقد أعفي أتباع الرعية الفرنسية من دفع الخراج والضرائب والحراسة، وأعطت هذه المعاهدة لملك انجلترا والبابا حق الاستفادة منها، وكانت هذه الامتيازات التي حصل عليها رعايا الدولة الفرنسية أول إسفين يدق في نعش الدولة العثمانية، إذ ظهرت آثاره فيما بعد[١].

**الفصل الثاني: الحياة العلمية.**

رغم الاضطرابات والفتن، والحروب، التي شهدتها الفترة التي عاشها القرافي، إلا أنها قد تميزت بازدهار العلم وظهور العلماء، والكتابة والتأليف، خاصة في العهدين المملوكي والعثماني، ويتضح ذلك جليا من خلال اهتمام السلاطين، وتناولهم لفنون مختلفة.

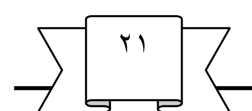
**بعض ملامح الحياة العلمية في دولة المماليك:**

اهتم السلاطين والملوك أنفسهم بالعلم والكتابة والتأليف، فقد ألف الملك الأشرف قايتباي الذي تولى حكم مصر في الفترة من (٨٧٢ - ٩٠١هـ) عدة كتب ورسائل منها: رسالة في الأدعية والأذكار، تعرف بأذكار الملك الأشرف[٢]، وله رسالة للشيخ السيوطي يدعوه فيها بالحضور إليه، ورد الشيخ السيوطي عليه بأن العلماء لا يترددون على الملوك[٣]، وللسلطان قايتباي أبوالنصر كتاب ذكر فيه مجموعة من أوقافه[٤].

ومن المهتمين بالعلم والتأليف السلطان قنصوه بن عبدالله الظاهري الغوري وله عدة مؤلفات منها :كتاب الكوكب الدري في أجوبة التفسير الغوري[٥]، وهو في

---

[١] - تاريخ الدولة العلية العثمانية ٢٢٥/١
[٢] - ذكر بروكلمان في ملحقه ١٢٣/٢ وجود نسخة من الرسالة بدار الكتب المصرية برقم (٣٤٤/١)
[٣] - أنظر : مخطوط رقم ١/١٩٦٦ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
[٤] - أنظر: مخطوط رقم (١١١٨) بمكتبة باريس الوطنية. توجد صورة منه بمركز الملك فيصل للبحوث.
[٥] - ذكر بروكلمان في ملحقه ٢٠/٢ بوجود نسخة منه بمكتبة كوبنهاجن بالدنمارك برقم (٢٨٠) ونسخة أخرى بالمكتبة الأزهرية برقم (٦٢٤ أباظة).




التفسير، وله مجموعة كتب في الأدب منها: المنقح الظريف على الموشح الشريف[١]، أعد له السيوطي، وديوان يعرف بديوان الغوري، والقصائد الربانية في الموشحات السلطانية الغورية[٢].

**بعض ملامح الحياة العلمية في الحكم العثماني:**

اتصف السلطان محمد الفاتح بالتدين والتقى والورع، وحب العلم والعلماء، وشجع على نشر العلوم، ويعود تدينه الرفيع لتربيته الإسلامية، التي تلقاها منذ الصغر، بتوجيهات من والده، وكانت لهذه التربية آثار طيبة على ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ – ٩١٨هـ) الذي تولى السلطة في البلاد[٣] بعد وفاته ، وكان وديعاً، ورعاً تقياً، رقيق الطبع، محباً للعلوم، والأدب، مواظباً للدرس، متفقهاً في علوم العربية والشريعة الإسلامية، شغوفاً بعلم الفلك، مكرماً للشعراء والعلماء، أديباً وشاعراً وله أشعار في الحكمة ،يمتاز شعره بعمق الإحساس.

تربع السلطان سليم الأول، في عام ٩١٨هـ، على العرش العثماني[٤]، وكان محبا للأدب والشعر الفارسي والتاريخ ورغم قسوته؛ كان يميل إلى صحبة رجال العلم، ويصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال، ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي.

كان عالماً فاضلاً ذكياً، حسن الطبع، بعيد الغور، صاحب رأي وتدبير وحزم، وله معرفة بالألسن: العربية والتركية والفارسية، دائم الفكر في أحوال المملكة والرعية، كتب على رخام حائط القصر الذي يسكن فيه بمصر وبخطه:

الملك لله من يظفر بنيل مني ... يردده قهراً ويضمن بعده الدركا

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركاً

---

[١] ـ ذكر بروكلمان في ملحقه ٢٠/٢ بوجود نسخة منه بمكتبة جوتا بألمانيا برقم (٥٦/٤)
[٢] ـ توجد نسخة منه بمعهد المخطوطات العربية برقم (٦٤٦)
[٣] ـ الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ٢١٧/١
[٤] ـ المصدر السابق ٢٣١/١

تولى بعده السلطان سليمان القانوني[١] وهو في السادسة والعشرين من عمره، وامتد حكمه خلال الفترة (٩٢٦هـ - ٩٧٢هـ)[٢]، كان متأنياً في جميع شؤونه، لا يتعجل الأعمال التي يريد تنفيذها، يفكر بعمق، ثم يقرر، ولا يتراجع عن قراراته، اهتم به والده اهتماماً عظيماً، فنشأ محباً للعلم والعلماء والأدب والأدباء والفقهاء، محباً لأعمال الخير، إذ شيد جامعاً عظيماً، وعمارة لطعام الفقراء، اشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار.

**من مشاهير العلماء خلال فترة حياة القرافي:**

بالإضافة إلى مشايخه، فقد امتازت هذه الفترة بظهور كثير من العلماء كالسمهودي، علي بن عبدالله بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ) والسخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، وابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي، ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

وذكر النجم الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ)، في كتابه الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، وعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢هـ)، في كتابه فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، والعيدروس في كتابه النور السافر في أخبار القرن العاشر كثيراً من العلماء، خاصة المصريين منهم كما توضح كثرة الألقاب في كتبهم: الأزهري، القاهري، السنباطي، السيوطي، السمهودي القرافي، الدمياطي والمصري.

كما أُلفت كتب كثيرة عن علماء هذه الفترة، وظهرت مؤلفات عديدة لفنون مختلفة، ويدل ذلك على أهمية ومكانة القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وتميزهما بغزارة العلم وكثرة العلماء.

[١] - هو السلطان سليمان خان الأول عاشر ملوك آل عثمان ، عاش القرافي في عهد سلطنته كما ذكر في مقدمة كتابه نفحات العبير الساري نسخة المتحف البريطاني رقم or11134 حين قال: السلطان الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم، مالك رقاب الأمم عين أعيان ملوك الأكوان .. إلى أن قال : مفيض مَدده في جميع مُدده بمزايا العدل والإحسان مولانا السلطان سليمان خان ملك ملوك المشرقين والمغربين ...

[٢] - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ٢٦٤/١

## الباب الثالث

## التعريف بالكتاب المحقق وما يتعلق به

**وفيه ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: التحقق من اسم الكتاب وصحة نسبته إلى المؤلف:**

العلماء الذين ترجموا لنورالدين علي بن أحمد بن علي القرافي – رحمه الله تعالى – وذكروا كتبه، وحسب ما تيسر لي من الوقوف عليه لم أجد منهم من ذكر هذا الكتاب، إلا أن عنوانه ونسبته إلى المؤلف ثابتة على غلاف المخطوط في نسخة المجمع العلمي العراقي رقم ٩٤٩/م، المنسوخة سنة ١٢٤٩هـ بما نصه: "**كتاب اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور**: "لمولانا[١] خاتمة المحققين مفيد الطالبين العالم الصمداني والقطب الرباني مولانا وسيدنا الشيخ نورالدين القرافي الأنصاري نفعنا الله به آمين".

كما ذُكر بفهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[٢] بالرياض، بأن الكتاب من مؤلفات العالم الجليل نورالدين علي بن أحمد القرافي الأنصاري، سائلاً المولى له ولعلمائنا الأجلاء، الرحمة والمغفرة، وأن ينفعنا بعلمهم.

**الفصل الثاني: منهج المؤلف في تأليف الكتاب:**

وللوقوف على منهج المؤلف في تأليف كتابه، لا بد من التطرق لبعض المواضيع المهمة التي تناولها المؤلف في كتابه ومنها:

١- **أهمية العقل والالتزام بقواعد الشرع الشريف:** اعلم أيها الناظر في هذا الكتاب، أن صانع المخلوقات سبحانه وتعالى، جعل مدار أمور العباد ومبناها في المبدأ والمعاد على دليلين عظيمين: أحدهما: العقل، الذي هو مناط التكليف. ثانيهما: قواعد الشرع الشريف، فمن أراد سعادة الدارين فليتمسك بهذين الدليلين.

---

[١] ـ يظهر لي والله أعلم أن ناسخ المخطوط نقله من نسخة ترجع لأحد تلامذة الشيخ القرافي حيث ذكر على عنوان المخطوط لفظة "مولانا" و "سيدنا"، وكلمتي "مولانا" و "سيدنا" غالباً ما يستخدمها التلميذ المعاصر لشيخه.

[٢] ـ المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وضعه: عبدالرزاق حسين، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٢- **طاعة الرسل وأولي الأمر:** جعل الله تعالى أفعال الإنسان منها ما هو سبب لسعادته، ومنها ما هو سبب لشقاوته، ولما أن كان كل أحد لا يعرف ذلك من تلقاء نفسه، أرسل الله تعالى بعض ملائكته لأشخاص، اختصهم من بين خليقته بالسعادة الأبدية في الأزل، وهم خلاصة الخواص من خلقه.

٣- **شكر النعم:** واعلم أن لكل نعمة شكراً خاصا بها، فشكر نعمة البصر غض الطرف عن محارم الله، وشكر نعمة السمع عدم الإصغاء به للفواحش، وشكر نعمة اليدين أن لا يبطش بهما في أحد من خلق الله، وشكر نعمة الرجلين أن لا يسعى بهما في غير طاعة الله، وشكر نعمة الولاية العمل فيها بالعدل وترك الجور.

٤- **ما يجب ويتعين على ولي الأمر العمل به:** اعلم أن أول شيء يجب على الملك العمل به، نشر العدل، الذي هو صلاح العالم، إذ هو الأساس الذي يبنى عليه نظام الملك.

٥- **صفات ولي الأمر:** ومما يتعين على ولي الأمر كمله الله، أن يكون عاقلاً في ملكه، شريفاً في نفسه، موفياً بعهده، صلباً في دينه، لازماً لصمته، متفكراً في رأيه، متدبراً بعقله، شفوقاً برعيته، متيقظاً لعيوب نفسه، همته انبعاث الفكر في عواقب أمره، متأنياً في أموره، مستعملاً الرفق في سائر أفعاله، وليس له أن يغضب، لأن الغضب مع القدرة يؤدي إلى السرف في الانتقام، ويعقب الندامة، وليس له أن يبخل لأنه لا يخشى انقطاع مدد الأموال، وأن البخل في الملوك من أكبر العيوب.

٦- **البعد عن الهوى:** فليحذر الملك حين ذاك إتباع هوى النفس، فإن هوى النفس صدى، يعلو على العقل فيصدأ، فيضل عن الهدى، فإذا رأى الملك أن هوى النفس، غلب على عقله حال حكمه، فيترك الحكم حين ذاك، ويؤخر الحكومة، لئلا يوقعه هوى النفس فيما يخرج به عن الحق، فيضل ويهلك، ولا ينفعه بعد ذلك الندم.

٧- **حسن الخلق:** قال العارفون بالله: حسن الخلق حسنة، لا تضر معها كثرة السيئات، وسوء الخلق سيئة، لا تنفع معها كثرة الحسنات.

٨- **الشورى:** وقد امتدح الله تعالى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[١].

٩- **تفقد أحوال الرعية من المسجونين:** ومما يجب ويتعين على ولي الأمر أرشده الله تعالى التفقد في كل حين لأحوال المسجونين، والتبصر في جناياتهم، والفحص عن ما سجنوا بسببه، فمن استحق أن يخلى سبيله أطلقه، ولا يتبع في الإعراض عنهم أفعال من تقدمه، فيقر أمرهم على ما هم عليه، بل لا بد من الفحص عن أحوالهم، والتبصر في أمرهم.

١٠- **الاحتكام لشرع الله في تنفيذ الأحكام:** واعلم أيها الملك رعاك الله، أن الإنسان بنيان الله، فلا ينبغي لأحد سرعة الإقدام على هدم بنيان الله، ألا ترى أن الله تعالى يغضب إن انتهك حرماته، ولا شيء أعظم من حرمة المسلم عند الله، فإذا وجب على أحد قودا أو قتل فأرى أن يكل ولي الأمر ذلك إلى حكم الشرع الشريف.

١١- **منع موالاة واستخدام أهل الذمة:** ومما يجب ويتعين على حكام المسلمين، أن لا يتخذوا أحداً من أهل الذمة كتاباً من دون المسلمين المؤمنين، فلقد استعملهم الأجناد، ومكنوهم في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وتحكموا في العباد، وابتدعوا البدع والحوادث، واظهروا العناد، وبارزوا بالفجور بين العباد، واستولوا على أموال المسلمين، وأهانوا أهل العلم والصلاح والدين، وظهر فسقهم في حرم المسلمين والمؤمنين، وخيانتهم في أموال الموحدين.

١٢- **عدم التحجب عن الرعايا:** وإن مما يجب ويتعين على ولي الأمر أن لا يتحجب عن الرعايا، فربما جاء مظلوم في وقت من الأوقات فيجد ولي الأمر محتجبا، فلا يظفر بمراده، فيعود منكسر الخاطر ساخطاً، فإنه ليس شيء أضيع للملك، ولا أفسد لأحوال رعاياه من التحجب، وتعذر الإذن في

---

[١] - الشورى/٣٨

الدخول على ولي الأمر، وليس شيء أهيب في قلوب الرعايا والعمال، من سهولة الحجاب.

١٣- **الاهتمام بالقناطر والمساقي والجسور:** ومما يجب ويتعين على ولاة أمور الإسلام، بذل الجد والجهد، وغاية الاجتهاد، في النظر في أحوال المَساقِي والجسور، فإن ذلك من أهم المهمات، إذ هي من معظم المواد التي يستقيم بها نظام الملك، وعمران البلاد.

١٤- **الاهتمام بعمران وتنمية البلاد:** روي أن كسرى نوشروان المسمى بالملك العادل بتسمية سيد ولد عدنان، أنه ظهر ذات يوم أنه مريض، وأن الطبيب وصف له لبنة قديمة من بلد خراب، فأنفذ رجاله فطافوا أقطار الأرض، ثم عادوا فلم يجدوا قرية خرابا، يأتوه بلبنة منها، فأتوه خائفين ذاهلين، لعجزهم عن أن يأتوا بلبنة من بلد خراب، فقالوا له معتذرين: أيها الملك لك المعذرة، فلقد طفنا أقطار مملكتك فلم نجد بلداً خراباً لنأتيك بلبنة منها، ففرح بذلك، وقال: إنما أردت أن أختبر حال مملكتي، هل فيها قرية خراب فأعمرها، فسر بذلك سروراً كثيراً، وسر أهل مملكته.

١٥- **الاهتمام بمنصب الاحتساب:** وإن مما يجب ويتعين على ولاة الأمور، أن يصرفوا هممهم فيما يتعلق بمنصب الاحتساب، فإنه منصب جليل، منصب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد تولاه بنفسه.

١٦- **الاهتمام بالشرطة والخفر:** واعلم يا ملك الزمان، أن من جملة العدل الذي يجب على ولاة الأمور، النظر فيما يتعلق بمتولي الشرطة، الذي يسمونه السوباشي، وإمعان النظر في أحوال أتباعه، ورجاله، ومقدميه، والتفقد لأفعالهم، وعدم الغفلة عنهم، وأن لا يُمكن من الوقوف ببابه إلا من يكون على الاستقامة، وفي قلبه الخوف من الله تعالى، فإن فيهم من يتخذ تحت يده مفسدين، يحميهم، ويذب عنهم، فهم في النهار محافظون، وفي الليل خائنون ومفسدون.

١٧- **العدل أساس الملك:** ولتعلم ولي الأمر أن لا أحداً يغني عنك من الله شيئا، ما لم تحكم بالعدل. فإنْ كنت أميراً أو مأموراً فو الله لا ينفعك إلا ما قدمت من العدل في رعاياك.

١٨- **التناصح بين الراعي والرعية:** دخل ابن السماك على أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك نيرانا تتأجج، قد أضرمها حجابك، وأنت مسئولُ عنها، فاتق الله يا أمير المؤمنين، ولا تصلح دنياك بفساد آخرتك.

١٩- **الدنيا مزرعة الآخرة:** واعلم يا ملك الزمان، أن الدنيا وان كانت فانية، فهي مزرعة للآخرة الباقية، ولتعلم أن الله سبحانه وتعالى ولاك هذه المزرعة، وعلق بأوامرك ما بها من ضرر ومنفعة، وحكّمَك في البلاد، وملّكك رقاب العباد، فإياك والخلل بنظام هذه الزراعة، أو تسلم زمام تدبيرها لمن يقابل أوامرك فيها بالإضاعة، فإن مصالح عسكرك بها منوطة، ونظام أحوال ملكك بالعساكر مربوطة.

٢٠- **صفات الوزراء:** فيجب على الملك أن يتخذ وزراء عقلاء، نصحاء، صلحاء، دأبهم الدين والتقى، متصفين بحسن التدبير، لا ينفرد واحد منهم بقول ولا فعل، إلا بعد المشاورة مع بعضهم بعضا، فإذا تشاوروا في ذلك، واتفق رأيهم على ذلك الفعل، فلا يقدم الكبير منهم على عرض ذلك للملك إلا بعد الاستخارة أيضا، فإنه ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، والحذر الحذر أن يكون بينهم تحاسد.

**ويتضح أن المؤلف قد اتبع منهجاً يمكن تلخيصه في الآتي:**

قسم كتابه إلى أبواب، والأبواب إلى فصول تناول فيها موضوعات مهمة كالعقل والعلم والعدل والصدق ومجانبة الهوى والشورى والتأني وحسن الخلق والمشورة والإخلاص في العمل والاهتمام بالرعية.

تطرق لبعض الظواهر التي قد يكون فيها هلاك الأمم، كتفشي المحسوبية والرشا وحكم الهوى، وتسلط اليهود والنصارى.

عنايته بذكر الأدلة من الكتاب والسنة، مقتصراً على الشاهد في كل ما يورده من الآيات والأحاديث.

حسن اختياره للكتب المتعلقة بالكتاب والتي نقل عنها، والإشارة إليها دون أن يفصّل صراحة ما أخذه من كل كتاب.

**الفصل الثالث : منهجي في تحقيق الكتاب**

للوصول للهدف المنشود من تحقيق الكتاب اتبعت عدة خطوات حاولت فيها قدر الإمكان الوصول إلى نتائج أوفى، ويمكن تلخيص ما قمت به من عمل في الآتي:

١- قمت بتقسيم القسم الدراسي إلى أبواب وفصول، لموافقة المؤلف في تقسيمه لكتابه في أبواب وفصول، ولسهولة فهم محتويات الكتاب أضفت بعض العناوين التي لا تؤثر على مضمون النص المحقق، وضعتها أول الأسطر، وأشرت لها في مواضعها.

٢- اتبعت منهجاً تلفيقياً للاستفادة من زيادات وتصويبات النسخ الأخرى، عند مقارنتها بالنسخة الأم.

٣- تحققت من خلال المراجع المختلفة كالمخطوطات والفهارس، من نسبة المخطوط إلى مؤلفه نورالدين القرافي.

٤- اعتمدت نسخاً أساسية في التحقيق هي: نسخة المجمع العلمي العراقي ورمزت لها بالرمز (أ) ونسخة جامعة الملك سعود ورمزت لها بالرمز (ب) ونسخة مكتبة باريس الوطنية ورمزت لها بالرمز (ج).

٥- اتخذت من نسخة المجمع العلمي العراقي ورمزها (أ) أصلاً لاكتمالها ووجود زيادات كثيرة فيها، وهي النسخة الوحيدة التي ذُكر فيها اسم المؤلف، وتبنيت ترتيب صفحاتها وبنيت عليها المنهج التلفيقي الذي سرت عليه، وقمت بنسخها وتصحيحها من النسخ الأخرى بإضافة الجمل الساقطة، وتصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية والصرفية، والألفاظ الغريبة أو غير الواضحة، أو ما به محوٌ أو بياضٌ.

٦- اعتمدت نسخاً مساعدة، قد احتاجها في بعض التصويبات وهي: نسخة دار المخطوطات بصنعاء ورمزت لها بالرمز (د)، ونسخة مكتبة شستربتي بايرلندا ورمزت لها بالرمز (هـ). ونسخة المكتبة الوطنية بالجزائر ورمزت لها بالرمز (و).

٧- أشرت إلى اختلافات النسخة (أ) عن النسخ الأخرى زيادة كانت أو نقصاناً، أو تصويبا.

٨- أضفت زيادات النسخ الأخرى إلى النسخة (أ) في المواضع التي يتطلب فيها التحقيق ذلك، مع الإشارة لتلك الزيادات في الهوامش.

٩- عزو الآيات إلى سورها من القرآن الكريم، وأثبت أرقامها.

١٠- أكملت الآيات القرآنية التي وقف عندها المؤلف في كلمة (لا)، فيما أخذه من كتب الشيخ أحمد البوني.

١١- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة، وبينت مراجعها من كتب السنة، وإذا كان الوجه المرجح في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بوجود ما فيهما عن الحكم عليه.

١٢- أثبتُّ النص الأقرب للأحاديث الواردة في المتن والتي لم أتمكن من الوقوف عليها في كتب الحديث المعروفة، ومعظمها مأخوذ من كتاب الإمام الغزالي التبر المسبوك، وسوف أشير إليها في مواضعها.

١٣- حاولت قدر المستطاع توثيق النصوص التي وردت في الكتاب، وعزوها إلى أماكنها.

١٤- حاولت قدر الإمكان التعريف بمصادر المؤلف.

١٥- قمت بذكر بيانات المصدر كاملة في هامشه الأول، وعند وروده في هوامش أخرى أشير إليه مختصراً بالاسم والجزء والصفحة.

١٦- اجتهدت في إصلاح الأخطاء اللغوية والنحوية، والإملائية والصرفية، المشتركة بين جميع النسخ.

١٧- شرحت من ألفاظ النص، ومعانيه ما رأيته ضرورياً للفهم.

١٨- بينت الكلمات والمصطلحات الغريبة، بالرجوع إلى عدة قواميس.

١٩- ترجمت للأعلام الوارد ذكرها في المخطوط قدر المستطاع حتى يستفيد القارئ منها، وذكرت بعض أهم مراجع الترجمة لمن أراد التوسع في ذلك.

٢٠- أثبتُ النص المستخلص من النسخ، وفق قواعد الإملاء.

٢١- أثبتُ الفروق بين النسخ، في هامش كل صفحة من صفحات النص.

٢٢- التعليقات والشروح المثبتة في حواشي المخطوطة، أشرت إليها ضمن الفروق بين النسخ في هامش كل صفحة، أما الحواشي التي هي من صميم النص فقد أدرجتها في النص.

٢٣- ترجمتُ لحياة المؤلف، وشيوخه ومصنفاته، وعصره، مما رأيته ضروريا لفهم الكتاب ومكانته.

٢٤- وضعت ثبتاً لأهم المراجع التي استفدت منها في الدراسة والتحقيق.

٢٥- وضعت من الفهارس ما رأيته ضرورياً لزيادة الفائدة.

## الباب الرابع
## التعريف بالكتب المتعلقة بالكتاب

كتاب "اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور"، مجموع لطيف جمعه الشيخ القرافي من كتب متعددة، وحتى يكتمل تحقيقه، وتعم فائدته، لا بد من نبذة قصيرة عن كل كتاب يسر الله لي الاطلاع عليه، ولتكن البداية بكتاب شيخ مشايخه السيوطي.

**الفصل الأول: التعريف بالكتب التي نقل منها المؤلف وهي:**

**الجامع الصغير في حديث البشير النذير**[١]:

كتاب في الحديث، لمؤلفه عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي[٢] اختصره من كتابه الكبير المسمى جمع الجوامع، وجمع فيه الأحاديث النبوية بأسرها، ورتبه على حروف المعجم، ورمز لمن أخرج الحديث من المصنفين بعد كل حديث برمز[٣]. ولأسماء الكتب ومؤلفيها برموز أيضاً[٤]. وقد احتوى الجامع على حوالي (١٠٠٣١) حديثاً.

بدأه: الحمد لله الذي بعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأقام في كل عصر من يحوط هذه الملة بتشييد أركانها، وتأييد سننها وتبيينها، واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفاً، وسميته الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، وأول حديث فيه: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله،

---

[١] - مطبوع ومن طبعاته بالقاهرة : طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي (د.ت)، والمطبعة الميمنية ١٣٢١هـ، ودار الطباعة ١٢٨٦هـ، وطبع بدمشق محققا سنة ١٤١٧هـ، تحقيق عيدالله الدرويش

[٢] - أنظر: كشف الظنون ٥٦٠/١ ، الأعلام ٣٠١/٣.

[٣] - (خ) للبخاري ، (م) لمسلم، (د) لأبي داود، (ن) للنسائي (ت) للترمذي (هـ) لابن ماجه، (4) لأصحاب السنن (3) لأصحاب السنن إلا ابن ماجه

[٤] - (حم) لأحمد في مسنده (ك) للحاكم في مستدركه (خد) للبخاري في الأدب المفرد (تخ) للبخاري في التاريخ (حب) لابن حبان في صحيحه (طب) للطبراني في معجمه الكبير (طس) للطبراني في الأوسط (طص) للطبراني في الصغير (ش) لابن أبي شيبه في مصنفه (عب) لعبدالرزاق في مصنفه (ع) لأبي يعلى في مسنده (قط) للدارقطني في سننه (فر) للديلمي في مسند الفردوس (حل) لأبي نعيم في الحلية (هب) للبيهقي في شعب الإيمان (هق) للبيهقي في السنن (عد) لابن عدي في الكامل (عق) للعقيلي في الضعفاء (خط) للخطيب البغدادي في التاريخ (كر) لابن عساكر في تاريخ دمشق.

فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[١].

وختمه: اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، (وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه الله منه)[٢].

**بدايه الهداية[٣]:**

كتاب في الوعظ والإرشاد، لمؤلفه الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد، الغزالي[٤]، تناول فيه طلب العلم، وقسمه إلى أقسام، الأول منها في: الطاعات والثاني: في اجتناب المعاصي، والثالث: في آداب الصُحبة.

وجاء فيه: فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم، المظهر من نفسه صدق الرغبة، وفرط التعطش إليه، أنك إن كنت تقصد بالعلم المنافسة، والمباهاة، والتقدم على الأقران، واستمالة وجوه الناس إليك، وجمع حطام الدنيا؛ فأنت ساع في هدم دينك، وإهلاك نفسك، وبيع آخرتك بدنياك؛ فصفقتك خاسرة، وتجارتك بائرة، ومعلمك معين لك على عصيانك، وشريك لك في خسرانك، وهو كبائع سيف لقاطع طريق.

وإن كانت نيتك وقصدك، بينك وبين الله تعالى من طلب العلم: الهداية دون مجرد الرواية؛ فأبشر؛ فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت. فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة، وويل للعالم، حيث لم يعمل بما عمل ألف مرة.

وذكر أن الناس في طلب العلم على أحوال منهم: رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة؛ فهذا من الفائزين. ورجل طلبه

---

[١] ـ أخرجه مسلم في صحيحه (١٥١٥/٣ رقم ١٩٠٧) باب قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية)

[٢] ـ عن أبي هريرة قال أبو القاسم صلى الله عليه و سلم : إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه . أخرجه مسلم في صحيحه (٥٨٣/٢ رقم ٨٥٢) باب في الساعة التي في يوم الجمعة.

[٣] ـ طبع بالقاهرة ومن طبعاته: طبع بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٩١هـ ، ومطبعة البابي الحلبي وأولاده سنة ١٣٣٧هـ، ونشر محققاً بمطبعة مدبولي سنة ١٤١٣هـ، تحقيق: محمد زينهم عزب.

[٤] ـ محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، أنظر: كشف الظنون ٢٢٨/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/١١

ليستعين به على حياته العاجلة، وينال به العز والجاه والمال، وهو عالم بذلك، مستشعر في قلبه ركاكة حاله، وخسة مقصده، فهذا من المخاطرين.

**التبر المسبوك في نصيحه الملوك[١]:**

كتاب في الوعظ والإرشاد، لمؤلفه الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد، الغزالي، كتبه للسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه[٢]، يذكره بنعم الله عليه، ويحذره من الفساد، لأن صلاح الأمم من عدل ملوكها، وقد أورد له حكايات وقصصا للملوك الغابرة، وتناول فيه فضيلة السياسة العادلة، والحكمة والتعقل في تدبير أمور الرعية، وأصول العدل والإنصاف، وفي ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وفي سياسة الوزارة وسيرة الوزراء، وفي ذكر الكتّاب وآدابهم، وفي سمو همم الملوك، والعدل في الرعية، والكف عن الظلم، وفي ذكر حلم الحكماء، وفي شرف العقل والعقلاء.

وجاء فيه: ولما قدّر الله تعالى هذا التقدير وجعل الإنسان وأحواله واكتسابه وأعماله، منها ما هو سبب لسعادته، ومنها ما هو سبب لشقاوته، والإنسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه، خلق الله تعالى بحكم فضله ورحمته، وطوله ومنته، ملائكة، وبعثهم إلى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الأزل، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة، والشقاوة، لئلا يكون للناس على الله حجة، وأرسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم آخراً، وجعله بشيراً ونذيراً، فأوصل نبوّته إلى درجة الكمال، فلم يبقَ للزيادة فيه مجال، ولهذا جعله خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، وأمر الخلائق من الأنس والجن بطاعته وإتباعه، وجعله سيد الأولين والآخرين، وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم خير أصحاب الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين.

---

[١] ـ نشر بمكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ، وبدار الكتاب الإسلامي ١٤١٢هـ، ونشرته المؤسسة الجامعية ببيروت محققاً، تحقيق: محمد أحمد دمج سنة ١٤٠٧هـ. ونشرته دار العاذرية بالرياض سنة ١٤١٥هـ، تحقيق نعمان صالح الصالح.

[٢] ـ صاحب العراق، الملك غياث الدين أبوشجاع محمد بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان التركي السلجوقي (ت ٥١١هـ) أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٩/٣٧) تحقيق مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة.

**معيد النعم ومبيد النقم**[1]:

كتاب في الوعظ والإرشاد، لمؤلفه عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، السبكي[2].

بدايته: حمدا لله معيد النعم ومبيد النقم، بمزيد من الشكر ومديد الكرم، والصلاة على نبيه.

فقد ورد عليَ سؤال مضمونه هل من طريق لمن سُلب نعمة دينيه أو دنيويه إذا سلكها عادت إليه وردت عليه؟

وفي جوابه ذكر ثلاثة أمور، يحصل بمجموعها دواء مرضه ويعقبها زوال علته، بعضها مترتب على بعض، لا يقوم ثالثها على ثانيها، ولا ثانيها على أولها، فعاد السائل قائلا: اشرح لنا هذا الدواء وصفاً واضحاً، لنستعمله فقلت: هذا سر غريب، جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه، وبناء عظيم، أكثر الناس معرضون عن فهمه، لاستيلاء الغفلة على القلوب، ولغلبة الجهل بما يجب بالرب على المربوب.

الأمر الأول: أن تعرف من أين أتت، وما السبب الذي زالت به عنك النعمة، فإن النعمة لا تزول عنك سدى، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

واعلم أنها لم تزل عنك إلا لاختيالك بما يجب عليك من حقوقها، وهو الشكر، فان كل نعمة لا تشكر جديرة بالزوال، ومن كلامهم: النعمة إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت.

وقيل: لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت وقيل: النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر، فالشكر يكون بالقلب واللسان والأفعال، هذه أركانه الثلاثة، والقلب أعظمها. الأمر الثاني: إذا أصابتك مصيبة فهي من الله، وإذا زالت عنك نعمة فلا تتحسر واصبر، فذلك من الله. والأمر الثالث: أن تقول أن النعمة تبدلت بأعظم منها، ولا يقال أنها زالت.

---

[1] ـ نشرته مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت سنة ١٤٠٧هـ. ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٣هـ، بتحقيق محمد النجار وآخرين.

[2] ـ عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي (ت ٧٧١هـ)، نظر: الأعلام ١٨٤/٤، كشف الظنون ١٧٤٤/٢، معجم المؤلفين ١٢٧/٧ـ١٢٨، الدرر الكامنة ٦٣/٣ـ٧١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مكان النشر حيدر أباد/ الهند .

**فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء**[١]:

كتاب في الأدب والوعظ والإرشاد، لمؤلفه أحمد بن محمد بن عبدالله ابن عربشاه[٢]، فيه كثير من الحكايات، والنوادر والطرائف، والعبر، والقصص والمواعظ للحكام، كما يحث على طلب العلم، وجاء فيه: قال بعض الوزراء لابنه: يا بني تعلم العلم والأدب، ولا تسأم فيهما من الطلب.

وأحوج الناس إلى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك، ومن تبعهم في السلوك، فإنهم بين خلق الله تعالى المرموقون والسابقون بجلائل النعم، لا المسبوقون، وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون، منهم موثوقون فهم المتحملون لأعباء العدل، المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل.

وقال بعضهم : يا بني اكتسبوا العلم والفضل، وادخروا الحلم والعدل، فان احتجتم إلى ذلك كان مالاً، وإن استغنيتم عنه كان جمالاً.

قال من يقول للشيء كن فيكون: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣].

وقال بعض الحكماء: العلم ملك ذو أعضاء، رأسه التواضع، ودماغه المعرفة، ولسانه الصدق، وقلبه حسن النية، ويداه الرحمة، ورجلاه مثابرة العلماء، وسلطانه العدل، ومملكته القناعة، وسيفه الرضا، وقوسه المساءلة، وسهمه المحبة، وجيوشه مشاورة الأدباء، وزينته النجدة، وحكمه الورع، وكنزه البر، وماله العمل الصالح، ووزيره اصطناع المعروف، ومستقره جودة الرأي، ومأواه الموادعة، ورفيقه مودة الأخيار، وذخيرته اجتناب الذنوب، وبصلاح العلماء تصلح الأشياء، وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا، إذ هم لزوال الفساد، وطهارة العباد، وعمارة البلاد، بمنزلة الصابون للأوضار، والاستغفار للأوزار، فإذا فسد هؤلاء فما لفسادهم دواء كما قيل:

الذنبُ صابون الاستغفار يغسله .. كالثوب يُنظَف بالصابون إن وسخا

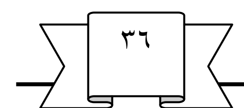
فما الذي يغسل الصابون من دنس .. إذا رأيناه صار الذنب والوسخا

---

[١] - نشرته دار صادر ببيروت (د.ت)

[٢] - أحمد بن محمد بن عبدالله بن عربشاه (ت ٨٥٤هـ)، أنظر: الأعلام ٢٢٨/١

[٣] - الزمر /٩




**قمع النفوس ورقيه المايوس**[١]:

كتاب في الوعظ والإرشاد، لمؤلفه أبي بكر بن محمد بن عبدالمؤمن، الحصني[٢]، تناول فيه فضائل العبادات، والعدل في الحكم، والزهد في الدنيا، وتطرق إلى معجزات وكرامات الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق المبين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وذكر فيه عدل وزهد الخلفاء الراشدين، والصحابة والتابعين، ومن سار بهديهم من الخلفاء والملوك الصالحين، فتناول فيه ورع وزهد الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلي بن أبي طالب، والخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنهم أجمعين، كما تطرق لخلافة معاوية بن أبي سفيان، وحكم هارون الرشيد، واستشهد بكثير من الآيات والأحاديث، والأخبار والروايات والأشعار، وكثرت فيه المواعظ للملوك والأمراء والعلماء.

وختمه بقول أبي الدرداء[٣] رضي الله عنه، لما دخل الشام قال لهم: يا أهل الشام اسمعوا قول أخ ناصح لكم، مالي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، إن الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا، وأملوا بعيدا، وجمعوا كثيراً، فأصبح أملهم غرورا، وجمعهم بورا، ومساكنهم قبورا.

**لم** أقف على كتاب بعنوان **السياسة في تدبير المملكة وحفظ الرياسة للطرسوسي**، وقد أوضح القرافي أنه من ضمن الكتب التي أخذ عنها، ولكن وقفت على كتاب يحمل العنوان نفسه، **السياسة في تدبير المملكة وحفظ الرياسة**[٤]، لأرسطو طاليس بن اقانيوس[٥]، كتاب في السياسة، والوعظ والإرشاد، ألفه إلى تلميذه الملك الأعظم الاسكندر بن فيلس، حين كبرت سنه وضعفت قوته، يتضمن ما يجب أن يعتمده الملك في مأكوله، ومشروبه، وحركاته، وأوامره، ونواهيه، وأمراضه، ولذاته،

---

[١] - لم أقف على نسخة مطبوعة منه، ولكن وقفت على نسخة مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم (٥٨٣٦).

[٢] - أبوبكر بن محمد بن عبدالمؤمن الحصني (ت ٨٢٩هـ)، أنظر ترجمته في: كشف الظنون ١٣٥٦/٢، معجم المؤلفين ٧٤/٣، الأعلام ٦٩/٢

[٣] - أبو الدرداء (ت ٣٢ هـ / ٦٥٢ م) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية، الأنصاري الخزرجي، صحابي، من الحكماء الفرسان، كان قبل البعثة تاجرا في المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، وفي الحديث " عويمر حكيم أمتي " و " نعم الفارس عويمر "، ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب، وهو أول قاض بها، قال ابن الجزري: كان من العلماء الحكماء، وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظا، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، مات بالشام، وروى عنه أهل الحديث. أنظر: الأعلام ٩٨/٥

[٤] - وهو ما يعرف بكتاب سر الأسرار، نشرته دار العلوم العربية سنة ١٤١٥هـ، وقدم له سامي الأعور.

[٥] - أنظر: كشف الظنون ١٤٢٦/٢، بروكلمان ٢٠٣/١

وأدويته، وما يجب أن يعتمده الملك أيضا في كتب سجلاته، وخراجاته، وأمر جيوشه وقواده، وهو نموذج لعلوم شتى، يحتاج إليها الملوك والرؤساء والأمراء.

**لم** أتمكن من الوقوف على **كتاب تهذيب الرياسة في الحكم والسياسة**: لأبي الحسن علي الأهوازي، وقد أوضح القرافي أنه من ضمن الكتب التي أخذ عنها، ولكن وقفت على كتاب مشابه له في مواضيعه عنوانه: **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**[١]، لم يُذكر مؤلفه في فهرس معهد[٢] المخطوطات العربية بمصر، ولكنه نُسب في فهرس مكتبة خدابخش[٣] بالهند، لأبي عبدالله محمد بن عبدالمحسن القلعي، (ت ١١٧٥هـ)، تناول فيه العدل والشورى، والخصال التي يجب توفرها في الملك كالصدق والشجاعة والكرم واللين والقوة، وفيه كثير مما ورد في كتاب اللؤلؤ المنثور كالأحاديث منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[٤].

كما تناول فيه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أشقى الولاة من شقيت به رعيته، وقال بعض الحكماء عدل السلطان خير من خصب الزمان)[٥].

وما روي عن عبدالله بن الزبير: أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية قد جعل فيها عبيدا من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض ابن الزبير فكتب إلى معاوية .

فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له يا بني ما ترى قال أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه. قال أو خير من ذلك يا بني علي بداوة وقرطاس، فكتب إليه: وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه، والدنيا عندي بأسرها هينة في جنب رضاه، وقد

---

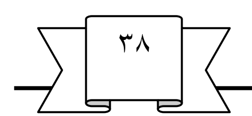
[١] ـ طبع بمكتبة المنار سنة ١٤٠٥هـ، بتحقيق إبراهيم يوسف عجو . إن كان الكتاب لمجهول، كما جاء في فهرس معهد المخطوطات العربية، قد يكون المجهول هو: أبي الحسن علي الأهوازي، وأخذ منه القرافي، وإن كان لأبي عبدالله محمد بن عبدالمحسن القلعي، كما جاء في فهرس مكتبة خدابخش، فلا يمكن أن يكون هو الكتاب الذي أخذ منه القرافي لأن القرافي سابق للقلعي في ولادته ووفاته. والله أعلم.

[٢] ـ أنظر: فهرس المخطوطات العربية المصورة بمعهد المخطوطات العربية ٥٥٣/٢

[٣] ـ أنظر بروكلمان ٣٨٦/٢

[٤] ـ أخرجه مسلم في صحيحه (١٢٥/١ رقم ٢٢٧) باب استحقاق الوالي الغاش. البخاري (٢٦١٤/٦ رقم ٦٧٣٢) باب من استرعي رعية فلم ينصح.

[٥] ـ أنظر : كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعي.




كتبت على نفسي صكا بالأرض والعبدان له، وأشهدت عليها، فليستضيفها مع عبدانها إلى أرضه وعبدانه والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه: وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ولا عدمه الرأي الذي أحله هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه وقال: يا بني إذا بليت بمثل هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء.

وللحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي كتاب في **الفرائد والقلائد**، تناول فيه الوعظ والإرشاد، والأدب وفضائل الأخلاق، يقع في ثمانية أبواب: الإبانة عن فضيلة العقل والعلم، ما يستعان به على الزهد والعبادة، ما يستعان به على أدب اللسان، ما يستعان به على أدب النفس، ما يستعان به على مكارم الأخلاق، ما يستعان به على حسن السيرة، ما يستعان به على حسن السياسة، ما يستعان به على حسن البلاغة.

كما أوضح فيه أدب الشريعة، وأدب السياسة، فقال: أدب الشريعة ما أدى إلى قضاء الفرض، وأدب السياسة ما أعان إلى عمارة الأرض، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان، وعمارة البلدان، وصلاح الرعية، وكمال الفضل والمزية، لأن من ترك الفرض ظلم نفسه، ومن خرب الأرض ظلم غيره.

وقال أفلاطون الحكيم: بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها.

وقال أنوشروان: ما عدل من جار وزيره، ولا صلح من فسد مشيره[١].

وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه، فكان لغيره أظلم، ومن هدم دينه، كان لمجده أهدم، ومن منعك عن الخير حرمك، ومن أعانك على الشر ظلمك.

كما تناول فضل العلم والعقل والحلم، إذ قال: العقل أكمل حلية، والعلم أفضل خلف، والعمل به أجل شرف، ولا سمير كالعلم، ولا ظهير كالحلم، ولا سايس مثل العقل، ولا حارس مثل العدل، ولا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

---

[١] - وفي ذلك حث على الاستعانة بالبطانة الصالحة والبعد عن بطانة السوء . عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله) . أخرجه البخارى في صحيحه (٢٦٣٢/٦ ، رقم ٦٧٧٣) باب بطانة الإمام وأهل مشورته.

وتحدث فيه عن آفات كثيرة منها: آفة الملوك سؤ السيرة، وآفة الرعية مخالفة الطاعة، وآفة الزعماء ضعف السياسة، وآفة العلماء حب الرياسة، وآفة القضاة شدة الطمع، وآفة العدول قلة الورع، وآفة العدل ميل الولاة، وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة المنعم قبح المن، وآفة المذنب حسن الظن.

**منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب**[١]: لابن الدريهم[٢].

وهو كتاب في الوعظ والإرشاد، استعرضه في ثمانية أبواب تفاؤلاً بأبواب الجنة الثمانية.

الباب الأول: في النصيحة وحقيقتها ووجوبها، وأوضح فيه أن مما ظهر في الأرض من الفساد، وغدت به قلائد المذلة في رقاب العباد، وخشي من أجله زوال النعم، وحلول النقم، وخراب البلاد، وهلاك العباد، واستيلاء النصارى على المسلمين أولياء رب العالمين، يتحكمون فيهم، ويتكبرون عليهم، ويطعنون في دينهم، ويظهرون العزة والأنفة عليهم، ويضربونهم ويسبونهم.

والباب الثاني: فيما ورد في الكتاب العزيز من النهي عن استيلاء النصارى واليهود والمشركين على أمور المسلمين، والنهي عن تقريبهم، واستكتابهم وموالاتهم.

والثالث: فيما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين والسلف الصالح، عن النهي عن موالاتهم، وإعزازهم وابتدائهم بالسلام.

والرابع: في صفة العهد المأخوذ على اليهود والنصارى، وعدم الاستعانة بهم.

والخامس: في صفة من يستحق العمل والكتابة للمسلمين.

والسادس: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والسابع: في الظلم وسوء عاقبته، وجاء فيه أن الظلم: هو وضع الشيء في غير محله، واعلم أن من ولى النصارى في شيء من أمور المسلمين فقد وضع الشيء في غير محله، مع مخالفة أمر الله تعالى ورسوله.

والثامن: في مواعظ وحكايات، تُزهّد في هذه القبائح، وترغب في الدار الآخرة.

---

[١] - طبع الكتاب بدار الغرب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٢هـ، بعنوان منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، تحقيق داود الفاضل

[٢] - علي بن محمد بن عبدالعزيز، ابن الدريهم، أنظر ترجمته في الأعلام ٦/٥

**كتب الشيخ أحمد بن علي بن يوسف، البوني**[١]:

للشيخ أحمد البوني كتب كثيرة، معظمها في التصوف: كاللمعة النورانية في الكشوفات الربانية، الدر المنظم في سر الأعظم، شمس المعارف ولطائف العوارف، وسر الحكم وجوامع الكلم.

أخذ القرافي من كتب الشيخ البوني، بعض الأدعية التي تقرأ وقت الشدة، ومقابلة العدو، وذكر آيات أربعة وقف عندها الشيخ أحمد البوني في حرف (لا) كالآية (صم بكم عمي فهم لا)[٢].

**الفصل الثاني: بعض الكتب التي تناولت نفس موضوع الكتاب:**

والكتب التي تلتقي مع كتابنا في مواضيعه كثيرة نختار منها للتعريف:

**كتاب سراج الملوك**، للطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد (ت ٥٢٠هـ).

جمع فيه كثيراً من سير الأنبياء، وآثار الأولياء، ومواعظ العلماء، ونوادر الخلفاء، وحكم الحكماء، ورتبها في أربعة وستين بابا.

وجاء فيه: ومنزلة السلطان من الرعية، بمنزلة الروح من الجسد، فإذا صفت الروح من الكدر سرت إلى الجوارح سليمة، فقرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من التغيير، فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

وقال ابن مسعود: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر، وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر، وعليك الصبر[٣].

اتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا: الملك بناء والجند أساسه، فإذا قوي الأساس قام البناء، وإن ضعف الأساس انهار البناء، فلا سلطان

---

[١] - أحمد بن علي بن يوسف ابوالعباس البوني، متصوف مغربي الأصل، نسبته إلى بونة بأفريقيا، (ت ٦٢٢هـ) بالقاهرة، أنظر ترجمته في: الأعلام ١٧٤/١، كشف الظنون ١٥٦٦/٢، هدية العارفين ٩٠/١

[٢] -لم أعرف سر هذا الوقوف، ولكن أكملتُ الآيات الأربع التي وقف عندها الشيخ أحمد البوني في حرف (لا) في مواضعها لاحقاً.

[٣] - جاء في الحديث الذي أخرجه البيهقي: سيليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر . أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٥/٦ ، رقم ٧٣٦٨) .

إلا بجند، ولا جند إلا بمال، ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل، فصار العدل أساساً لكل الولايات[١].

**كتاب تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك**، لبرهان الدين إبراهيم بن علي الطرسوسي الحنفي [٢].

كتاب بين فيه مؤلفه مصالح الملك، وما تعتمد عليه الملوك، ودوام الملك بحسن السلوك، وقد جاء في اثني عشر فصلا، منها سلطنة الترك، وشروط الولاة والقضاة، وصرف أموال بيت المال.

**كتاب تاريخ الخلفاء**[٣]، للسيوطي.

تناول فيه المؤلف عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين كما تطرق فيه إلى الخلافة في العهدين الأموي والعباسي وما حدث من فتن وحروب.

---

[١] ـ أنظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، لأبي عبد الله القلعي، دار النشر ـ مكتبة المنار ـ الأردن الزرقاء، الطبعة : الأولى، تحقيق : إبراهيم يوسف ص ٩٩، جاء فيها: المملكة لا تصلح إلا بأعداد الأجناد ولا تعد الأجناد إلا بإدرار الأرزاق ولا تدر الأرزاق إلا بعمارة البلاد ولا تعمر البلاد إلا بالأمن والعدل في العباد.

[٢] ـ لترجمة المؤلف أنظر: الأعلام ٥١/١ . كتاب تحفة الترك في ما يجب أن يعمل في الملك، نشر بدار الطليعة ببيروت سنة ١٤١٣هـ، بتحقيق رضوان السيد، ونشر بالمعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٩٧م تحقيق محمد منصوري.

[٣] ـ تاريخ الخلفاء: نشرد بدار القلم العربي بحلب، تحقيق: نايف العباس سنة ١٤١١هـ، ودار الكتاب العربي ببيروت بتحقيق سعيد العيدروسي سنة ١٤٢٦هـ، وبدار الكتاب العربي بالقاهرة بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم .

## الباب الخامس

## وصف النسخ، ونماذج من بعضها

وصفت في هذا الباب النسخ المعتمدة في التحقيق، والنسخ الأخرى المساعدة، مع نماذج من النسخ (أ) و (ب) و (ج)، والنسخ هي:

**نسخة[١] المجمع العلمي العراقي:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوب، وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب..

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

كتبت بخط نسخي معتاد سنة ١٢٤٩هـ، عدد أوراقها: ٢٢ ورقة، عدد الأسطر: ٣٣ سطر، ورقمها بالمجمع العلمي العراقي: ٩٤٩/م

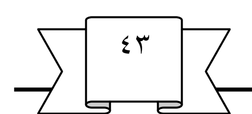
**نسخة جامعة الملك سعود:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوباً وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب.

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

---

[١] - توجد صورة منها بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض برقم : ٧١٧٢




كتبت بخط نسخي، عليها تملك: إلى نوبة العبد الحقير الجامي حسن سنة ١١٥١، عدد الأوراق: ٤٨ ورقة، عدد الأسطر: ١٩ سطر، ورقم الحفظ: ف ٣/٢٣٨

**نسخة[1] مكتبة باريس الوطنية:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب إقفال القلوب، ورفع حجب السرائر، وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوب، وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب تذكرة لأولي الألباب..

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

كتبت بخط النسخ ، عدد أوراقها: ٩١ ورقة، عدد الأسطر: ١٥ سطر، ورقم الحفظ: ٣٥٧٥

**نسخة المكتبة الوطنية بالجزائر:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوب، وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب..

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

كتبت بخط النسخ، عدد أوراقها: ٧٧ ورقة ، عدد الأسطر: ١٣سطر، تاريخ النسخ: آخر ليلة رمضان ١٢٤٤هـ، الناسخ: علي مصطفى، ورقم الحفظ بالمكتبة: ٢١٠٥

---

[1] - توجد منها صورة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٣٥٧٥- فب

**نسخة دار المخطوطات باليمن:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر، وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوب، وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب..

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

كتبت بخط النسخ، عدد أوراقها: ٥٦ ورقة ، عدد الأسطر: ١٩سطر، الخط: نسخ وعليها تملك بتاريخ ١١٣٩

**نسخة[1] مكتبة تشستربتي بايرلندا:**

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب إقفال القلوب، ورفع حجب السرائر وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوب، وجلا عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب.. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة .. وسميته اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور، وجعلته مشتملا على نصائح وآداب، تذكرة لأولي الألباب.

**وآخرها:** في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة جمعتها من مؤلفات كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني، وغيره، يحتاج الناس إليها، وأشد الناس لها احتياجاً ولاة الأمور.

كتبت بخط نسخي متقن سنة ١١٥٦هـ ، الناسخ : أبوالخير أحمد بن محمد، عدد الأوراق: ٦٨ ورقة ، عدد الأسطر: ١٧ سطر، ورقم الحفظ : ٥٠٢٧

[1] - توجد منها صورة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض برقم ٥٠٢٧

**نسخة مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بمصر:**

لم أوفق في الحصول عليها، واطلعت على أوصافها بفهرس مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي[١].

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب

**أخرها**[٢]: قال أنوشروان لولده إذا كان الوزير متصفا بتلك الصفات الحميدة، فلا يجوز مخالفته البتة، والله أعلم.. وبآخرها أبيات شعرية.

نسخة جيدة كتبت بقلم فارسي، تاريخ النسخ: ١١٣٨هـ، عدد الأوراق: ٦٩ ورقة، عدد الأسطر: ١٦ سطر، ورقم الحفظ بالمكتبة: ٣٧/تصوف

**نسخة مكتبة الكونجرس الأمريكي:**

لم أوفق في الحصول عليها، واطلعت على أوصافها بفهرس مكتبة الكونجرس الأمريكي[٣].

**أولها:** الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب .. وبعد فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة، وهي الجامع الصغير للسيوطي ..

**آخرها**[٤]: وصلى الله على سيدنا محمد

ليس عليها اسم مؤلف ولا ناسخ ولا تاريخ نسخ، وعدد أوراقها: ١٤٤ ورقة.

وتمكنت بحمد الله وعونه من الاطلاع على جميع النسخ الموصوفة، عدا نسختي مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بمصر، ومكتبة الكونجرس الأمريكي بواشنطن.

---

[١] - أنظر: فهرس مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي تأليف د. يوسف زيدان، الناشر: معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٩٨م. ٣/٨٣٠

[٢] - لم اطلع على هذه النسخة وأعتقد والله أعلم أن آخرها: فوائد الشيخ أحمد البوني لأنها تمثل الباب الرابع من الكتاب حيث قال في مقدمته: ورتبته على أربعة أبواب، راجياً من الله الكريم الوهاب، الهداية إلى طريق الصواب، وذكر الباب الرابع في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة: جمعتها من كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني.

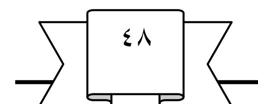
[٣] - أنظر: فهرس مكتبة الكونجرس الأمريكي، تأليف د. صلاح الدين المنجد، الناشر : دار الكتاب الجديد بلبنان رقم تسلسلي ٤٥ صفحة ٣٥ - ٣٦

[٤] - لم اطلع على هذه النسخة وأعتقد والله أعلم أن آخرها: فوائد الشيخ أحمد البوني لأنها تمثل الباب الرابع من الكتاب حيث قال في مقدمته: ورتبته على أربعة أبواب، راجياً من الله الكريم الوهاب، الهداية إلى طريق الصواب، وذكر الباب الرابع في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة: جمعتها من كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني.

## نسخة المجمع العلمي العراقي

الصفحة الأولى من نسخة المجمع العلمي العراقي ورمزها (أ)

الصفحة الأخيرة من نسخة المجمع العلمي العراقي




## نسخة جامعة الملك سعود

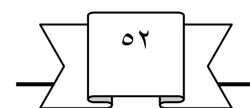
الصفحة الأولى من نسخة جامعة الملك سعود ورمزها (ب)

الصفحة الأخيرة من نسخة جامعة الملك سعود

## نسخة مكتبة باريس الوطنية

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة باريس الوطنية ورمزها (ج)

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة باريس الوطنية




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب، ورفع حجب السرائر، وأنار بنوره البصائر، فظهر ما كان محجوباً[١]، وجلى[٢] عرائس الوجود في مرآة الشهود، فمن فهم المقصود بلغ المطلوب، ووفّق من شاء من عباده، وجاهد في الله حق جهاده؛ ففاز من نيل مراده[٣] بما سبق له في المكتوب.

**أحمده** حمد من إليه يؤوب، ومن ذنبه يتوب[٤]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها لتفريج الكروب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي اختاره من الأنام محبوباً فنعم المحبوب، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلاماً دائمين، إلى يوم وعد غير مكذوب، **وبعد:**

فهذا مجموع لطيف جمعته من كتب متعددة وهي: الجامع الصغير في حديث البشير النذير، للجلال السيوطي[٥]، وبداية الهداية[٦]، للغزالي، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك[٧]، له أيضاً[٨]، وكتاب معيد النعم، للإمام السبكي، وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء[٩]، لابن عرب شاه، وقمع النفوس، للإمام الحصني، وكتاب السياسة في تدبير المملكة وحفظ الرئاسة، للطرسوسي[١٠]، وتهذيب الرياسة في

---

[١] - محجوب في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)
[٢] - جلا في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - المراد في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - |ومن ذنبه يتوب| زيادة في (أ)
[٥] - اختصره السيوطي من كتابه (جمع الجوامع).
[٦] - النهاية في (ب) و (ج) و (د)، والصحيح هو الهداية
[٧] - كتاب في الوعظ والإرشاد لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ - ١١١١م)
[٨] - |له أيضا| زيادة في (أ)
[٩] -|ومفاكهة الظرفاء| زيادة في (أ) و (د) و (هـ)
[١٠] - الطرسوي في (ب) و (ج) و (د).. لم أتمكن من الوقوف على كتاب للطرسوسي بهذا العنوان، ولكن لمحمد بن الوليد بن محمد الطرسوسي (ت ٥٢٠هـ) كتاب في السياسة الشرعية بعنوان سراج الملوك ... ولأرسطو طاليس بن نيقومانس، كتاب بعنوان: السياسة في تدبير المملكة وحفظ الرياسة وهو ما يعرف بسر الأسرار، كتبه لتلميذه الملك الأعظم الاسكندر بن فيلس حين كبرت سنة وضعفت قوته عن الغزو معه، وهو موسوعة لعلوم شتى يحتاج إليها الملك، وكان مكتوباً بالقلم اليوناني واللفظ السرياني، ونقله ابن البطريق ويوحنا الذمي ويحيى بن ماسويه، في أيام الخليفة أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد ورسم لكل واحد منهم ألف دينار من ذهب. أنظر مخطوط رقم: ٢٨١٥ بمركز الملك فيصل للبحوث.

الحكـم والسياسـة، لأبـي الحسن علـي[١] الأهوازي[٢] وغيرها مما طالعته من المجاميع بمصر وأرض اليمن، وسميته "**اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور**".

وجعلتـه مشـتملاً علـى نصـائح وآداب تـذكرة لأولـي الألبـاب، عمـلاً بمـا جـاء فـي الكتاب المبين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، ورتبته على أربعة أبواب، راجياً من الله الكريم الوهاب، الهداية إلى طريق الصواب، وأن يُوفِقَ من عمل به إلى هدي ينجيه غداً من [عذاب النار و][٤] سوء الحساب، بين يدي رب الأرباب، إنه بالإجابة جدير، وبعباده لطيف خبير.

**الباب الأول:** في فضل العقل وتعريفه، وما خص الله تعالى به ذوي العقول، وما ورد في ذلك من الأخبار، والأحاديث، والآثار، ونحو ذلك مما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

**الباب الثاني** : في بيان ما يجب ويتعين على ولاة الأمور من العمل به، وما ينبغي التحرز منه، وما ورد من الأحاديث الشريفة في حق ولاة الأمور.

**البـاب الثالـث** : فـي أخبـار وآثـار ونصـائح ورغائـب[٥]، ومـا وقـع للملوك السـابقين من الأحكام، وما ينبغي لولاة الأمور أن تعمل به اقتداء بهم.

**الباب الرابع** :في فوائد ومنـافع وخواص صـحت بالتجربـة، جمعتها من مؤلفات كتب[٦] الإمام الجليل أبـي العباس أحمد البوني وغيره، يحتـاج النـاس إليها وأشد النـاس لها[٧] احتياجاً ولاة الأمور، فأقول راجياً من الله الإخلاص والقبول:

---

[١] - |علي| زيادة في (أ)

[٢] - لم أقف على كتاب لأبي الحسن على الأهوازي، بهذا العنوان ، ولكني وقفت على كتاب للحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي (ت ٤٤٦هـ - ١٠٥٥م) عنوانه الفرائد و القلائد وهو كتاب: في الفضائل والأخلاق جعله في ثمانية أبواب ومنها: الإبانة عن فضيلة العقل والعلم وما يستعان به على الزهد والعبادة وأدب النفس ومكارم الأخلاق وحسن السياسة . لترجمة المؤلف أنظر الأعلام ٢٤٥/٢

[٣] - الذاريات/٥٥

[٤] - زيادة في (هـ)

[٥] - الرَّغائِبُ ما يُرْغَبُ فيه من الثوابِ العظيمِ. لسان العرب ٤٢٢/١ أنظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر : دار صادر – بيروت، ط١.

[٦] - |كتب| زيادة في (أ)

[٧] - إليها في (هـ)

**الباب الأول: في فضل العقل وتعريفه، وما خص الله تعالى به ذوي العقول، وما ورد في ذلك من الأخبار والأحاديث والآثار على ما يتأتى بيانه إن شاء الله تعالى:**

[اعلم أنا لم نبدأ بالعقل إلا لأن الله تعالى ما خاطب به إلا أولي الألباب][١]، أي ذوي العقول، فقال عز وجل في كتابه المكنون: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢] وقال في محكم الكتاب: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٥].

**روي أن الله** تعالى لما خلق العقل[٦]، أوقفه بين يديه في أحسن صورة، فقال له اقبل فاقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي لأجعلنك في خيار[٧] خلقي، ما خلقت خلقا أعز علي منك، بك أحاسب، وبك أعاقب، وبك آخذ وبك أعطي[٨].

والدليل على ذلك أن الله تعالى جعل نظام العالم منوطا بشيئين: الأمر، والنهي، وكلاهما موقوف على العقل.

**وتعريف العقل** : هي قوة غريزية، يُسكنها الحق[٩] سبحانه وتعالى، في الخواص من خلقه، تؤدي إلى إدراك المعقولات، ومحله الرأس، وله نور متصل بالقلب، وعند بعضهم أن محله القلب، وله نور متصل بالرأس. وهو ينقسم إلى قسمين: قسم لا يقبل الزيادة والنقصان، وقسم يقبلهما[١٠].

أما الذي لا يقبل الزيادة والنقصان فهو: العقل الغريزي الذي يجري به القلم على صاحبه[١١] عند الاحتلام، فعند ذلك يجري عليه التكليف بالأحكام الشرعية.

---

[١] - في (و) : إنما بدأنا بالعقل لأن الله تعالى خاطب به أولي الألباب. وهو الصواب لاستقامة المعنى.
[٢] - الروم/٢٤
[٣] - الرعد/١٩
[٤] - الزمر / ٢١ ، زيادة في (أ)
[٥] - العنكبوت /٤٣
[٦] - حاشية بالمخطوط جاء فيها: قال ابن تيمية وتبعه غيره إنه كذب موضوع باتفاق (يقصد حديث العقل).
[٧] - حسان في (د). أخذه المؤلف من كتاب الإمام الغزالي التبر المسبوك في نصيحة الملوك ١١٥/١
[٨] - أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣١٨/٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، والديلمي في مسند الفردوس (١٣/١ ، رقم ٤).
[٩] - الله في (ب) و (ج)
[١٠] - [وقسم يقبلهما] زيادة في (أ)
[١١] - أصحابه في (د)

وأما [العقل][١] الذي يقبل الزيادة والنقصان، فزيادته ونقصانه كسبية بحسب التجارب والوقائع والحوادث.

ولهذا كل حيوان يولد بعقله؛ الذي خصه الله به كاملاً إلا الإنسان، ألا ترى أن ولد الدابة حين يولد يعقل ثدي أمه، فيلقمه[٢] في الوقت، ثم يجري يميناً وشمالاً، فإذا بلغ بئراً وقف أو رجع القهقرى خوف التردي فيها، بخلاف الإنسان فإنه إذا وُضِع له جمرة وتمرة، ربما أخذ الجمرة وترك التمرة، لكنه كلما كبر زاد عقله إلى أن يبلغ أربعين عاما. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[٣]. فباعتبار هذا الحال يكون الكهل أتم عقلاً وأكمل تدبيراً.

قال الحكماء: من بيضت الحوادث سواد لمته[٤]، واخلق[٥] التجارب لباس جنته[٦]، وأرضعه الدهر من وقائع الأيام أخلاق درته[٧]، وأراه الله تعالى بكثرة ممارسته للأمور تصاريف أقداره، وأقضيته،كان جديراً برزانة[٨] العقل، ودرجاته[٩]، خصوصاً من فقهه الله في الدين، وجعله بزيادة العقل من العلماء الراسخين، فهو في قومه كالنبي في أمته شعر:

ما وهب [الله][١٠] لامرئ هبة .. أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتى فان فقدا .. ففقده للحياة أليق به

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د) و (و)
[٢] - لا يولد الحيوان بعقله كاملاً ولكن قد ينمو عقله بصورة أسرع، ألا ترى أن الجرو قد يطارد الأسد، اللقم كثرة شرب اللبن . لسان العرب ٢٦٨/١٢ في (و) فيلتقمه
[٣] - الأحقاف/١٥
[٤] - وفي لسان العرب ٢٨٧/٥ اللِّمَّة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . وفي الصحاح ٢٠٣٢/٥ يجاوز شحمة الأذن فإذا بلغت المنكبين فهي جمة. أنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشرته: دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
وفي الحديث عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من أُدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم ..الخ)، صحيح البخاري (٢٢١١/٥ رقم ٥٥٦٢) ، باب الجعد. صحيح مسلم (١٥٤/١ رقم ١٦٩) باب ذكر المسيح ابن مريم.
[٥] - واخلقت في (هـ). ( الخلق ) البالي من الثياب والجلد وغيرها وفي المثل ( لا جديد لمن لا خلق له ) . أنظر: المعجم الوسيط ٢٥٢/١
[٦] - حدث تحريف في الكلمة وهي جدّته كما في (ج) و (هـ) و (و). وهو الصواب: لأن ثوب سَحْق هو الخلَق الذي انْسَحَق ولانَ (سَحْقَ البِلى جدَّته). أنظر: لسان العرب ١٥٢/١٠.
[٧] - أدرأت الناقة بضرعها: إذا استرخى ضرعها وهو إذا نزل اللبن عند النتاج. لسان العرب ٩٦١/١
[٨] - برجاحة في (هـ)
[٩] - ورجاحته في (ب) و (ج) و (و)، رجحانه في (د) . ورزانته في (هـ).
[١٠] - زيادة في (ب) و (ج) و (د) و (و). والأبيات من قصيدة لأبي بكر محمد بن يوسف بن الطباخ الواسطي البغدادي . أنظر: البداية والنهاية ١١١/١٣

**العقل والعلم والتدبير[١]:**

قال سعيد بن جبير[٢]: ما رأيت للإنسان لباساً أشرف من العقل، وأول شيء يحتاج إليه الإنسان العقل الممتزج بالعلم، ومن علامات العاقل[٣]، أن يتجاوز عن من ظلمه، وأن يتواضع لمن [هو][٤] دونه، والتغافل عن قول يسوءه، وأن يكون شأنه المبادرة إلى فعل[٥] الخيرات.

سئل بعض الحكماء[٦] بم يعرف عقل الرجل؟ قال: بقلة كلامه، فإنه إذا تم العقل نقص الكلام.

**وأعلم** أن الدين تابع للعقل، فحيث كان العقل كان الدين معه، والعقل جمال الإنسان، وكماله العلم، ونظامه التدبير، وليس للملوك شيء أحسن من هذه الخصال، فمن اجتمع فيه العقل، والعلم، والتدبير، فقد حاز خصالاً حميدة وهي: الدين، والتقى، والأدب، والأمانة، والعفة، والقناعة، والرحمة، والحياء، والزهد، والوفاء، والصدق، والسكينة، والحلم، والعدل، والتؤدة، والمداراة[٧]، وحسن الخلق، فهذه خواص آداب الملوك.

واعلم أن العقل والتدبير أخوان، فمن أعطاه الله عقلاً فقد حاز التدبير، وكل عيب أو نقص صدر من إنسان[٨]، إنما صدر عن قلة عقل، لأنه لو كان عاقلاً لتدبر عاقبة ذلك الشيء، فلا يصدر منه نقص، ولا عيب.

وما أحسن جواب يزدجرد حين سأله نوشروان ما زينة الإنسان؟ قال: العقل الذي يسود به على كل إنسان، قيل فإن لم يكن؟ قال: أدب يتميز به على سائر الأقران، قيل فإن لم يكن؟

---

[١] - قسمت المخطوط إلى مباحث وضعتها أول السطر، وهذا العنوان منها، دون ذكر كلمة مبحث. والفصول التي وضعها المؤلف تركتها موصولة بالجمل.

[٢] - سعيد بن جبير الاسدي (ت ٩٥هـ) ، أبو عبد الله: تابعي، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيدا. أنظر: الأعلام ٩٣/٣. ورد الأثر في كتاب التبر المسبوك لحجة الإسلام الإمام الغزالي ١١٥/١

[٣] - العقل في (ب) و (ج )

[٤] - زيادة في (هـ)

[٥] - [فعل] زيادة في (أ) . ورد الأثر في كتاب التبر المسبوك لحجة الإسلام الإمام الغزالي ١١٥/١

[٦] - العلماء في (ب)

[٧] - المروة في (د). المدارة : المخالفة والمدافعة يقال فلان يداري ولا يماري أي لا يشاغب ولا يخالف، وداريته : أي اتقيته ولاينته اتقاء شره. والمداراة في حسن الخلق. أنظر: لسان العرب ٩٦٠/١

[٨] - الإنسان في (ب) و (ج) و (د)

قال: حسن[١] خلق يؤدي إلى سلامة[٢] يوم يوضع الميزان، قيل فان لم يكن؟ قال: كرم يستميل به قلوب الأصدقاء والاخوان[٣]، قيل فان لم يكن؟ قال: صمت يستر به نقصه وجهله، قيل فان لم يكن؟ قال: صاعقة من السماء تنزل عليه فتحرقه.

وسئل بعض الحكماء[٤] بم يعرف عقل[٥] الرجل إذا كان غائبا؟ قال: بكتابه وبرسوله وبهديته، فإن كتابه يخبر عن نطق لسانه، لأن القلم أحد اللسانين، ورسوله [قائم مقام][٦] نفسه، لأنه ما أرسله إلا وقد تخيره، وهديته عنوان همته.

سئل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ما الدليل على كمال عقل[٧] الرجل؟ قال: إذا صنع المعروف مبتدئا به، وتجاوز عن الذلة، وتجنب مواطن[٨] الاعتذار[٩]، وليس من كمال عقل الرجل أنه إذا وقع في أمر اجتهد بعقله في الخلاص منه بحسن التدبير، بل من كمال العقل أن يحرص على نفسه أن توقعه في أمر يحتاج إلى التدبير في الخلاص منه.

واعلم أيها الناظر في هذا الكتاب، أن صانع المخلوقات سبحانه وتعالى، جعل مدار أمور العباد ومبناها في المبدأ والمعاد على دليلين عظيمين:

**أحدهما:** العقل، الذي هو مناط التكليف.

**ثانيهما:** قواعد الشرع الشريف.

فمن أراد سعادة الدارين فليتمسك بهذين الدليلين.

فتبين بذلك أن مدار الأمور الدينية والدنيوية على العقل، الذي يؤاخذ به الإنسان، إذ هو شرف كل إنسان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما قسم الله لعباده خير من العقل، وأن نوم العاقل خير من عبادة الجاهل)[١٠].

---

[١] - |حسن| زيادة في (أ)
[٢] - السلامة في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - والجيران في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - |وسئل بعض الحكماء| زيادة في (أ)
[٥] - كمال في (ب) و (ج) و (د)، (كمال عقل) أشمل للمعنى.
[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٧] - |عقل| زيادة في (أ) و (هـ). سئل ابن عباس العقل أم الأدب فقال العقل لأن العقل من الله تعالى والأدب تكليف من العبد. أنظر: التبر المسبوك للغزالي ١٢٠/١
[٨] - بواطن في (هـ)
[٩] - السوء في (هـ)
[١٠] - ورد الحديث في كتاب التبر المسبوك للإمام الغزالي ١١٥/١، ولم أجده في كتب الحديث المشهورة.

وقال العلماء العاملون: العقل سلطان، وزيره التدبير، وجنوده الفكر والتؤدة[١] والعدل والمدارة والعلم والحلم وحسن الخلق، وأن أحق الناس بالحكم من كان قلبه مكاناً[٢] للدين والعقل، ورأيه خزانة[٣] للعلم والفضل، وأن يكون مصاحبته مع العلماء ومشاورته مع ذوي الرأي والعقلاء.

قال الحكماء: علامة الملك الذي يدوم ملكه؛ أن يكون عنده من كمال العقل والدين جزء وافر، وأن تكون مصاحبته مع العلماء، ومشاورته مع ذوي الرأي والعقلاء.

**قس بن ساعدة ورجاحة عقله:**

ومن حسن سياسة العقل، أن يؤدي بصاحبه إلى السلامة والنجاة، بل وإلى السعادة الأبدية[٤]،كما وقع لقس بن ساعدة[٥]، فإنه من الذين خصهم الله سبحانه وتعالى بكمال العقل، فإنه كان في زمن الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، تأمل في مصنوعات الله تعالى عز وجل، وتفكر متدبراً بعقله[٦] في خلق السموات والأرض، فهدي بعقله، إلى أن قدره الله بتقديره[٧] فآمن بالله ورسوله قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات على الفطرة الإسلامية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل أنه[٨] لما نظر متأملاً في مصنوعات الله تعالى عز وجل، قال: يا أيها الناس: اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا[٩]، أنه من عاش مات، ومن مات فات، وكلما هو آت آت، مطر ونبات، وأرزاق وأقوات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات بينات، إن في

---

١ - التودد في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)، والتوءدة: التأني في الأمر . أنظر لسان العرب ٤٤٢/٣

٢ - مسكناً في (هـ)

٣ - خزينة في (د)

٤ - |ومن حسن سياسة العقل، أن يؤدي بصاحبه إلى السلامة والنجاة، بل وإلى السعادة الأبدية| زيادة في (أ)

٥ - قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك (ت نحو ٢٣ق هـ/٦٠٠م)، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، كان أسقف نجران، ويقال إنه أول عربي خطب متوكئا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه " أما بعد". أنظر: الأعلام ١٩٦/٥. الإصابة في تمييز الصحابة ٩٥/٤، الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١٢ – ١٩٩٢، مكان النشر بيروت ، أسد الغابة ٢٤٨/٣، أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، الناشر دار إحياء التراث العربي، سنة النشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، مكان النشر بيروت – لبنان.

٦ - | متدبراً بعقله | زيادة في (أ)

٧ - | إلى أن قدره الله بتقديره | زيادة في (أ)

٨ - |أنه| زيادة في (أ)

٩ - فأيقنوا في (ب) و (ج) و (د)

السماء لخبر، وإن في الأرض لعبر، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا؟

أقسم قس قسماً، لا حانثاً فيه ولا آثما، أن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونبياً حان حينه وأظلكم أوانه، وأدرككم آياته، طوبى لمن آمن به فهداه، وويل لمن خالفه وعصاه، تباً لأرباب الغفلة[١] من الأمم الخالية والقرون الماضية.

يا معشر العباد[٢] أين الآباء والأجداد؟ أين المريض والعواد ؟ أين الفراعنة الشداد[٣]؟ أين من بنى وشيد وزخرف ونجد[٤] وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى؟ أولم يكونوا أكثر منكم أولاداً وأموالاً وأبعد منكم آمالاً وأطول منكم آجالاً؟ طحنهم الثرى بكلكله[٥] ومزقهم بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وقصورهم خالية، عمرتها الذئاب العاوية،كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود، ثم أنشد يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر والأكابر

أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

---

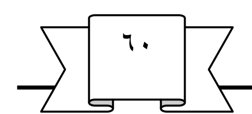
[١] - العقل في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - الإياد: في (ب) و (ج) و (د). الناس في (هـ). إياد: قبيلة كانت مواطنها تهامة إلى حدود نجران، ثم انتشرت بسبب حروب وقعت بينها وبين ربيعة ومضر، فارتحل قسم منها إلى العراق، وانضم قسم آخر إلى قضاعة وأقام بالبحرين، وسكن قسم منها في "وادي بيشة"، وهاجر آخرون إلى بلاد الشام. أنظر: المفصل في تاريخ العرب ٤٧/٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف : الدكتور جواد علي، الناشر : دار الساقي، ط ٤ : ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.. وجاء في الأعلام للزركلي ١٩٦/٥ أنها قبيلة من القبائل العربية المشهورة في العصر الجاهلي، وقد نسب إليها قس الأيادي.

[٣] - الصداد في (هـ)

[٤] - مجد في (هـ)

[٥] - كلكل البعير صدره الذي يعدُوك به الشيء تحته يقال حَكَّه ودكَّه وداكه بِبَرْكه. ٣٩٥/١٠ ، ( كلكل الدهر ) يستعار كلكل البعير للدهر إذا أخنى على الإنسان فيقال: قد ألقى عليه الدهر كلكله ، قال ابن الرومي : ( أما ترى الدهر قد ألقى كلاكله ... على فتى بينكم ملق كلاكله ) ، ثمار القلوب في المضاف للثعالبي ٣٣٨/١ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي، نشرته: دار المعارف – القاهرة، ط ١ ١٩٦٥، تحقيق: محمد أبو الفضل، إبراهيم ، وقالت إعرابية ترثي ابنها: ألقى عليه الدهر كلكله ... من ذا يقوم بكلكل الدهر. لسان العرب ٥٩٠/١١




فانظر أيها المتأمل في هذا الكتاب، كيف أدى نتيجة كمال عقل هذا الرجل إلى أن هُدي إلى الصواب، فاستدل بكمال عقله على وحدانية الله تعالى، وأنه لا بد من الفناء لجميع ما سواه، وأن البقاء لله تعالى.

فهذا من الذين خصهم الله بكمال عقل، هُدي به إلى زيادة معرفة، خرج بها عن حد الاكتساب، فأدى به ذلك إلى الهدى، فهدي بتقدير العزيز الوهاب إلى طريق الصواب، فكان ممن آب وأناب، قبل أن يبلغه رسول ولا كتاب[١].

[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما قسم الله تعالى لعباده خير من العقل، وأن نوم العاقل خير من عبادة الجاهل، وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل)[٢].

قال العلماء العاملون: العقل سلطان، وجنوده التدبير، والتمييز، والفكر، والفهم، والحفظ، وان أحق الناس بالحكم؛ من كان قلبه مكانا للدين والعقل، ورأيه خزانة للعلم والفضل][٣].

**طاعة الرسل وأولي الأمر:**

ولما أن كانت أمور العباد منوطة بالعقل، جعل الله تعالى أفعال الإنسان منها ما هو سبب لسعادته، ومنها ما هو سبب لشقاوته، ولما أن[٤] كان كل أحد لا يعرف ذلك من تلقاء نفسه، أرسل الله تعالى بعض ملائكته لأشخاص، اختصهم من بين خليقته بالسعادة الأبدية في الأزل، وهم خلاصة الخواص من خلقه، فهم الأنبياء المرسلون[٥]، عليهم صلوات الله وسلامه، فأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم طريق الحق، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فكان آخرهم بعثا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، أرسله إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وأمر الثقلين بإطاعته، فمن وهبه الله عقلاً راجحاً تدبر فيما جاء به هذا النبي الكريم، فهدي به إلى الصراط المستقيم، فكان ذلك نتيجة العقل السليم، فهو من الذين وصفهم الله

---

[١] - من أراد المزيد عن خطبة قس بن ساعده يمكنه الاطلاع على المخطوط الأصلي رقم ١٣/١٢٩٦٤ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

[٢] - لم أقف على حديث بهذا المعنى ، ولكنه ذكر في كتاب التبر المسبوك للإمام الغزالي.

[٣] - الفقرة فيها تكرار وهي شبيهة بفقرة سابقة أنظر ص (٥٨)

[٤] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - المرسلين في (د)

تعالى في كتابه المجيد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١].

[ولما أن كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده، اختار الله تعالى من خلقه خلقاً، فجعلهم خلفاً من بعده][٢]، وأمر العالم بإطاعتهم،كما أمرهم بإطاعة رسله، وأوجبها عليهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣]. فقرن الله سبحانه وتعالى طاعتهم بطاعته، وطاعة رسوله، فبهذا تبين أن مقدار الخلافة أجل مقدار.

ومما يدل على عظم قدرها وجلالة مقدارها، ما ورد في الجامع الصغير، للحافظ السيوطي الحديث الشريف: (أن الله تعالى إذا أراد أن يجعل عبداً للخلافة مسح بيده على جبهته) ، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً للخلافة مسح بيده على ناصيته، فلا تقع عليه عين إلا أحبته)[٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم صلحاءهم، وقضى بينهم علماؤهم، وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شراً، ولى عليهم سفهاءهم، وقضى بينهم جهالهم، وجعل المال في بخلائهم)[٥].

فتبين بذلك أن من أوتي الولاية على خلقه، وعدل فيهم، فقد أتاه الله خيراً عظيما[٦]، لاختياره إياه ولياً على أمور رعاياه، فمن أوتيها فيجب عليه أن يعرف مقدار ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه، حيث اختاره لها دون غيره، فيجب عليه أن يؤدي شكر هذه النعمة الجليلة المقدار، وأن يعمل فيها بما أمر الله تعالى به في محكم القرآن المنزل

---

[١] - ق /٣٧

[٢] - جاءت الفقرة في (ب) و (ج) و (د) و (هـ) كالآتي : (وقد اختار الله تعالى خلقا من خلقه بعد انقضاء رسله فخصهم بالولاية على خلقه)

[٣] - النساء /٥٩

[٤] - أخرجه : الحاكم في مستدركه (٣٧٣/٣ ، رقم ٥٤٢٧) عن ابن عباس، وفيه (التعليق من تلخيص الذهبي: رواته هاشميون ليسوا بمعتمدين). أنظر: المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

[٥] - ( إذا أراد الله بقوم خيرا ولى عليهم حُلماءَهم وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال فى سمحائهم وإذا أراد بقوم شرًّا ولى عليهم سفهاءَهم وقضى بينهم جُهَّالُهم وجعل المال فى بخلائهم) أخرجه الديلمى في الفردوس عن مهران (٢٤٦/١ ، رقم ٩٥٤) . وابن أبى الدنيا عن الحسن مرسلا فى كتاب الحلم (ص ٥٨ ، رقم ٧٥) ، أنظر: الحلم : لابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر، الناشر: مؤسسة الكتب، الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطاء ، ومن غريب الحديث : ((وقضى)) : حكم بينهم علماؤهم.

[٦] - كثيرا في (د)

على سيدنا محمد رسول الله ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾[١] والتيقظ بأشرف الأديان الحسان المنزلة على أشرف إنسان[٢] بقوله سبحانه وتعالى عظة لكل إنسان: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[٣].

**شكر النعم:**

((واعلم أن لكل نعمة شكراً خاصا بها، فشكر[٤] نعمة البصر غض الطرف عن محارم الله، وشكر نعمة السمع عدم الإصغاء به للفواحش، وشكر نعمة اليدين أن لا يبطش بهما في أحد من خلق الله، وشكر نعمة الرجلين أن لا يسعى بهما في غير طاعة الله))[٥].

فحاصل الأمر أن كل نعمة أنعمها الله تعالى على عبده، ينبغي له أن يؤدى شكرها من جنسها، وهو صرفها في ما هو من أعمالها المتصلة بها، فشكر نعمة الولاية العمل فيها بالعدل وترك الجور، فان ولي الأمر إذا عامل الرعايا بالعدل وبسطه فيهم واجتنب الجور ومواده دام ملكه، فان استعمل الجور وأقر على الظلم خيف عليه انتزاع هذه النعمة من يده، فان النعمة إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرت. والدليل على ذلك أن تلك الأرض والدولة والأموال والإمارة والولاية كانت[٦] للعرب خاصة دون غيرهم[٧]، فلما أن كفروا النعمة انتزع ذلك منهم وصار ذلك في غيرهم، من الترك والعجم، وشتتوا في البلاد، بعد أن كان العز والملك لهم ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من الدين والإسلام، فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضا، وسلب بعضهم أموال بعض، سلبها الله تعالى منهم، ونقلها إلى غيرهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾[٨].

---

[١] ـ المائدة / ٤٩

[٢] ـ | والتيقظ بأشرف الأديان الحسان المنزلة على أشرف إنسان| زيادة في (أ)

[٣] ـ النحل /٩٠

[٤] ـ كما أن شكر في (ب) و (ج) و (د)

[٥] ـ أنظر: كتاب معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق محمد النجار وآخرين ط٢ ناشر مكتبة الخانجي بمصر ١٤١٣هـ ص ٣٣

[٦] ـ كان في (ب)

[٧] ـ أنظر: تاريخ الدولة العلية، لمحمد فريد بن أحمد فريد، ١٩٢/١ فتح مصر ودخولها ضمن الممالك المحروسة.

[٨] ـ محمد / ٣٨

وعن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعاً محمراً وجهه يقول لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث)[١] .

**فصل في قوله ويل للعرب من شر قد اقترب:** المراد بالويل الحزن[٢]، قال ابن عرفه[٣] ولقد أخبر صلى الله عليه وسلم بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحزن، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ترجعوا بعدي كفارا فيضرب بعضكم رقاب بعض)[٤].

فلما أن كفروا النعمة، ولم يشكروها، نقلها الله تعالى منهم فجعلها في غيرهم، وجعلهم تحت قهر الملوك.

قال العارفون: الملك يدوم بالعدل، وإن كان الملك كافراً، ولا يبقى مع الجور، وإن كان الملك مسلما، فإذا استعمل الملك العدل في رعاياه، دام ملكه، فإن عدل عن العدل، واستعمل الظلم والجور، خيف عليه انتزاع هذه النعمة من يده[٥]. [ولذا][٦] قيل العدل إن دام عمر، والجور إن دام دمر، شعر:

عليك بالعدل إن وليت مملكة .. واحذر من الجور فيها غاية الحذر

فالملك بالعدل يبقى دائما أبداً .. ولا يدوم بجور في مدى العصر[٧]

---

[١] - أنظر: صحيح البخارى (١٣١٧/٣ ، رقم ٣٤٠٣) باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم (٢٢٠٧/٤ ، رقم ٢٨٨٠) باب اقتران الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج.

[٢] - قال ابن عرفه الويل هو الحزن (وقيل الهلاك)، أنظر: تفسير ابن عرفه ٣٤٩/١ (تفسير سورة البقرة). تفسير ابن عرفه، لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي. الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس - ١٩٨٦م، الطبعة : الأولى.

[٣] - ابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ = ١٣١٦ - ١٤٠٠ م) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. مولده ووفاته فيها. أنظر: الأعلام للزركلي ٤٣/٧.

[٤] - أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم ألاَ لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض . أخرجه : الطبراني فى المعجم الأوسط (٢٢٥/٨ ، رقم ٨٤٧٠) . وأخرجه أيضًا في الكبير (٣٧/٦، رقم ٥٤٤٢) ، قال الهيثمى (١/ ١٥٦) : فيه سويد أبو حاتم ضعفه النسائى وابن معين فى رواية ، وقال أبو زرعة : ليس بالقوى حديثه .

[٥] - | فإذا استعمل الملك العدل في رعاياه، دام ملكه، فإن عدل عن العدل، واستعمل الظلم والجور، خيف عليه انتزاع هذه النعمة من يده | زيادة في (أ)

[٦] - زيادة في (ب) و (ج) وفي (و) قال العارفون

[٧] - الدهر في (ب) و (ج). الأبيات من قصيدة لأبي الفتح البستي

والدليل على ذلك أن النعمة إذا شكرت قرت، جاء به النص القطعي بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١]، فقطع بالمزيد.

فينبغي لولي الأمر أن يقابل شكر نعمة الولاية، التي أنعم الله تعالى عليه بها بما يناسبها من الشكر، وهو استعمال العدل مع الرعية، واجتناب الجور في كل قضية.

قال الله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[٢] فإن الشكر يدفع (ثلاثين عقوبة من عقوبات الآخرة)[٣]. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[٤] وازدياد النعمة. وليس الشكر باللسان خاصة لأن القول قشر، والعمل لب ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً﴾[٥].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سل سيف الظلم والجور، سل الله عليه سيف الغلبة ولازمه الغم)[٦]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم مبتدع وغال في الدين يتعدى الحدود)[٧].

وحيث يعلم الملك أن الله تعالى قد أنعم عليه بهذه النعمة الجليلة، واختاره للولاية على خلقه، بأن جعله والي أمرهم، دون غيره، فليعامل رعاياه بما يحب أن يعامله الله به، وليبذل الجد والجهد في العمل، فيما يجب عليه مما هو مسؤول عنه، يوم ينصب الميزان، وليذكّر كما تدين تدان.

---

[١] - إبراهيم /٧
[٢] - البقرة /١٥٢
[٣] - بلاءين عقوبة الدنيا والآخرة في (ب) و (ج) و (هـ)، وهو الأرجح وأظنه يقصد مصيبتي الدنيا والآخرة.
[٤] - النساء /١٤٧
[٥] - سبأ /١٣
[٦] - لم أقف عليه في كتب الحديث المشهورة.
[٧] - أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن معقل بن يسار (٢١٣/٢٠ ، رقم ٤٩٥) : صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي سلطان ظلوم غشوم وغال في الدين يشهدون عليهم ويتبرءون منهم .

**الباب الثاني : في بيان ما يجب ويتعين على ولي الأمر[١] العمل به وما يتحرز منه:** اعلم أن أول شيء يجب على الملك العمل به، نشر العدل، الذي هو صلاح العالم، إذ هو الأساس الذي يبنى عليه نظام الملك[٢]، [إذ هو][٣] أي العدل أساس الدين. قال الله تعالى في محكم القرآن: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[٤].

فالعدل هو ميزان الله في الأرض، إذ به ينتصف المظلوم ممن ظلمه، وبه يؤخذ للضعيف من القوي [حقه][٥]، وبه يتميز الحق من الباطل، فمن عمل به قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه إلى النار.

والميزان يحتاج إلى ثلاثة أشياء: عمود، ولسان، وكفتان، فعموده السياسة، ولسانه حسن السيرة، وكفتاه الرأفة والنصيحة.

فالعدل في الرعية، والسياسة في الجند، حتى لا يؤذوا الرعايا، وحسن السيرة في الكل، وهو أي العدل من صفات الذات، من تعلق به نجا، وأدخله الجنة، وكل الأعمال توزن بميزان العدل، ولم يخلق الله في الأرض أفضل من العدل.

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب الناس إلى الله وأقربهم السلطان العادل وأبغضهم إلى الله وأبعدهم السلطان الجائر)[٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة)[٧].

وقال صلى الله عليه وسلم (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل ملهوف)[٨].

---

[١] - الملوك في (د)

[٢] - الملوك في (د)

[٣] - لأنه في (ب) و (د)

[٤] - الشورى/١٧ ، في (ب) و (ج) {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} النحل /٩٠

[٥] - زيادة في (د)

[٦] - عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم: (إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر)، أخرجه الترمذى في سننه : باب ما جاء في الإمام العادل (٦١٧/٣ ، رقم ١٣٢٩)، وفي الباب عن عبدالله بن أبي أوفى (حديث أبي سعيد حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه). أخرجه أحمد في مسنده (٢٢/٣ ، رقم ١١١٩٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٤/٦ ، رقم ٧٣٦٦) .

[٧] - لم أقف عليه في كتب الحديث ويستغنى عنه بالحديث: يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام فى الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاما. أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير (٣٣٧/١١ ، رقم ١١٩٣٢) ، والبيهقى في سننه (١٦٢/٨ ، رقم ١٦٤٢٦) . وأخرجه أيضًا البيهقى فى شعب الإيمان (١٩/٦ ، رقم ٧٣٧٩) .

[٨] - ) السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان عليه الإصر وعلى الرعية الصبر وإذا جارت الولاة قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ إلا ظل الله عز وجل، يستظل به سبعة سلطان عادل في رعيته)[١].

فانظر كيف بدأ من السبعة بالسلطان العادل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعمل الإمام العادل في رعيته يوماً أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة)[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة رعيته وكل صلاة يصليها تعدل [سبعين][٣] ألف صلاة)، وقال عليه الصلاة والسلام: (العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون خير الرعية وأمنهم)[٤]»[٥]

ويدل على ذلك ما قاله العارفون بالله: ((لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمار، ولا عمار إلا بالعدل، فالعدل هو الأساس الذي يُبنى عليه نظام الملك، فإذا استعمل الملِك العدل عمرت البلاد، وأمن العباد، وتحصلت الأموال، وكثر الرجال، وانتظمت الأحوال))[٦]، وخصب الزمان، وحصل الأمن والأمان.

فيجب ويتعين على ولي الأمر أيده الله تعالى، أن يبذل جده وجهده في عمارة البلاد، وتأمين العباد، وأن يكف عنهم أيدي الغزو والأجناد، وليحذر الملِك أخذ المال من غير حله، ووضعه في غير محله، وليعلم ولي الأمر أيده الله تعالى، أن كل ظلم

---

المواشى وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار . أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٥/٦ ، رقم ٧٣٦٩) ، وقال : أبو المهدى سعيد بن سنان ضعيف . وأخرجه: الديلمى في مسند الفردوس (٣٤٣/٢ ، رقم ٣٥٥٣) . وابن عدى في الكامل (٣٦١/٣ ، ترجمة ٨٠١ سعيد بن سنان). جزم الحافظ العراقى بضعف سنده . وقال عنه الألباني (موضوع).

[١] ـ لم أقف عليه في كتب الحديث المشهورة. ويغني عنه الحديث الصحيح، الذي رواه أبوهريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه البخاري في صحيحه ٢٣٤/١ رقم ٦٢٩ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. وفي صحيح مسلم ٧١٥/٢ رقم ١٠٣١ باب فضل إخفاء الصدقة.

[٢] ـ حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، حدثنا هشيم عن زياد بن مِخراق عن رجل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العمل الإمام العادل في رعيته يوماً واحدا أفضل من عبادة العابد في أهله مائة عام، أو خمسين عاما". أنظر : بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للحارث الهيثمي (٦٢٦/٢ ، رقم ٥٩٧).

[٣] ـ زيادة في (ب) و (د)

[٤] ـ لم أقف عليه في كتب الحديث المشهورة.

[٥] ـ الأحاديث المذكور في الفقرة الواقعة بين الأقواس الصغيرة جميعها وردت في كتاب التبر المسبوك للإمام الغزالي، أنظر مخطوط رقم ٢٦١٢ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، أصول العدل والإنصاف العشرة ص ٥ ـ ٦. وربما أخذها الشيخ القرافي من كتاب الغزالي.

[٦] ـ أنظر كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه ١/ ١٩٧.

علم به ولم يبادر لإزالته كان ذلك الظلم منسوباً إليه، وكان مؤاخذاً به، ومعاقباً عليه، فينبغي له[١] التيقظ لهذه الأمور، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، أميراً كان هو أو مأموراً، ولله عاقبة الأمور.

## صفات ولي الأمر:

**فصل** ومما يتعين على ولي الأمر كمله الله، أن يكون عاقلاً في ملكه، شريفاً في نفسه، موفياً بعهده، صلباً في دينه، لازماً لصمته، متفكراً في رأيه، متدبراً بعقله، شفوقاً برعيته، متيقظاً لعيوب نفسه، همته انبعاث الفكر في عواقب أمره[٢]، متأنياً في أموره[٣]، مستعملاً الرفق في سائر أفعاله، وليس له أن يغضب، لأن الغضب مع القدرة يؤدي إلى السرف في الانتقام، ويعقب الندامة، وليس له أن يبخل لأنه لا يخشى انقطاع مدد الأموال، وأن البخل في الملوك من أكبر العيوب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، والكريم قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار)[٤].

وينبغي أن لا يكذب، لأنه لا يقدر أحد أن يكرهه على شيء، وليس له أن يحسد إلا من تقدمه من الملوك، بحسن التدبير، وإصابة الرأي، وصحة السياسة، ولا يطمع في استقامة العامة، مالم يبدأ بتقويم الخاصة، وأن يكون حذره من المقربين، فوق

---

[١] - |له| زيادة في (أ)

[٢] - أموره في (د)

[٣] - فيها في (د)

[٤] - السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل . أخرجه الترمذى في سننه (٣٤٢/٤ ، رقم ١٩٦١) وقال : غريب . وابن عدى في الكامل (٤٠٣/٣ ، ترجمة ٧٢٧ سعيد بن محمد) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٢٨/٧-٤٢٩، رقم ١٠٨٥١ ورقم ١٠٨٤٧ ، ١٠٨٤٨) . والطبرانى في المعجم الأوسط (٢٧/٣ ، رقم ٢٣٦٣)، وأورده الدارقطنى فى العلل (٢١٨/٨ ، رقم ١٥٣٠) أنظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية، المؤلف: أبو الحسن علي بن عُمَر ابن أحمد بن مهدي الدارقطني، (ت ٣٨٥ هـ)، الناشر : دار طيبة الرياض - شارع عسير، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، تحقيق وتخريج : د. محفوظ الرحمن زين الله. ضعفه الألباني.

حذره من المتباعدين، ولا يغتر بثناء الناس عليه، فربما كان ذلك عن هوى، فإذا سمع من يثني عليه، فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيراً مما يظنون[١].

وينبغي أن لا يستغني بتدبير يومه عن تدبير غده، والحذر كل الحذر أن يفتنه الملك، ونوم الزمان، وإذا وجب الحد أو التعزير على أحد فليُقِم عليه ذلك بقدر الذنب، لا بحسب هوى النفس، ولا يعمل في ذلك بالغضب، فان الملك إذا غضب وأقام العقوبة على مستحقها بالغضب، أدى به ذلك إلى السرف في الانتقام، فإذا تعمد ذلك فقد جار، وإذا جار تخلى الله عنه.

وليراع في سائر أفعاله جانب الشرع الشريف، ومما يجب على ولي الأمر[٢] عدم الإصغاء لأول ناقل ينقل إليه حديثاً[٣]، فإن عمل بقول أول ناقل قبل اختباره[٤] فقد جار، وإذا جار تخلى الله عنه.

قال الله عز من قائل في حق كل ناقل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٥] وفي قراءة (فتثبتوا).

ومن المنقول المشهور التثبت في الأمور، أمان من المحذور، فيجب التثبت والتأني في كل قضية، عملا بقول خالق البرية، وأن يفحص عن ما نقل إليه، ويستخبر متأنياً إلى أن يتضح له الحق، فإذا اتضح له الحق وعمل به (في ذلك)[٦]، بما هو موافق للكتاب والسنة فقد عمل بالعدل، فيكون ذلك سبب نجاته من النار، يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، يوم يعضّ الظالم على يديه، يوم يغضب الجبار.

**التأني والتثبت في الأمور:**

قال علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: (عدل السلطان خير من خصب الزمان. وقال: إمام عادل خير من مطر وابل)[٧].

---

[١] - أخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال : كان أبو بكر رضي الله عنه إذا مُدح قال : اللهم أنت أعلم مني بنفسي و أنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يظنون و اغفر لي ما لا يعلمون و لا تؤاخذني بما يقولون. تاريخ دمشق ٣٣٢/٣٠.

[٢] - |ومما يجب على ولي الأمر| زيادة في (أ)

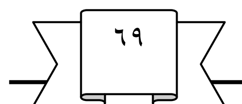
[٣] - لأول ناقل حديث ينقله إليه، هكذا جاء ت الجملة في (ب) و (ج) و (د)

[٤] - الاختبار في( ب) و (ج ) و (د)

[٥] - الحجرات /٦

[٦] - بحذفها يستقيم المعنى

[٧] - ورد الأثر في كتاب سراج الملوك للطرطوشي ٥٢/١



قال العارفون: من تعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه، فان في العجلة ندامة[١] وفي التأني الرشد والسلامة. ومن تعجل[٢] في أمر يريده كان جديراً أن لا يناله، وإن ناله كان جديراً أن لا يدوم له، لأن الخلل ملازم العجل، والتثبت في الأمور حسن، وفي الملوك أحسن، والعجلة بالانتقام قبح، ومن الملوك أقبح، لا سيما في أمر لا يمكن تداركه.

فإن ولي الأمر إذا أمر بأمر تبادر الناس إلى فعله تقرباً لخاطره، وإنفاذاً لأمره، وتوقياً لغضبه، خصوصاً إذا كان ولي الأمر ممن[٣] لا يمكن مراجعته، لهوى قام عنده فأدى ذلك لتحرك[٤] غضبه، قال النبي صلى الله عليه وسلم (العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن)[٥].

فليحذر الملك حين ذاك إتباع هوى النفس، فإن هوى النفس صدى، يعلو على العقل فيصدأ، فيضل عن الهدى، فإذا رأى الملك أن هوى النفس، غلب على عقله حال حكمه، فيترك الحكم حين ذاك، ويؤخر الحكومة، لئلا يوقعه هوى النفس فيما يخرج به عن الحق، فيضل ويهلك، ولا ينفعه بعد ذلك الندم، فليس له خلاص في ذلك الوقت إلا ترك الحكومة، أو القيام من المجلس، لأنه في تلك الحالة لا يطيع مرشداً، ولا يصغى لناصح.

---

[١] - الندامة في( ب) و (ج)

[٢] - استعجل في (ب) و (ج) و (د)

[٣] - مما في (ب) و (ج) و( د)

[٤] - لتحول في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - عن سعد بن سنان عن أنس : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : ( التأني من الله و العجلة من الشيطان). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٩/٤ رقم ٤٣٦٧). والمقدسي في ذخيرة الحفاظ ١٦٠٦/٣ حديث رقم ٣٥٧٣: (العجلة من الشيطان ، والتأني من الله تعالى) . رواه الليث بن سعد : عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن سنان ، عن أنس ذكره في ترجمة عبدالله بن لهيعة مستدلاً به ، وابن لهيعة ضعيف. أنظر: ذخيرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق د.عبد الرحمن الفريوائي، الناشر دار السلف، سنة النشر ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، مكان النشر الرياض. وفي حديث آخر: ( إذا أردتَ أمرا فعليك بالتُّؤَدَةِ حتى يريَك اللهُ منه المَخرَجَ ) . أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٣٠٦/١ ، رقم ٨٨٨)، أنظر: الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر دار البشائر الإسلامية، سنة النشر ١٤٠٩ - بيروت ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق (ص ٢٢٩ ، رقم ٦٨٨)، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق ودراسة د. عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري، طبعة مكتبة الرشد سنة ٢٠٠٦ م، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦٨/٢ ، رقم ١١٨٧) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٩/٦٠) . وأخرجه أيضًا : الحارث كما فى بغية الباحث (٨٢٧/٢ ، رقم ٨٦٧) .

قال الحكماء[١]: لا ترشد تابع هوى النفس، عند استيلاء الهوى على عقله، فإن الهوى قهره فاستولى عليه السلطان[٢]، فصار كالبحر في هيجانه، فنشأ الغضب الذي يخرجه عن الحد، فصار أسير النفس والهوى.

قال العارفون: ليس الأسير من أسره أعداؤه، وإنما الأسير من قهره هواه، فضل هداه، ولم يصغ للنصيحة من أعلاه، ولا من أدناه.

قال العارفون: تابع هوى النفس عقله محجوب، فلا يفيد[٣] فيه موعظة، ولا يقبل نصيحة، لأن الهوى أدى به إلى الإثارة بالغضب، فنشأ منه البغي، فأدى ذلك[٤] إلى السرف في الانتقام، فهلَك وهلَك معه من يناصره.

قال العارفون بالله: لكل عاثر راحم إلا الباغي، لا راحم له، وما اجتمع الُملك والبغي على سرير واحد إلا خلا.

واعلم أيها الملك أن الرأي سيف العقل، وأمضى السيوف ما بولغ في إرهاف حده، وأجيد صقله[٥]، ولا تنصقل مرآة [العقل][٦] إلا عند اجتماع الحواس الخمس، وأصفى اجتماعها وأمكنه عند هداءة الليل، فإن كل رأي لا يتمخض به الفكر ليلة كاملة وإلا فهو كمولود ولد لغير[٧] تمام، وأفضل الرأي ما أجاد به الفكر في حندس[٨] الليل نقده، واحكم التدبير في هدأة[٩] الليل عقده.

---

[١] - العارفون بالله في (د)
[٢] - الشيطان في (هـ) و (و).
[٣] - تفيده في (ب) و (د)
[٤] - |ذلك| زيادة في (أ)
[٥] - الصقل: الجلاء. وفي حديث أَبي الدرداء أَن القلب يَدْثُرُ كما يَدْثُرُ السيف فجلاؤه ذكر الله أَي يَصْدَأُ كما يصدأُ السيف. أنظر لسان العرب ٣٨٠/١١
[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٧] - بغير في (د)
[٨] - الحِنْدِسُ : الظلمة وفي الصحاح الليل الشديد الظلمة. أنظر لسان العرب ٥٨/٦
[٩] - هَدأَ يَهْدَأُ هَدْءاً وهُدُوءاً سَكَن يكون في سكون الحركة والصَّوْت وغيرهما. قال ابن هَرْمةَ :
لَيْتَ السِّباعَ لنَا كانت مُجاوِرةً ... وأَنَّنا لا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدا
إِنَّ السِّباعَ لَتَهْدا عن فَرائِسها ... والناسُ ليس بهادٍ شَرُّهم أَبَدا . لسان العرب ١٨٠/١

**حسن الخلق:**

قال الحكماء: تتميز الملوك على السوقة[١] بخمس خصال، رحمة تشمل الرعية، ويقظة تحوطهم، وصولة تذب عنهم، وسطوة ترهب بها الفسقة منهم، وحزم ينتهز به الفرصة[٢]، فهذه جملة خصال الملوك.

ومما ينبغي للملك العمل به استعمال الرفق في كل قضية، لتسكن محبته [في قلوب كافة الرعية][٣].

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا)[٤] وقال صلى الله عليه وسلم (القصد والتوءدة[٥] وحسن الخلق جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة وما وُضِع في الميزان أثقل من خلق حسن، وان المتأني يدرك بصبره وحسن خلقه ما لا يدركه الصائم القائم، وبحسن الخلق ينال الرجل درجة الصديقين)[٦].

قال العارفون بالله: حسن الخلق حسنة، لا تضر معها كثرة[٧] السيئات، وسوء الخلق سيئة، لا ينفع معها كثرة الحسنات.

---

[١] - السوقة الرعية ، سموا بذلك ، لأن الملك يسوقهم إلى أرادته ، ويستوي لفظ الواحد والجماعة فيه ، فيقال : رجل سوقة وقوم سوقة ، كما قالت الحرقة بنت النعمان : ( فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ** إذا نحن فيهم سوقة نتنصف ) ، فأما أهل السوق فهم السوقيون واحدهم سوقي ، والسوق في كلام العرب تذكر وتؤنث . أنظر: درة الغواص ٢٤٤/١، درة الغواص في أوهام الخواص، للقاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، سنة النشر ١٤١٨/١٩٩٨هـ، مكان النشر بيروت. أنظر: لسان العرب ١٦٦/١٠

[٢] - كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، المنسوب لمحمد بن عبدالمحسن القلعي (ت ١١٧٥هـ) جاء فيه: كانت الفرس إذا بعثت أميرا على جيش قالت أحفظ ما يلقى إليك وانتهز الفرصة فإنها خلسة وأثبت عند رأس الأمر لا عند ذنبه ١/ ١٤٩. وجاء فيه أيضا: قال السفاح الأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة وقال غيره الفرص تمر مرور السحاب وقال آخر تجرع من عدوك الغصة إلى أن تجد الفرصة فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك، أنظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ١٤٠/١

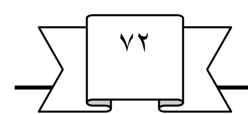
[٣] - في كل قلب من قلوب الرعية في (ب) و (ج) و (د)

[٤] - أخرجه: ابن حبان (٢٣٦/٢ ، رقم ٤٨٦)، أنظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ تحقيق : شعيب الأرنؤوط . والطبرانى فى الأوسط (٢٦٨/٦ ، رقم ٦٣٨٠) ، والحاكم في مستدركه (٤٤٣/٤ ، رقم ٨٢١٤) وسكت عنه الذهبي.

[٥] - التودد في ( د) . والصحيح هو التؤدة كما جاء في الحديث: ( إذا أردتَ أمرا فعليك بالتُّؤَدَةِ حتى يريَك اللهُ منه المَخرَجَ ).

[٦] - (إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة) . أخرجه أحمد (٢٩٦/١ ، رقم ٢٦٩٨) ، وأبو داود في سننه (٢٤٧/٤ ، رقم ٤٧٧٦)، أنظر: سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت . وأخرجه أيضًا : البخاري في الأدب المفرد (٢٧٦ ، رقم٧٩١) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٠/٦ ، رقم ٨٠١٠) .

[٧] - |كثرة| زيادة في (أ)




وقد امتدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق من دون سائر المعجزات، فقال في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

حديث حسن رواه الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن (إن أحسن الحسن الخلق الحسن)[٢] .

سأل قيصر عظيم الروم، كسرى نوشروان[٣]، بم دام لك الملك، ودانت لك الرقاب؟ قال: بأربع خصال قيل: وما هي؟ قال: ما أخلفنا في وعد ولا وعيد، ولم نفعل أمراً إلا بعد المشاورة[٤] مع ذوي العقول، وقربنا ذوي الأصول، وقدمنا على الشباب الكهول، ولم نعاقب إلا على قدر الذنب، لا بحسب غضبنا، فلما سمع[٥] قيصر ذلك اهتز طرباً، وقال من كانت هذه سياسته، دامت رياسته[٦].

أوصى بعض الملوك ولده فقال: يا بني عامل الرعايا بالعدل، والرغبة والرهبة، وساوي في ذلك بين الصديق والعدو، فإن الولاية لا تتم إلا لمن له مال مبذول، وسيف مسلول، وعدل تطمئن إليه القلوب.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: (بُعثت باللين والسيف فوجدت اللين أقطع من السيف)[٧]. قال معاوية رضي الله عنه: أنا لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني[٨].

---

[١] - القلم/٤

[٢] - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٦/١٣)، وذكر: أما الحسن الأول فهو الحسن بن حسان السمتي والحسن الثاني الحسن بن دينار والحسن الثالث الحسن بن أبي الحسن البصري والحسن الرابع هو الحسن بن علي بن أبي طالب.. والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٨/٢ ، رقم ٩٨٦) ، وذكر أن : الحسن الأول بن سهل والثاني بن دينار والثالث البصري والرابع ابن علي بن أبي طالب.

[٣] - " كسرى الأول "٥٣١-٥٧٩م" المعروف بـ" كسرى أنوشروان"، عمل على إصلاح الحال في مملكته، فأمر بوضع دستور جديد للجباية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل، وأمر بإصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالإنصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعادل، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحكم والأمثال والعظات إلى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها، أنظر: المفصل في تاريخ العرب ١٦٠/٧

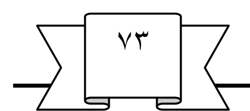
[٤] - المشورة في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - بلغ في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - قال أبو اسحاق حدثنا محمد بن عبدالرزاق قال: كتب قيصر ملك الروم إلى كسرى ملك الفرس، فقيصر له كتاب منزل ونبي مرسل وكسرى مهمل لا كتاب له ولا رسول لكنه عاقل فهيم نبيل فكتب إليه قيصر أخبرنا بم دام لك الملك وليس لك رب تعبده ولا نبي تتبعه ولا دين تعتنقه؟: أنظر: مخطوط رقم (٣/٧٨٦٤) بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

[٧] - لم أقف عليه في كتب الحديث المشهورة. وقد يكون من الأقوال المأثورة التي تنسب إلى الحكماء.

[٨] - الأثر مرتبط بمقولة مشهورة لمعاوية صارت حكمة ومثلا: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت كانوا إذا مدوها أرخيتها وإذا أرخوها مددتها.




ومما أنزل في التوراة: عالم لا يعمل بما علم فهو وإبليس سواء، وإمام لا يعدل في رعيته هو وفرعون سواء.

**فصل فيما جاء في المشورة والاستخارة:** ومما يجب ويتعين على ولي الأمر أن كل أمر[١] أراد إنفاذه، فلا بد أن يقدم فيه الاستخارة، ثم المشاورة[٢]، اقتداء بالسنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار)[٣].

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق خلقاً، وأتمهم عقلاً: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [٤].

وقد امتدح الله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [٥].

فانظر أيها الملك إذا كان سيد الأولين والآخرين، أمره الله عز وجل بمشاورة أصحابه، وهو أكمل خلق الله، فكيف تنجح أنت يا ملك الزمان، أو يتم لك مراد إذا فعلت أمراً بلا مشورة، ولا استخارة، مع أنه لا يخفاك قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [٦]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه (أشيروا علي)[٧].

---

[١] - شيء في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - المشورة في (د)

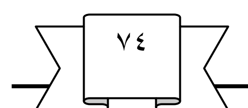
[٣] -أخرجه الطبراني فى المعجم الأوسط (٣٦٥/٦ ، رقم ٦٦٢٧) ، وفى الصغير (١٧٥/٢ ، رقم ٩٨٠) .

[٤] - آل عمران/١٥٩

[٥] - الشورى/٣٨

[٦] - الحشر/٧

[٧] - في غزوة بدر عندما نزل النبي صلى الله عليه وسلم أدنى ماء من مياه بدر فقال (أشيروا علي من المنزل) فقال الحباب بن المنذر، يا رسول الله أنا عالم بها وبقلبها إذا رأيت أن تسير إلى قلب قد عرفناها، فهي كثيرة الماء عذبة فننزل ونستبق القوم إليها ونغزو ما سواها من المياه. وقال سعد بن معاذ (والله لو استعرضت فينا هذا البحر خضناه معك) وقال المقداد (لا نقول لك كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، وكلنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ، فأشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من أصحابه وقال: (سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وإني قد رأيت مصارع القوم). أنظر: كتاب غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ٣١/١ تأليف السيد الجميلي، نشرته دار مكتبة الهلال ببيروت ١٤١٦هـ.




ومما حصل به النجاة من القتل، بسبب المشورة، ما روى الشعبي[١] قال: لما أمر الحجاج[٢] بقتل شيعة علي بن أبي طالب[٣] رضي الله عنه، فقتل وسفك، وفعل في الناس ما جاوز حد الانتقام، وكنت من المقبوض عليهم للقتل، وما شككت إلا أنه سيقتلني، فصرت ذاهل العقل، لا أدري بما اعتذر له، وكان كاتب الحجاج صديقاً لي، فقال لي إذا أحضرك في غد ووقفت بين يديه فاعتذر له، فعساك تنجو.

فحدثتني نفسي بأن اختلق[٤] له اعتذارات تقرب من عقله، فلما كان الليل دبرت له حيلاً، واختلقت أموراً، اعتذر إليه بها لعل أن يقبلها، وما ظننت إلا أنه سيقتلني، فلما أصبحت طلبني فطفقت[٥] على أقوام لي إلى عقولهم اعتقاد، فالتجأت إليهم، وقلت ما تشيرون[٦] علي في أمري، فما أظن هذا الرجل إلا أنه الساعة[٧] يقتلني، فاتفقت آراؤهم على أن الصدق أولى ما نطقت به عنده[٨]، فاغتنمت[٩] ذلك، ثم قمت من عندهم.

فلما صرت بين يديه، نظر إلي كالأسد الغضبان، فقلت: أصلح الله الأمير، إن الاعتذار بغير ما يعلم الله تعالى [إنه الحق][١٠] لقبيح عند من هو دونك، وأيم الله لا

---

[١] - الشعبي هو: عامر بن شراحيل بن عبدالشعبي وهو فقيه (٢١هـ - ١٠٥هـ). وعن أبوبكر الهذلي قال قال لي الشعبي ألا أحدثكم حديثاً تحفظه في مجلس واحد إن كنت حافظاً كما حفظته أنا لما أتي بي الحجاج وأنا مقيد خرج إلي يزيد بن أبي مسلم فقال: إنا لله وما بين دفتيك من العلم يا شعبي وليس يوم شفاعة إذا دخلت على الحجاج فتوله بالشرط والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو فلما كنت قريباً من الإيوان خرج إلي محمد بن الحجاج فقال إنا لله وما بين دفتيك من العلم يا شعبي وليس بيوم شفاعة إذا دخلت على الأمير .. إلى أن قال فلما قمت بين يديه قال هي يا شعبي أكرمتك وأدنيتك وقربت مجلسك ثم خرجت علينا قلت أصلح الله الأمير أحزن بنا المنزل وأجدب الجناب وضاق المسلك واكتحلنا السهر واستحسنا الخوف ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما بروا حيث خرجوا ولا قووا حيث فجروا وأطلقوا عنه ثم قال تعهدني وكن مني قريباً. أنظر مشاهير علماء مصر ١٦٣/١ ، تاريخ دمشق ٤٠٠/٢٥

[٢] - الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠ – ٩٥هـ) ، وهو قائد داهية سفاك وخطيب، وقد حكي عنه أنه حبس رجلاً في حبسه فكتب إليه الرجل رقعة فيها قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب في آخرها: ستعلم يا نؤم إذ التقينا .. غداً عند الإله من الظلوم .. أما والله إن الظلم نوم .. وما زال الظلوم هو الملوم .. سينقطع التلذذ عن أناس .. أداموه وينقطع النعيم .. إلى ديان يوم الدين نمضي .. وعند الله تجتمع الخصوم. أنظر: المستطرف في كل فن مستطرف ٢٣٩/١ - ٢٤٠، الأعلام ١٦٨/٢

[٣] - علي بن أبي طالب: رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام، كان عمره حين أسلم عشر سنين، لم يعبد الأوثان قط . شهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بدرا و أحدا و سائر المشاهد إلا تبوك . أنظر تاريخ الخلفاء ١٤٩/١، تاريخ الخلفاء، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر : مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.

[٤] - اعتذر في (د)

[٥] - في (ب) و (ج) : فوقفت

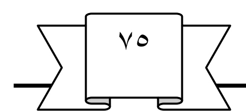
[٦] - فلتشيرون في (د)

[٧] - |الساعة| زيادة في (أ)

[٨] - |عند| زيادة في (أ)

[٩] - فاعتمدت في (ب) و (ج) و (د)

[١٠] - زيادة في (أ) وبحذفها يستقيم المعنى




أقول في مقامي هذا إلا الحق والصدق، والله لقد جهزنا وحرضنا، فما كنا بالأقوياء الفجرة، ولا بالأصدقاء البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فان سطوت فبذنوبنا، وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا.

فلما سمع الحجاج كلامه سكن غضبه وقال: لقد عفوت عنك لصدقك، ولأنت الآن والله أحب إلينا ممن يدخل علينا ويعتذر بأعذار لا تقبلها عقولنا، ولكن حيث صدقتنا فقد عفونا عنك، فطب نفسا، وافلح راشدا، قال الشعبي[١] فخرجت من عنده آمنا على نفسي وأهلي ببركة المشورة.

وقال بعضهم لا معين أقوى من المشورة، ولا عون أنجح من العقل، قال الاسكندر: خير الملوك من بدل السيئة بالسنّة[٢] الحسنة، وشر الملوك من بدل الحسنة بالسنّة[٣] السيئة.

**تفقد أحوال الرعية من المسجونين:**

ومما يجب ويتعين على ولي الأمر التفقد في كل حين لأحوال المسجونين، والتبصر في جناياتهم، والفحص عن ما سجنوا بسببه، فمن استحق أن يخلى سبيله أطلقه، ولا يتبع في الإعراض عنهم أفعال من تقدمه، فيقر أمرهم على ما هم عليه، بل لا بد من الفحص عن أحوالهم، والتبصر في أمرهم، ولا يصغي لقول من يقول ذنبهم في رقبة من حبسهم، هذا لا خلاص لك منه عند الله، إنما قلدك الله تعالى هذه الأمانة لتنظر في أحوال الرعايا، بما فيه الخلاص يوم القصاص، يوم يسأل كل راع عن رعيته، ولا تدع الناس هملا، لأنك لو تركت الناس هملا وخلوت بنفسك تتعبد وتتهجد لكنت مسيئاً بتركك الواجب، الذي افترضه الله تعالى عليك، من النظر في أحوال الرعايا، والتفقد لأحوالهم[٤].

---

[١] - شعبة في (ب) و (ج). وجاء في كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: وكان الشعبي ممن خرج مع ابن الأشعث فلما قدم على الحجاج بعد قتل ابن الأشعث قال وأنت أيضا ممن خرج علينا يا شعبي قال أحزن المنزل وأجدب الجناب واكتحلنا السهر واستحسنا الخوف ووقعنا في حرب لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء قال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا إذ برزوا إلينا أطلقا عنه. أنظر: كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ط١، دار المنار، ١/ ١٩٥

[٢] - |بالسنة| زيادة في ( أ)

[٣] - |بالسنة| زيادة في (أ)

[٤] - لمصالحهم في (ب) و (ج)

فإن المطلوب منك إنما هو التصدي لذلك، فإذا فعلت ذلك مبتدياً به مبادراً إليه، وضممت لذلك أعمالاً صالحة أثبت، وأجرت، وكنت من الفائزين.

[فإذا رأيت في أمرهم وتبصرت في أحوالهم، وما سجنوا بسببه][١]، فمن استحق الإطلاق منهم[٢] خلي سبيله، ومن وجب عليه تأديب فقط، فلا تأديب له أعظم من السجن الذي ناله، ومن وجب عليه قطع قُطع من غير قتل، فإنه[٣] أهيب وأرهب، فإنه كلما رُؤي هذا المقطوع متحسراً على بعض أعضائه، وقع الرعب في قلب كل من يراه، بل ويقال ما نال هذا من[٤] هذا البلاء إلا بارتكابه الفعل القبيح، كالسرقة ونحوها، فلا يتجرأ أحد أن يفعل كفعله فيصير مثله، فيخاف كل من رآه.

بخلاف إذا قُتل وغاب، فلا يُرى بعد ذلك، فانتسى[٥] وانتَسى فعله القبيح، فلا تحصل الرهبة، ولا الخوف، كالذي يُرى كل حين، فكل أحد يتعوذ بالله من شر ما رأى.

وإذا وجب الحد على أحد أقيم عليه الحد[٦]، وإذا وجب [عليه][٧] قتل قُتل بقاعدة الشرع الشريف، لا بالتشويه الشنيع العنيف، إلا إذا كان لازما لا بد[٨] منه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعديين على[٩] إبل الصدقة[١٠] فقد مثل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم.

---

[١] - الفقرة في النسخة (و) كالآتي: وإن تلاهيت في تيه المملكة وغفلت عنهم ولم تبصر في أحوالهم وفتنك الملك عن ما أوجب الله تعالى عليك العمل به فقد خبت وخسرت وهلكت مع الهالكين فتيقظ من غفلتك وارجع لنفسك وتبصر في أحوال المسجونين من رعاياك. وبالفقرة (و) يكون المعنى أكثر استقامة ووضوحا.

[٢] - |منهم| زيادة في (أ) و (د)

[٣] - فان ذلك في (د)

[٤] - |هذا من| زيادة في (أ) و (د)

[٥] - في (و): فاتنسي ونسي. والنَّسْيُ الشيء المَنْسِيُّ الذي لا يذكر. أنظر: لسان العرب ٣٢١/١٥

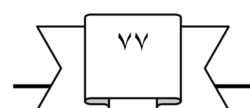
[٦] (الحدود) في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - زيادة في (ب) و (ج)

[٨] - |لا بد | زيادة في (أ)

[٩] - بابل في (ب ) و (ج )

[١٠] - عن أنس رضي الله عنه : أن ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم بالحرة يعضون الحجارة . صحيح البخاري ٥٤٦/٢ باب استعمال ابل الصدقة، صحيح مسلم ١٢٩٦/٣ رقم ١٦٧١ باب المحاربين والمرتدين.




قال الله تعالى: ﴿فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾[١]، أي لا يتجاوز فيه الحد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، [وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبيحة][٢]، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[٣].

وبكل حال يجب اتقاء الدماء، وعدم التجري[٤] في القتل، فإنه أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء، فلا ينبغي التجري بسرعة الإقدام على قتل أحد من خلق الله تعالى ولو بحق، بل لا بد من التأني والتثبت في الأمور، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ادرؤوا الحدود بالشبهات عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة)[٦].

وقال صلى الله عليه وسلم (لا يحل دم رجل[٧] مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان، أو ارتد بعد إسلام، أو قتل نفسا بغير حق فيقتل به)[٨].

---

[١] - الإسراء/٣٣ . وفي (ب) و (ج) أكملت الآية (فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا).

[٢] - زيادة في (ب) ، (ج)

[٣] - زيادة في (ب) و (ج). إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا الْقِتْلَةَ وإذا ذَبَحْتُمْ فأحسنوا الذبح وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذبيحته . أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٤٨/٣ ، رقم ١٩٥٥) باب الأمر بإحسان الذبح.

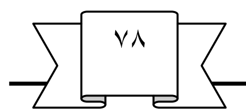
[٤] - الصحيح هو : التجرؤ. الجرأة هي الشجاعة والجريء هو المقدام. أنظر : لسان العرب ٤٤/١

[٥] - أخرجه الترمذى في سننه (١٦/٤ ، رقم ١٣٩٥) ، وقال : روى سفيان الثورى عن يعلى بن عطاء موقوفًا وهذا أصح من الحديث المرفوع . والنسائى في سننه (٨٢/٧ ، رقم ٣٩٨٧) ، والبيهقى في السنن (٢٢/٨ ، رقم ١٥٦٤٨) وقال : ورواه غندر وغيره عن شعبة موقوفًا والموقوف أصح .

[٦] - أخرجه الترمذى في سننه (٣٣/٤ ، رقم ١٤٢٤)، وابن أبى شيبة في مصنفه (٥١٢/٥ ، رقم ٢٨٥٠٢)، أنظر: (مصنف ابن أبي شيبة) المصنف في الأحاديث والآثار : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩، تحقيق : كمال يوسف الحوت . والحاكم في مستدركه (٤٢٦/٤ ، رقم٨١٦٣).

[٧] - امريء في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحصان فيرجم أو ارتد بعد إسلام فيقتل أو قتل نفسا بغير حق فيقتل به) . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٦٧/١٠ رقم ١٨٧٠٢) ، وأحمد في مسنده (٦٣/١ ، رقم ٤٥٢) والترمذى في سننه (٤٦٠/٤ رقم ٢١٥٨) وقال : حسن . والنسائى في سننه (١٠٣/٧ ، رقم ٤٠٥٧)، . والبيهقى في السنن (١٨/٨ ، رقم ١٥٦٢١) ، وابن ماجه في سننه (٨٤٧/٢ ، رقم ٢٥٣٣) ، أنظر: سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر : دار الفكر – بيروت، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . والحاكم (٣٩٠/٤ ، رقم ٨٠٢٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين.




وقال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾ [١]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [٢].

**الاحتكام لشرع الله في تنفيذ الأحكام:**

واعلم أيها الملك رعاك الله، أن الإنسان بنيان الله، فلا ينبغي لأحد سرعة الإقدام على هدم بنيان الله، ألا ترى أن الله تعالى يغضب إن[٣] انتهك حرماته، ولا شيء أعظم من حرمة المسلم عند الله، فإذا وجب على أحد قود[٤] أو قتل فأرى[٥] أن يكل ولي الأمر ذلك إلى حكم الشرع الشريف، ومهما[٦] حكم به الشرع الشريف أمر ولي الأمر بإنفاذه، حين ذاك على موجب الشرع الشريف، فإن ذلك أخلص له عند الله، يوم يؤخذ للمظلوم حقه ممن ظلمه، يوم يقضي الله تعالى بين الأنام، ويؤخذ بالنواصي والأقدام، فكل هذه الأمور يجب فيها مراعاة الحدود، بحيث لا يخرج عن العهود[٧]. قال سيد السادات: (أدرؤوا الحدود بالشبهات)[٨].

واعلم أنه[٩] لا أحد أكرم من الله، ولا أرحم، ولا أعلم بأمور مخلوقاته، ولا أحكم، فمن استحق العفو لا يُضرب، ومن استحق الضرب لا يُقطع ولا ينكب[١٠]، ومن استوجب القطع لا يقتل، ومن وجب عليه حد من حدود الله تعالى لا يمهل، فينبغي لولي الأمر التيقظ لمثل هذه الأمور، فلا يشغله تيه[١١] المملكة، ولهو[١٢] الأحكام، عن التيقظ لمثل

---

[١] - الاسراء /٣٣
[٢] - النساء /٩٣
[٣] - إذا في (ب) و (ج)
[٤] - القَوَدُ: القِصاص. أنظر: لسان العرب ٣٧٠/٣
[٥] - فالرأي في (و)
[٦] - في (و) وما
[٧] - الحدود في (د)
[٨] - أنظر ص (   ) الهامش (   ). والعجلونى في كشف الخفا (٧٣/١) : قال السخاوى : قال شيخنا - يعنى الحافظ ابن حجر- : وفى سنده من لا يعرف انتهى . أنظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المؤلف : للعجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، الناشر : دار إحياء التراث العربي.
[٩] - أن في (ب) و (ج) و (د)
[١٠] - كلمة (ينكب) حدث فيها تحريف والصواب هو : (ينكّل) لأن : نَكَّل به تَنْكِيلاً إذا جعله نَكالاً وعِبْرة لغيره ويقال نَكَّلْت بفلان إذا عاقبته في جُرْم أَجرمه عُقوبةً تَنَكِّل غيره عن ارتكاب مثله. أنظر: لسان العرب ٦٧٧/١١
[١١] (رتبة) في النسختين (ب ) و (ج) . والتِّيهِ هو الواسعُ من الأَرض. أنظر: لسان العرب ٥٨٨/٢
[١٢] - اللَّهْوُ: اللَّعِب يقال لَهَوْتُ بالشيء أَلْهُو به لَهْواً وتَلَهَّيْتُ به إذا لَعِبتَ به. أنظر: لسان العرب ٢٥٨/١٥. (والمقصود بلهو الأحكام، والله أعلم تنفيذها حسب الهوى لا بحكم الشرع الشريف).

هذه الأمور والمواد، ولا يحسب أن هذا شيء هين فإنه عظيم عند الله، وأول ما يقضى [الله تعالى][١] بين الخلائق يوم القيامة في الدماء، فيجب التحري ما أمكن.

وليعلم ولي الأمر أيقظه الله تعالى، أن مدة الولاية يسيرة جداً، وهجوم الموت أسرع إلى الإنسان من الحياة، فلا يغتر بزينة الحياة الدنيا، فإنها سريعة الزوال، وعن قريب يصير منها [إلى][٢] الارتحال، ويقدم بأعماله على ذي الجلال، فلا يخرب أخراه بإتباع هواه.

قال علي كرم الله وجهه: ((يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقال لهم، أنتم كنتم رعاة خليقتي، وخزنة ملكي في أرضي، ثم يقول لأحدهم لم ضربت عبدي[٣] فوق الحد الذي أمرت؟ فيقول: يا رب لأنهم عصوك، وخالفوك، فيقول الرب جل جلاله: لا ينبغي لأحد أن يسبق غضبه غضبي.

ثم يقول لآخر لم عاقبت عبدي[٤] هذا بأقل من الجلد[٥] الذي أمرت [به][٦]؟ فيقول: يا رب رحمتهم، فيقول الرب جل جلاله: كيف تكون أرحم[٧] مني ؟ خذا الذي زاد والذي نقص فاحشوا بهما زوايا جهنم))[٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل ولي أمر عشرة، إلا جيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، فإن كان عمله صالحا فك الغل[٩] عنه وان كان عمله سيئاً زيد عليه غلاً آخر)[١٠].

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - الصحيح: عبادي بصيغة الجمع ليستقيم معنى ما بعدها
[٤] - الصحيح: عبادي بصيغة الجمع ليستقيم المعنى
[٥] - الصواب: الحد. أنظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للإمام الغزالي ٤/١
[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٧] -(أكرم) في (ب) و (ج)
[٨] - أنظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، للإمام الغزالي، باب : أصول العدل والإنصاف ٤/١
[٩] - |الغل| زيادة في (أ)
[١٠] - ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه لا يكفه من غله ذلك إلا العدل . أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه (٤٢٠/٦ ، رقم ٣٢٥٥٣) ، وأحمد في مسنده (٢٨٤/٥ ، رقم ٢٢٥٠٩) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص ١٢٧ ، رقم ٣٠٦)، أنظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، (ت ٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي البدري السامرائي، الناشر مكتبة السنة، سنة النشر ١٤٠٨هـ – القاهرة. والطبرانى في المعجم الأوسط (٢٢/٦ ، رقم ٥٣٨٨) . والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٣٦/٢ ، رقم ١٩٦٩) وأخرجه أيضًا : الحارث في بغية الباحث (٦٣٠/٢ ، رقم ٦٠٠)، أنظر: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبي أسامة الهيثمي (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، سنة النشر ١٤١٣هـ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالوالي يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، يرفل في قيوده حتى إذا كان على جسر جهنم، أمر الله تعالى الجسر فانتفض [به][١] انتفاضة يخرج كل عظم من مكانه، ثم يأمر الله تعالى العظام[٢] أن ترجع إلى أماكنها[٣] ثم يسأله فإن كان مقسطاً عادلاً غفر له وأعطاه كفلين من رحمته، وإن كان قاسطاً جائراً خسف الله به فيهوي في النار سبعين خريفا)[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمسة قد غضب الله عليهم وإن شاء أمضى غضبه ويصيرهم إلى النار، أمير قوم يأخذ حقه منهم، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يرفع الظلم عنهم، ورئيس قوم يطيعونه، وهو لا يساوي بينهم، ويحكم بالميل والمحاباة ..إلخ الحديث)[٥].

وقال صلى الله عليه وسلم (كل راع [لا يرفق برعيته][٦] لا يرفق الله به يوم القيامة).

فعليك أيها الأمير[٧] الملك بالتيقظ لهذه المواد، والعمل بالعدل بين العباد، وبذل الجد والجهد في عمران القرى والبلاد، وقمع المعتدين [من][٨] أهل البدع والعناد،

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج)

[٢] - الأعضاء في (د)

[٣] - مكانها في (ب) و (ج)

[٤] - (إذا كان يوم القيامة أمر بالوالي فيوقف على جسر جهنم فيأمر الله الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عظم من مكانه ثم يأمر الله العظام فترجع إلى مكانها ثم يسأله فإن كان لله مطيعاً اجتذبه فأعطاه كفلين من الأجر وإن كان عاصياً خرق به الجسر فهوى إلى جهنم سبعين خريفا) أخرجه الطبراني عن عاصم ابن أبي سفيان الثقفي (١٧٥/١٧ ، رقم ٤٦٤) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢١٤٢/٤ ، رقم ٥٣٧٦)، أنظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني،احمد بن عبدالله بن احمد، تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان ناشر مكتبه الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٨/١٩٨٨. وفي كتاب قمع النفوس نسخة جامعة الملك سعود رقم ١٣٣٥ ص ٤٨ جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي ذر حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته يقول : يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصلا إلا زال من مكانه فان كان مطيعا لله في عمله مضى وان كان عاصيا انحرف به الجسر فيهوى في جهنم مقدار خمسين. وجاء في حديث آخر: يؤتى بالوالي فيوقف على الصراط فيعثر به حتى يزول كل عضو منه عن مكانه فإن كان عادلا مضى وإن كان جائرا هوى فى النار سبعين خريفا (عبد بن حميد عن بشر بن عاصم) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (ص ١٦٠ ، رقم ٤٣٠) .

[٥] - روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ورجل ظلم امرأة صداقها] كتاب الكبائر للذهبي، باب الكبيرة السادسة والعشرون: الظلم: ص ١٠٤، أنظر: الكبائر، لمحمد بن عثمان الذهبي، الناشر : دار الندوة الجديدة – بيروت.

[٦] - زيادة في (ب) و (ج). وجاء في الحديث : من رفق بأمتي رفق الله به ومن شق على أمتي شق الله عليه (ابن أبى الدنيا في ذم الغضب عن عائشة)، أخرجه أيضًا : الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن المبارك (١٦٦/١ ، رقم ٢٧١) ، وابن أبى الدنيا في الزهد (٦٠٣/٢ ، رقم ١٢٨٣) .

[٧] - [الأمير] زيادة في (أ).

[٨] - زيادة في (د)

وإظهار السطوة المرهبة لأهل البغي والفساد، واعلم أن ربك لبالمرصاد، فالحذر كل الحذر أيها الملك أن يفتنك الملك، ونوم الزمان، وإياك والغفلة، فكم من غافل ولق[١] بغفلته ففاجأته منيته، وفاتته أمنيته[٢]، فانتبه من سنة الغفلة يا ملك الإسلام والمسلمين، وانظر في أفعال من تقدمك من الملوك العادلين، شعر:

إذا ملكت فكن بالعدل مفتخرا واحذر ... سهام الدجى[٣] في حندس الظلم

فرب دعوة مظلوم يصادفها ... إجابة بزوال الملك والنعم

[لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... إن الظلوم على حد من النقم][٤]

وان تأمرت يا هذا على بشر ... فكن شفوقا بهم كالوالد الرحم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

يقول الله عز وجل [ابن آدم][٥] أعدل كما تحب أن يعدل فيك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتقوا دعوة المظلوم فإنها [تحمل][٦] على الغمام [وينظر إليها الرب][٧] ويقول الله تعالى[٨] وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)[٩].

فعليك أيها الملك بالاهتمام[١٠] بمراقبة الملك العلام، والعدل بين الأنام، [ولا][١١] يشغلك عن ذلك، ما أنت فيه من الأحكام، واعلم أن أعمالك تعرض كل يوم على صاحب الجناب الرفيع، حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وبجل[١٢] وعظم، فانظر ماذا يكون فيه سرور نبيك، إذا عُرض عليه عملك الصالح.

---

[١] - الوَلْق: الاستمرار في السير وفي الكذب. أنظر لسان العرب ٣٨٣/١٠
[٢] - |وفاتته أمنيته| زيادة في (أ) و (د)
[٣] - الرعايا في (د)
[٤] - زيادة في (ب) و (ج) و (د). القصيدة طويلة ومطلعها: ليس المقام بدار الذل من شيمي ولا معاشرة الأنذال من هممي، وهي لشاعر يعرف بالوعيظي فقط، وسمي بذلك لغلبة شعر الوعظ والحكمة في قصائده، عاش في القرن الثامن الهجري، ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى ١٥٩/١
[٥] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٦] - زيادة في (ب) و (ج)
[٧] - زيادة في (ب) و (ج)
[٨] - |الله تعالى| زيادة في (أ)
[٩] - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٤/٤ رقم ٣٧١٨). والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ٢٢١ ، رقم ٦٣١) . والدينورى فى المجالسة (٢٧٩/٧ ، رقم ٢١٧٣) ، والدولابى فى الكنى والأسماء (١٠٤٠/٣رقم ١٨٢٩)، أنظر: الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق، أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر دار ابن حزم، سنة النشر ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، مكان النشر: بيروت/ لبنان،
[١٠] - |بالاهتمام| زيادة في (أ) و (ب)
[١١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[١٢] - (وكرم) في (ب) وعظم في (د)

وعليك يا ملك الزمان بتقريب العلماء العاملين، وحفظ رأي العقلاء الناصحين، واستعمال المداراة[١]، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[٢]: (علمني ربي بعد الإيمان مداراة الناس)[٣].

واعلم أن الدنيا ظل زائل، وهي دار أنت منقول منها، ومسئول عنها، فاجعل العدل لك فيها وزيراً، تجده في عرصات[٤] القيامة لك هادياً ونصيرا، فإذا عاملت رعاياك بالعدل عاملك الله تعالى [باللطف][٥] والفضل، فإن الدنيا في معرض الزوال، ولا بد عنها من الانتقال، فلا تغتر بزخرفها فان زخرفها وبال، ونعيمها أسرع شيء إلى الارتحال، واعلم أنها لم تأتك إلا بعد أن كانت في يد غيرك، وسترجع منك إلى غيرك، وتندم على عدم الازدياد فيها من فعل الخيرات، ولا ينفعك الندم على ما كسبت[٦] من الموبقات.

فعليك أيها الملك بانتهاز الفرصة، بتقليد[٧] المنن في أعناق الرجال، فان النعمة لا بد أن تزال، إما بشكر جزيل[٨] أو بخزي طويل، والأيام صحائف الدهر، فلا تغرنك زهرة الحياة الدنيا، ولا يغرنك بالله الغرور. فقد قال من بيده تصاريف الأمور: ﴿وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٩].

فعليك يا ملك الدهر[١٠] والزمان بالعدل والإحسان، فكما تدين تدان، واعلم أن ((من غرس العلم اجتنى النباهة[١١]، ومن غرس الإحسان[١٢] اجتنى المحبة[١٣]، ومن غرس

---

[١] - مدارة الناس: ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم. أنظر لسان العرب ٢٥٤/١٤

[٢] - |قال| زيادة في (أ)

[٣] - إن الله أمرني بمدارة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض (الديلمى عن عائشة)، أخرجه الديلمى في مسند الفردوس (١٧٦/١ ، رقم ٦٥٩) . رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس (أخرجه: ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج ص ٣٢ ، رقم ١٧ عن سعيد بن المسيب مرسلاً)

[٤] - العَرَصاتُ: جمع عَرْصة والعرّاص من السحاب ما اضطرب فيه البرق وأظل من فوق فقرب حتى صار كالسقف ولا يكون إلا ذا رعد وبرق. أنظر لسان العرب ٥٢/٧ (والمعنى هنا والله أعلم يقصد به: الاضطراب والخوف من أهوال القيامة).

[٥] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٦] اكتسبت في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - (بتعليق) في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - (طويل) في (ب) و (ج) ، (جميل) في (د)

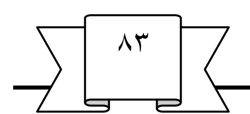
[٩] - آل عمران /١٨٥

[١٠] - |الدهر| زيادة في (أ) و (د)

[١١] - الشاهد في( ب) و (ج)، وقد يكون المقصود (الشهد).

[١٢] - الزهد في (ب) و (ج)

[١٣] - العز في (ب) و (ج)




الطمع اجتنى الذل، ومن غرس المدارة اجتنى السلامة، وان عز الدنيا بالملك، وعز الآخرة بالأعمال الصالحة))[١].

كتب الاسكندر[٢] إلى أرسطاطاليس[٣] أن أرسل إليّ بموعظة فكتب إليه: إذا صفت لك [الملائكة][٤]، فجدد ذكر العطب، وإذا اطمأن بك الأمن، فاستشعر الخوف، وإذا أحببت نفسك، فلا تجعل لها في الآثام نصيبا.

واحذر أيها الملك من يوم لا ليلة لك بعده، ومن ليلة لا يوم لك بعدها، واعدل ما استطعت، فانك مجزى بالعدل عدلا، وبالجور جورا، واعلم أن هلاك المرء في ثلاث: (شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)[٥]. وهلاك الملوك في شيئين: (ارتكاب المظالم، والانفراد بالرأي).

ومن العدل الذي يجب على ولي الأمر العمل به، أن يراعي في أوامره، وأفعاله، وأحكامه، القواعد الشرعية، التي أمر الله تعالى بها على لسان أشرف المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فإياك والخروج عنها يا ملك الزمان، أو تعدل عن ما جاء به القرآن.

قال الحكماء، الملوك ثلاثة:

واحد ينتصف من نفسه لرعاياه، ويتجاوز عنهم، فهو أعلاهم درجة، وأكملهم عقلا، وأدومهم ملكا، وأعمرهم بلاداً، وأملكهم [لقلوب][٦] رعاياه.

---

[١] - قال بعض العلماء من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الإحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذلة ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن غرس الحسد اجتنى الكمد. أنظر: المنهج المسلوك للشيزري ١٨٣/١، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، لعبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن الشيزري (ت ٥٨٩هـ)، تحقيق علي عبد الله الموسى، الناشر مكتبة المنار، سنة النشر ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مكان النشر الزرقاء.

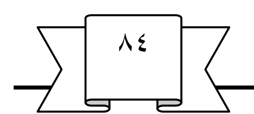
[٢] - الاسكندر الملك ذو القرنين بن فلفيوس : قيل افليقوس بن الاسكندر المقدوني اليوناني وقيل الاسكندر بن فليفوس المقدوني. أنظر: بغية الطلب في تاريخ حلب ١٥٩٣/٤

[٣] - أرسطو طاليس بن ينقوماخوش الجهراشي الفيثاغوري، معلم الاسكندر الملك بن فليقوس بن الاسكندر المقدوني. أنظر: بغية الطلب في تاريخ حلب ١٣٤٥/٣

[٤] - السلامة في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - (ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السبرات ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات فإطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧/٦ رقم ٥٧٥٤ عن ابن عمر) السبرات: جمع سبرة وهي شدة البرد.

[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)




وواحد ينتصف لهم من نفسه، وينتصف لنفسه منهم، فهو أوسطهم، فذلك الذي عمل بالعدل، ولم يكتسب الفضل.

والثالث ينتصف لنفسه من رعيته، ولا ينتصف لهم من نفسه، فهذا أقبحهم سيرة، لأنه تعجل لنفسه الهلكة[١]، لأن رعاياه تبسط أكفها بالدعاء عليه، وألسنتها بالتضرع إلى من بيده مقاليد السموات والأرض، فلا[٢] يوشك أن يزول ملكه.

فاختر [لنفسك][٣] يا ملك الزمان العمل بأفعال من شئت من هؤلاء.

**فصل في منع استخدام أهل الذمة:** قال الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه المأمور فيه بقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٤]، ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[٥]، وقال تعالى في حق من والى أحداً منهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٦].

((فمما يجب ويتعين على حكام المسلمين، أن لا يتخذوا أحداً من أهل الذمة كتاباً من دون المسلمين[٧] المؤمنين، فلقد استعملهم الأجناد، ومكنوهم في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وتحكموا في العباد، وابتدعوا البدع والحوادث، واظهروا العناد، وبارزوا[٨] بالفجور بين[٩] العباد، واستولوا على أموال المسلمين، وأهانوا أهل العلم والصلاح والدين، وظهر فسقهم في حرم المسلمين والمؤمنين، وخيانتهم في أموال الموحدين. وصاروا يركبون الخيول، ويعلون ألسنتهم على الرعايا، بالسب، والشتم، والفجور، وقد شوهد بعضهم يخرج رجله من الركاب، ويرفص[١٠] المسلمين على وجوههم، ولم يخف رب الأرباب، فأي عيش يطيب مع هذا الذل العظيم، وأي معيشة تستطاب، مع هذا

---

[١] - الصحيح هو (التهلكة)
[٢] - الصحيح: (ف) بدلا من (فلا)، كما في النسخة (و).
[٣] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - المزمل/٤
[٥] - النساء/١٤١
[٦] - المائدة/٥١
[٧] - زيادة في (أ)
[٨] - وبادروا في (ب) و (ج) و (د)
[٩] - رب في (هـ)
[١٠] - الصواب : يرفس والرَفْسُ: الضرب بالرِجْلِ في الصدر ورَفَسَه يَرْفُسُه رَفْساً ضربه في صدره برجله وقيل أيضاً: رَفَسَه برجله من غير أن يخص به الصدر. أنظر: لسان العرب ١٠٠/٦ ، الصحاح في اللغة للجوهري ٢٦٢/١

الخطب الجسيم، فالموت في هذا الوقت، خير من الحياة، فلا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم]))[١].

فالواجب عليك يا ملك الزمان، أن تمنع الجمهور من عسكر السلطان، أن يولونهم مادة من المواد، أو يستعملونهم في عمل مما يتعلق بالقرى والبلاد، فقد منعنا الله تعالى في كتابه المسطور أن نواليهم، أو نوادهم، إلى يوم البعث والنشور. فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [٢]. وأمرنا بل فرض علينا أن نسأله في اليوم والليلة خمس مرات، والتعوذ منهم بقولنا في الصلاة بعد سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[٣] آمين.

((فمن صريح ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المغضوب عليهم اليهود، والضالين النصارى، [فكيف نوالي قوما غضب الله عليهم وأضلهم، فينبغي تجنبهم حسب ما أمكن، وإبعادهم مهما أمكن[٤]][٥].

فلو لم يرد في ذمهم سوى هذه الآية، لكانت كافية في تجنبهم وإبعادهم، وعدم تقربهم[٦]، ألا ترى أن الملك إذا غضب على شخص هل يستطيع أحد أن يقربه أو يوادده أو يواليه؟

وقد أخبرنا الله تعالى بأن الله عدو للكافرين، فحيث علمنا أنه عدو لهذه الطائفة الضالة، الكافرة، بالله ورسوله، وتحققنا أنهم أعداء الله ورسوله، فكيف نوالي من عاداه الله ورسوله؟

---

[١] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ٥٠ وجاء فيه أيضا: من يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب. وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الذئاب لها رعاة، والله الذئب أشفق على الغنم من النصارى على المسلمين. فالذئب يؤذي الغنم ليدفع ضرورته ويسد جوعته، وأعداء الله يؤذون المسلمين بطرا ويتقربون بإهانتهم. العلي العظيم زيادة في (ب) و (ج).

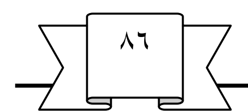
[٢] - الممتحنة/١٣

[٣] - الفاتحة /٧

[٤] - [مهما أمكن] زيادة في (أ) و (د)، وتمكّن في (هـ)

[٥] - العبارة في (ب) و (ج) كالآتي: فكيف قوما غضب الله عليهم وأضلهم أن نوادهم أو نخالطهم أو نستعملهم فينبغي تجنبهم حسب ما أمكن وإبعادهم. وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم أن المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى، فقد أخرج أحمد والترمذي – وحسنه – وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن المغضوب عليهم اليهود والضالين هم النصارى). أنظر تفسير ابن عطية ٩/١

[٦] - تقريبهم في (ب) و (ج)




فلو مثلاً[١] قال السلطان لرعاياه فلان عدوي، هل يستطيع أحد أن يواليه أو يجتمع عليه[٢] أو يخلو معه أو يشاوره؟ خشية أن يبطش به الملك، أو تحل به العقوبة، أفلا تخشى أن يحل بنا عقاب الله تعالى وعذابه، بتقريب أعداءه واتخاذهم كتاباً، وعمالاً من دون المؤمنين))[٣].

قال الله تعالى في كتابه المكنون المفصح المبين: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] إلى أن قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ﴾ [٥] أي إن اتخذتموهم أولياء. وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٦].

فانظر يا ملك الزمان هذا النهي والتحذير، والتهديد، والوعيد الشديد، لمتولي الكفار، من دون المؤمنين، أفلا تخف عقابه وبطشه، وعذابه الأليم، وإزالة ما أنت فيه من النعيم؟

وليعلم[٧] ولي الأمر أعانه الله تعالى، على إزالة الفساد، ومنع أهل الذمة، والمكر والعناد، أن يولوا أمرا من أمور العباد.

((إنني لما رأيت أعداء الله وهم النصارى، تمكنوا في البلاد، ومكروا على العباد، وأهانوا أهل الدين، وابتدعوا البدع، وفرعوا المظالم على المسلمين، وحكام زماننا عن هذه المصيبة[٨] غافلون، وعن القيام بما يجب عليهم فيها متغافلون[٩]، فخشيت أن يعم

---

[١] - ترى في (ب) و (ج)
[٢] - [أو يجتمع عليه] زيادة في (أ)
[٣] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ٩-١٠
[٤] - آل عمران/٢٨
[٥] - آل عمران / ٢٨ ، ٣٠
[٦] - المائدة/٧٨ - ٨١
[٧] - (وليعلم) في كل النسخ والصحيح هو (وليعمل)، وقد حدث تحريف بتقديم حرف على حرف.
[٨] - القضية في (ج)
[٩] - متشاغلون في (د)

العقاب، أو ينزل العذاب[١] على كافة الخلق[٢]، لقوله سبحانه في محكم الكتاب: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

فأحببت أن أذكر حكامنا ما نسوه من الشريعة، وأنبههم على ما أغفلوه[٤] من أحكامها الرفيعة، لما علمت من تلفتهم[٥] وحضهم[٦] على إعلاء كلمة الدين، وقيامهم بأداء فرض الجهاد، وقمع الكفرة المعتدين، وأن هذا من جملة الجهاد المفروض على ولاة أمور العباد، فذكرتهم ذلك خشية عقاب الله في الكتمان، ورجاء ثوابه في إعلان[٧]، كما قال الله في الكتاب المبين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

فإن أخذوا بشريعة الله فهو المراد، وان تساهلوا عن ذلك وأعرضوا، والعياذ بالله تعالى، فقد باؤوا من الله بالغضب والإبعاد، وأكون أنا وإياهم كما قال الله تعالى في محكم الكتاب المكنون[٩]: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[١٠]))[١١].

واعلم يا ملك الزمان، أن هؤلاء الكفار لا يحبون للمسلمين خيرا البتة، بدليل[١٢] قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[١٣].

فالذي لا يريد لك خيرا، كيف تقربه أو تواليه أو تطلعه على أسرارك وتستأمنه على أموالك؟ وهو لا يريد لك خيراً، بل ربما يتوقع لك ضيرا[١٤]، لكن من يستعملهم غافل عن مثل هذا. بل ومنهم من يعتقد أن النصارى أعرف بمباشرة الخدم من

---

[١] - العقاب في (ب) و (ج)
[٢] - المسلمين في (د)
[٣] - الأنفال/٢٥
[٤] - في ج اغفلوا عنه ، غفلوه في (د)
[٥] - (تلقينهم) في (د). قلقهم في (ب) و (ج). (كذا في النسخ)
[٦] - لبغضهم في (ج) ، وحفظهم في (د) (كذا في النسخ) والصحيح والله أعلم: عدم حضهم
[٧] - الاعلان في (د)
[٨] - الذاريات/٥٥
[٩] - المبين في (ب) و (ج)
[١٠] - الاعراف/١٦٥
[١١] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ٤ - ٥
[١٢] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[١٣] - البقرة/١٠٥
[١٤] - (ضررا) في (د)

المسلمين، وغفلوا عن ما جاء في حقهم من آيات الكتاب المبين: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

وقد[٢] قال الله في محكم القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣].

قال ابن عطية[٤]: ظاهر هذه الآية أنها لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة[٥]، والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة، ولا يشك شاك أنهم يبغضون سيد المرسلين، ونحن لا يتم إيماننا إلا ببغض الكفار، الصادر منهم ذلك في حق النبي الأمين.

((سُئل بعض العلماء عن هؤلاء الذين يوالون اليهود والنصارى، ويستعملونهم كتّاباً من دون المؤمنين، فقال: بلغنا والله أعلم أنهم يفتنون عند الموت، فلا يموتون على فطرة الإسلام، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [٦]، أي من جملتهم ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٧]. فسمى الله تعالى الذين يتولونهم ظالمين، وقال في آية أخرى: ﴿وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [٨] أي عند الموت))[٩].

قال بعض المفسرين: يوشك من استكتبهم أن لا يموت على الإسلام، لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [١٠]. أي من جملتهم، تأمل قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [١١]، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ

---

[١] - النور /٦٣
[٢] - |وقد| زيادة في (أ) و (د)
[٣] - التوبة/٢٣
[٤] - ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (٤٨١ - ٥٤٢ هـ) ، مفسر فقيه، عارف بالأحكام والحديث، وله : (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أنظر: الأعلام ٢٨٢/٣ .
[٥] - أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ٢٠/٣
[٦] - المائدة/٥١
[٧] - المائدة / ٥١
[٨] - ابراهيم/٢٧
[٩] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ١٧ ، ص ٢٩
[١٠] - المائدة/٥١
[١١] - البقرة/٢٥٧

أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[١]. فما أغفلنا عن العمل بهذه الآية الشريفة.

قال بعض العلماء: معناه والله أعلم، أن الكفار كلهم يتعاونون، وينصر بعضهم بعضا، وهم أعداؤكم، فكونوا أنتم كذلك من اجتماع الكلمة، وموالاة بعضكم بعضا، فبتركنا ذلك واتخاذنا للكفار كتّاباً من دون المؤمنين، كثر والله الفساد، وانتشروا[٢] الفتن والله[٣] بين العباد، هذا وأهل الدولة عن هذه المفاسد غافلون، وعن ما ينال أهل الإسلام، من إيذاء هذه الطائفة معرضون، ومتغافلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فبهذا الموجب اشتدت البلية، بإهانة الملة المحمدية، فلقد خشيت والله أن يغضب الله تعالى لأوليائه، فينزل العذاب على من مكّنهم، ويحل الانتقام بمن[٤] حكَّمَهم، فحملني على ما علمت من أحوالهم، الشفقة على حكام المسلمين، والنصيحة لأركان الدولة[٥] الموحدين، فبذلت لهم النصيحة، ابتغاء وجه الله رب العالمين.

كما أخبر الله تعالى في كتابه المبين، بقوله[٦] وهو أصدق القائلين: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[٧].

فحق على جميع الورى أن يمدوا ولي الأمر بالمناصحات[٨]، ويخصوه بالدعوات الصالحات، ويعينوه على سائر المهمات، رجاء الفوز في الآخرة بالدرجات، فقد أمرنا الله تعالى بالمعاونة على البر[٩] والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [١٠]. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [١١].

[١] - الأنفال/٧٣
[٢] - انتشر في (ب) و (ج) و (د)، والصحيح : انتشرت (بتاء التأنيث)، أو (ونشروا) الضمير راجع للكفار.
[٣] - |والله| زيادة في (أ)
[٤] - على من في (ب) و (ج) و (د)
[٥] - دولة في (ب) و (ج)
[٦] - |بقوله| زيادة في (أ)
[٧] - الأعراف/٧٩
[٨] - الصحيح : بالنصائح
[٩] - |البر| زيادة في (أ)
[١٠] - المائدة /٢ ، زيادة في (أ)
[١١] - هود/١١٦

فالمتعين على علماء الإسلام، أن يبذلوا جهدهم وجدهم[١]، في نصيحة الإمام، وإذا اطلعوا على أمر فيه ضرر على المسلمين، وولي الأمر عن ذلك من الغافلين، فيجب عليهم أن يعلموه، وينهوه ويطلعوه[٢]، على ما اتضح لهم من ذلك ويوقظوه، ويتضرعوا إلى جبار السموات بالدعوات المستجابات، أن يريه الحق حقاً، ويرزقه إتباعه، ويريه الباطل باطلاً، ويرزقه اجتنابه، وأن يوفقه للعمل بما أمر الله [به][٣]، واجتناب ما نهى الله [عنه][٤]، فإن في ذلك صلاح الدنيا والدين، والنفع لكافة المسلمين.

فإن من جملة ما أمر الله تعالى، النهي عن موالاة أهل الذمة، فلا يُتخذوا كتّاباً ولا عمّالاً، فقد تملكوا بهذه الخدمة قلوب أكابر الأمة، ففرّعوا لهم في إحداث المظالم[٥] أبوابا، فالأولى أنهم[٦] لا يُستعملوا عمالاً، ولا كتّاباً، فقد خانوا الله والرسول، وبالغوا في إيذاء أهل الملة المحمدية، غاية الأمل والمأمول، فلا يُؤمن أن يتعدوا[٧] لما هو أكبر[٨] وأبلغ من ذلك، لأنهم حيث تمكنوا هذا التمكين، من قلوب حكام الممالك[٩]، فلا يؤمَنوا[١٠] أن يكاتِبوا الأعداء من الكافرين، ويظهروهم على أسرار المسلمين[١١].

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[١٢] وهذه الآية عامة في كل [من ولى][١٣] أعداء الله تعالى إلى يوم القيامة.

---

١ - [وجدهم] زيادة في (أ) و (د)
٢ - يطلعونه في (ب) و (ج) و (هـ)
٣ - زيادة في (د)
٤ - زيادة في (د)
٥ - الظلم في ج
٦ - أن في (ب) و (ج) و (د)
٧ - يبعدوا في (ب)
٨ - أكثر في (ب) و (ج) و (د)
٩ - المسلمين في (ب) و (ج) و (د)
١٠ - يؤمن في (ج) و (د)
١١ - (المؤمنين) في (ب) و (ج) و (د)
١٢ - الممتحنة /١
١٣ - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[١]، هذا نهى عن موالاة أقربائهم[٢]، فكيف موالاة الأجانب منهم؟ وقال عز من قائل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

فانظر كيف نفت هذه الآية الإيمان عن متولي[٤] أعداء الله تعالى، وأثبتت الإيمان والتأييد بروح منه[٥] لمن أبغض أعداءه. قال بعض العلماء: [معناه][٦] نفي الإيمان الكامل، لأن موالاتهم وان كانت من أعظم المعاصي لا تسلب الإيمان كَمَلا[٧]، إنما ربما تكون سببا للوفاة على غير الإسلام، نعوذ بالله من ذلك.

وليعلم ولي الأمر أن مستعملهم[٨] كتاباً دون المؤمنين، مخالفاً لما جاء في الكتاب المبين، من الأمر بإهانتهم وإعطائهم الجزية عن يد وهم صاغرون، فباستعمالهم صاروا أعزاء على المؤمنين، يأخذون من المسلمين الرشا والبراطيل[٩] وهم صاغرون، والكفار يهددونهم ويتوعدونهم ويحقرونهم وعليهم يتكبرون، بل ومِن المسلمين مَن يقبّل أيديهم وأرجلهم في الركاب، كل هذا من تمكين الدولة إياهم على المسلمين وغفلتهم عما[١٠] جاء من الآيات في الكتاب المبين.

فتأمل هذه الآيات وما انطوت عليها، فهل يسمح بذلك [أحد][١١] في قلبه شيء من الإيمان، فيقرب أحداً من النصارى أو اليهود، أو يشاورهم، أو يتولهم[١٢]، أو يواليهم،

---

[١] ـ التوبة /٢٣
[٢] ـ أقاربهم في (د)
[٣] ـ المجادلة /٢٢
[٤] ـ من يوالي في (د)
[٥] ـ الله في (ب) و (ج) و (د)
[٦] ـ زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٧] ـ أظنه يقصد كاملا
[٨] ـ الصواب: استعمالهم
[٩] ـ البِرْطِيل : الرشوة وفي القاموس بَرْطَلَة فتبرطَل رشاه فارتشى. أنظر: لسان العرب ٥١/١١
[١٠] ـ عن ما في (ب) و (ج)
[١١] ـ زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[١٢] ـ يتولاهم في (د)

أو يستكتبهم، أو يركن إليهم، أو يوليهم عملاً، من الأعمال [التي][١] تتعلق بالمسلمين؟ تالله لا يفعل ذلك إلا من أمِن مكر الله، واستخف بوعيد الله، وخالف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد ورد[٢] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تسلموا على اليهود والنصارى وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم[٣] إلى الضيقة)[٤].

((قال المفسرون: لأن الكفار ليسوا أهلا للإكرام، بل إنما هم أهلا للإذلال والهوان، فهذا كله تحذير عن موالاتهم، والاختلاط بهم، وعدم الألفة بيننا وبينهم))[٥].

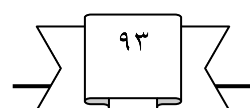
فيجب على كل من آمن بالله إتباع أمره، واجتناب نهيه، وتقريب من قرب[٦] الله، وإبعاد من أبعد، ومنابذتهم، ومباعدتهم، والإعراض عنهم، امتثالا لأوامر الله تعالى، وحذراً من عقابه، وحلول سخطه، كما قال عز من قائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧].

فليبادر ولي الأمر أعانه الله تعالى، بعزل كل ذمي عن ولايته، واستخدام غيره من المسلمين، فقد قامت حجج[٨] الله تعالى على من ولاهم أمر المسلمين، أو استكتبهم أو أدناهم أو ولاهم عملاً من أعمال المسلمين، أو قربهم أو استكفى بهم. قال بعض العلماء: من ولى أهل الذمة ديواناً للمسلمين، انتقض عهده والإمام مخير بين القتل والفدى.

روى هشام[٩] ابن عروة قال: (استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فناوله يده فأبي أن يتناولها فقال له يا جبريل ما منعك أن تأخذ بيدي قال يا محمد إنك أخذت

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج)
[٢] - روي في (ب) و (ج)
[٣] - فاحشروهم في (ب) و (ج)
[٤] - عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه" أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٠٧/٤ ، رقم ٢١٦٧) باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.
[٥] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ٢٣
[٦] - قربه في (ب) و (ج)
[٧] - النور /٦٣
[٨] - حجة في (ج)
[٩] - هشام بن عروة بن الزبير بن العوام أبوالمنذر الأسدي المدني أحد أئمة الحديث، أدرك عمه عبدالله بن الزبير (٦١ - ١٤٦ هـ = ٦٨٠ - ٧٦٣ م). أنظر الأعلام للزركلي ٨٧/٨




بيد يهودي فكرهت ذلك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ فناوله [يده][١] فتناولها)[٢].

وروى شريك عن أبي هلال عن أسق[٣] قال كنت عبداً[٤] لعمر ابن الخطاب، فراودني على الإسلام، فأبيت، فقال: لا إكراه في الدين، ثم قال: إن أسلمت استعملتك على أمانة المسلمين، فإنه لا يحل لي أن استعملك على أمانتهم وأنت على غير دينهم[٥].

والآيات والأحاديث الواردة في عدم موالاة أهل الذمة وعدم الاستعانة بهم كثيرة، لو استقصيناها لضاق هذا الكتاب، (لكن في هذا القدر زيادة اكتفاء لذوي العقول)[٦].

قال في كتاب منهج الصواب وقبح استكتاب أهل الكتاب[٧]: ((ليت شعري أي شيء أغفل ولاة الأمور، حتى نبذوا كتاب الله وأعرضوا عما[٨] ورد في ذلك عن سيد المرسلين، وسلكوا هذا المسلك الذميم، من تقريب أعداء الله تعالى وإعزازهم على المسلمين، وتعظيمهم وامتثال أقوالهم واستكتابهم واستئمانهم، [على المسلمين][٩] مع أنهم خانوا الله رب العالمين، ورسوله محمد الصادق الأمين، وجبلت قلوبهم على بغض أهل الإسلام، ومعاداة سيد الأنام، فلو أنهم يعطوا لأرباب الدولة في كل يوم وزن جبل من المال، ما استحقوا بأن يُعاملوا بهذه الأفعال، فقد مكنوهم من المسلمين، فأهانوا[١٠] أهل الدين، بجلوسهم في [تعاطي][١١] كتاباتهم، والمسلمون بين أيديهم على أقدامهم قائمين[١٢]، فما أقبح هذه السيرة في هذه الديار، وما أشنع سمعة[١٣] هذه الفضيحة في سائر الأقطار، وهم يأخذون أموال الرعايا مصانعة ورشا، ويفتخرون

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل جبريل فناوله يده فأبى أن يتناولها فقال يا جبريل ما منعك أن لا تأخذ بيدي قال إنك أخذت بيد يهودي فكرهت أن تمس يدي يداً مستها يد كافر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم ناوله يده فتناولها). المعجم الأوسط للطبراني ١٦٤/٣.

[٣] - أسق : مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان نصرانياً. أنظر: الطبقات الكبرى ١٥٨/٦.

[٤] - عند في (هـ)

[٥] - أنظر: التاريخ الكبير ٢٦٨/٨ ، والطبقات الكبرى ١٥٨/٦

[٦] - في (هـ) لكن في هذا القدر كفاية لذوي الألباب

[٧] - كتاب في الوعظ والإرشاد لمؤلفه: علي بن محمد بن عبدالعزيز، ابن الدريهم (ت ٧٦٢هـ) أنظر ترجمته في الأعلام: ٦/٥، وقد نقل القرافي كثيراً من هذا الكتاب، وتطرق هذا الكتاب في مواضع كثيرة لتفسير ابن عطية.

[٨] - عن ما في (ب) و (ج)

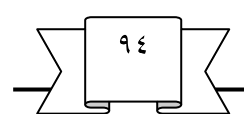
[٩] - زيادة في (ب)

[١٠] - فهانوا في (ب) و (ج)

[١١] - زيادة في (ب)

[١٢] - قائمون في (ب) و (ج)

[١٣] - |سمعة| زيادة في (أ)




بسرقة أموال الخاصة، فلقد ذهب مال من استأمنهم، وخسر وخاب والله من استخدمهم.

فلو سلكت أذكرهم قبح[١] أفعالهم لضاقت المجلدات، ولو استقصيت مكرهم بالمسلمين لسكبت العبرات، قبحهم الله من طائفة، تمكنوا في بلاد الإسلام، وأهانوا جل الأنام، وولاة الأمور عن أفعالهم القبيحة غافلون، وعن استهانتهم أهل الملة المحمدية متغافلون، فيا لها من مصيبة، وأي مصيبة! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)[٢]، هذا فيمن يوقره لو كان مسلما، فكيف من يسلطه على المسلمين، مع أنه من أهل الذمة والخيانة في الدين، فلقد والله استهان بحرمة الإسلام، وإيذاء أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام))[٣].

فيجب على ولاة أمور الإسلام المبادرة[٤] برفع أيدي هذه الطائفة عن المؤمنين، ومنعهم [من][٥] أن يكونوا [عمالاً أو يلوا كتابة أو عمل][٦] ديوان من الدواوين. فمن ولاهم شيئاً من ذلك، ولم يعمل بأوامر الله تعالى، فيخشى عليه[٧] أن يبوء بغضب من الله[٨]، ويندم حيث لا ينفعه الندم، فقد قامت الحجج على من خالف الأوامر، وتحقق الوعيد على من ولاهم، أن تدور عليه الدوائر.

وليس العجب ممن وقف على هذا الكتاب وما حواه وعمل بما فيه، ونابذ أعداء الله تعالى وأهانهم وأبعدهم[٩] وعزلهم عن ديوانه وطردهم، وإنما العجب ممن وقف عليه فلم يمنعهم، وأقرهم على ما هم عليه من سوء الحال، وقبيح الأفعال، واتخاذهم كتاباً، وتقليدهم غالب الأعمال.

---

[١] - قبيح في (ج)

[٢] - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٢٥/٢): وابن عدى في الكامل (٦٥/٢ ، ترجمة ٢٩٧) . وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/١٤) . والبيهقى في شعب الإيمان (٦١/٧ ، رقم ٩٤٦٤) . حكم الألباني عليه بالضعيف.

[٣] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ٢٣-٢٥

[٤] - المباشرة في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - (كتابا أو عمالا في) في (ب) و (ج)

[٧] - |عليه| زيادة في (أ)

[٨] |من الله| زيادة في (أ)

[٩] - |وأبعدهم| زيادة في (أ)

فمن يعرض عن العمل بما ورد في حقهم من هذه الآيات الصريحة، ولم يعمل بما جاء فيمن ولآهم من الأحاديث الصحيحة، فسبيله سبيل المعاند لكتاب الله، المعرض عن سنة رسول الله، المؤثر هواه على رضا مولاه. بل ربما يكون هو المراد بقول الله الحكيم العليم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

فينبغي الإعراض [عنه][٢] كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٣]. فح[٤] يخاف عليه حلول غضب الله تعالى، وشدة انتقامه، ونزول سخطه وبلائه، أيقظنا الله تعالى من سنة الغفلة، وجنبنا ما يؤثر المقت والذلة، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وبعباده لطيف خبير.

((رُوي أن أمير المؤمنين عمر[٥] بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، كتب إلى أبي موسى[٦] الأشعري، وكان عاملاً على بعض الأعمال، أما بعد: فإن أسعد الولاة من سعدت به رعاياه، وأشقاهم من شقيت به رعاياه، وقال في آخر مكتوبه: إذا قرأت كتابي هذا، فأقدم علي بكتابك لعمل الحساب. فلما قرأ الكتاب بادر بالوصول إلى حضرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوافاه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل فسلم، فرد عليه السلام، فرأى عمر رضي الله عنه

[١] - النور / ٦٣
[٢] - زيادة في (ب) و (ج) و (د).
[٣] - النجم /٢٩
[٤] - فح المقصود بها: فحينئذ
[٥] - عمر بن الخطاب : بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القريشي العدوي الفاروق أسلم في السنة السادسة من النبوة و له سبع وعشرون سنة قاله الذهبي، ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. و قال النووي : ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة و كان من أشراف قريش و إليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم و بين غيرهم بعثوه سفيرا : أي رسولا و إذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا. أنظر: تاريخ الخلفاء ٩٩/١
[٦] - أبوموسى الأشعري (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، أبوموسى ، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة. ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن. ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ ، فافتتح أصبهان والأهواز.ولما ولي عثمان أقره عليها. ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقره علي. ثم كانت وقعة الجمل وأرسل علي يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبوموسى بالقعود في الفتنة، فعزله علي، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعه عمرو بن العاص، فرجع أبوموسى إلى الكوفة، فتوفي فيها. وكان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة.. أنظر: الأعلام ١١٤/٤

بركا عظيماً، وأحمالاً[١] كثيرة، تتبع أبي موسى فقال: ما هذا ألم آمرك أن لا تقبل من أحد شيئاً؟ وقد بلغني أنه قد فشت لك فاشية[٢]، من إبل وبقر وغنم، ولا أعلم لك ذلك قبل اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين والله منذ وليت لم أخن الله تعالى، ولا رسوله، ولا بيت مال المسلمين، (ولكني كنت أعاني)[٣] من الزراعة والتجارة، ما تحصل منه، ما قد رأيت، وأن الذي أهدي إلي لم أقبل منه، إلا ما أهدي لي قبل دخولي المدينة.

قال: فلم أهدوا لك وأنت في بيت أمك، أنا لا أعرف ذلك، ثم أمر بجميع ما قدم به، فأدخل في بيت مال المسلمين، ثم جلسا لعمل الحساب))[٤].

(( فقال له أمير المؤمنين: ادع كاتبك، قال: انه لا يدخل المسجد، قال: ولم! أجنب هو؟ قال: لا، ولكنه ذمي، فلما سمع ذلك أمير المؤمنين، غضب رضي الله عنه، وقال: اتخذت لك بِطانة[٥] من دون المؤمنين، أما قد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب؟ أتدنونهم وقد أبعدهم الله، وتكرمونهم وقد أهانهم الله، وتصدقونهم وقد كذبوا على الله[٦]، وتستأمنوهم وقد خانوا الله، وتولوهم على المسلمين، بعد قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٧]))[٨].

---

[١] - وجمالاً في (د)

[٢] - الفَواشي كل شيء مُنْتَشِر من المال كالغنم السائمة والإبل وغيرها لأنها تَفْشو أَي تنتشر في الأرض. أنظر: لسان العرب ١٥٥/١٥

[٣] - في (هـ) : (ولكن أعانيّ) بمعني العون والمساعدة، وهو الصواب. ويوضح ذلك أن الوالي يمكن أن يعمل أعمالاً خاصة في غير وقت العمل المكلف به، وأن لا يكون اعتماده على مال الدولة، ولا بد من محاسبته.

[٤] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس، لتقي الدين الحصني، نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٩

[٥] - أَبْطَنْتُ الرجلَ إذا جَعَلْتَه من خَواصِّك وبطانة الرجل صاحبُ سِرِّه وداخِلةُ أَمره الذي يُشاوِرُه في أَحواله وقوله. أنظر لسان العرب ٥٢/١٣

وفي الحديث: (ما بَعَثَ الله من نبيّ ولا استَخْلَفَ من خليفة إلا كانت له بِطانتانِ، بِطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله). صحيح البخاري ٢٤٣٨/٦ حديث رقم ٦٢٣٧ باب المعصوم من عصم الله.

[٦] - والله قد كذبهم في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - المائدة /٥١

[٨] - أنظر: مخطوط منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب، لابن الدريهم نسخة المتحف البريطاني رقم (or 9264) ص ٥٠ ، ومخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس، لتقي الدين الحصني، نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٩-٧٠

ويحك والله يوشك أن يحل بك غضب الله، أو سخطه، يا خوان ألا تستحي من الله رب العالمين، فكأني بك وقد أخذ بك الزبانية سحباً على وجهك، إلى النار، فانظر هذا الزجر الشديد، والتهديد والوعيد، على من استكتبهم[١].

فالواجب المتعين على ولاة الأمور أن لا يولوهم عملاً من الأعمال، ولا يتخذونهم كتاباً على شيء من الأموال[٢].

فمن اتعظ بما سمع من هذه الآيات البينات[٣] فقد فاز من الله عز وجل بأرفع الدرجات، ومن تساهل في ذلك ولم يعمل بكتاب الله، فقد باء بغضب من الله، واستوجب العذاب الأليم، كما ورد في الكتاب المكنون: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[٤].

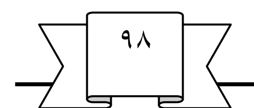
**فصل في الحث على عدم التحجب:** وإن مما يجب ويتعين على ولي الأمر أن لا يتحجب[٥] على الرعايا، فربما جاء مظلوم في وقت من الأوقات فيجد ولي الأمر متحجباً[٦]، فلا يظفر[٧] بمراده، فيعود منكسر الخاطر[٨] ساخطاً، فإنه ليس شيء أضيع للملك، ولا أفسد لأحوال رعاياه من التحجب، وتعذر الإذن في الدخول على ولي الأمر، وليس شيء أهيب في قلوب الرعايا والعمال، من سهولة الحجاب.

فإذا كان الملك سهل الحجاب،لم يكن للعمال أن يجوروا على الرعايا، وخاف الرعايا أن يجور بعضهم على بعض، لسهولة حجاب الملك، لأنه يكون له اطلاع على سائر أحوال العمال، فينبغي أن يأمر الحجّاب [أن][٩] لا يحجبوا عنه متظلما[١٠]، ولا يمنعوا عنه ذو حاجة، ولا شاكيا.

فقد كان الملوك العادلون لا يغفلوا[١١] عن مثل هذه الأحوال ، إنما شغلهم ودأبهم الجلوس في تعاطي مصالح الرعايا، بالغدو والآصال.

---

[١] - | على من استكتبهم| زيادة في (أ)
[٢] - الأمور في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - |البينات| زيادة في (أ)
[٤] - التوبة/ ١١٥
[٥] - يحتجب في (ب) و (ج)، وهو الصواب، ومعنى حَجَبَ الشيءَ سَتَرَه. أنظر: لسان العرب ٢٩٨/١
[٦] - الصواب : محتجباً لأن الحِجابُ السِّتْر. أنظر: لسان العرب ٢٩٨/١
[٧] - يظلم في (ب) و (ج)
[٨] - القلب في (ب) و (ج) و (د)
[٩] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[١٠] - مظلوما في (ج)
[١١] - يغفلون في (ب) و (ج) و (د)




وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوصي عماله لا تغلقوا أبوابكم دون[١] ذوي الحاجات، فإنه يجب علي أن أسافر في أقطار الأرض، لأنظر في أحوال الرعايا، فإن فيهم الضعيف والعاجز، الذي لا يستطيع الوصول إليَّ لشكوى ظلامته.

ولما قلد معاوية[٢] ولده يزيد[٣] عملاً من الأعمال، اتخذ حجّاباً يحجبون الناس، وكان لا يخرج للحكومات إلا أحيانا لتحجبه؛ وربما لتعاطيه أشياء أدته إلى الحجاب، فشكاه الناس لوالده معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه، فكتب إليه يقول:

انصب نهارا[٤] في طلاب[٥] العلا واصبر على قدر[٦] لقاء الحبيب

حتى إذا الليل بدا مقبلا واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فبادر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا يستقبل الليل بأمر عجيب

ولذة الأحمق مكشوفة يسعى بها كل عدو رقيب

فلما وصل إليه الكتاب أقلع عما[٧] كان فيه من الحجاب، وصار يجلس لتعاطي مصالح الرعايا، من شروق الشمس إلى غروبها.

((ولما آلت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور أخي السفاح[٨]، احتجب عن الناس، واتخذ على أبوابه حجّاباً وحراساً بالسلاح وأبواب الحديد، فشق ذلك على الرعايا،

---

[١] - عن في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - معاوية بن أبي سفيان خلافته من: (٤١هـ - ٦٠هـ) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي أبو عبد الرحمن أسلم يوم فتح مكة و شهد حنينا و كان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه و كان أحد الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات يزيد استخلفه على دمشق فأقره عمر ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة و خليفة عشرين سنة . أنظر تاريخ الخلفاء ١٥٠/١ ، ١٧٢

[٣] - يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خلافته من: (٦٠ – ٦٤هـ): ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام.ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق.وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٠ هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة. وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري ، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين، ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. أنظر الأعلام ١٨٩/٨ ، تاريخ الخلفاء ١٨٢/١

[٤] - نهارك في (د)

[٥] - طالب في (ب) و (ج)

[٦] - فقد في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - عن ما في (ب) و (ج)

[٨] - السفاح: أبوالعباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب من بني هاشم وأول خلفاء بني العباس ولد سنة (١٠٨هـ) بالحميمة من ناحية البلقاء وبويع بالكوفة وأمه ريطة الحارثية، كان سخيا كما كان سريعا في سفك الدماء، مات بالجدري في ذي الحجة سنة (١٣٦هـ). أنظر تاريخ الخلفاء ١٩١/١

وحصل لهم بسبب ذلك التحجب غاية الضيق والنكال، ولم يتجاسر عليه أحد يذكر له ذلك.

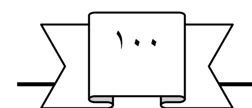
فلما حج البيت بينما هو ذات ليلة طائف بالبيت، إذ سمع قائلاً يقول: اللهم أشكو إليك ظهور البغي والفساد[١]، وما يحول بين المرء والحق، فلما سمعه المنصور أمر بوضع الكرسي، فجلس عليه وطلب القائل، فأُحضر بين يديه، فقال له: ما الذي سمعتك تقول؟ قال ولي الأمان يا أمير المؤمنين؟ قال: ولك الأمان.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد استرعاك أمر عباده، وأموالهم ودمائهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً وحراساً بالسلاح، وأبواب الحديد، وبعثت عمالك في جباية[٢] الأموال، وجمعها لك[٣]، وحجبت عنك المظلوم، ووليت أمره غيرك، فلما رأت عمالك منك ذلك، قالوا: هذا خان[٤] الله تعالى فنخونه، فتآمروا أن لا يصل إليك من أمور الناس، إلا ما أحبوه لأنفسهم، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم[٥]، هابهم الناس، وصانعوهم بالهدايا والأموال، وإن طلبك الناس أو المظلوم، حيل بينك وبينه، وإن ألح المظلوم في طلبك، ضُرب بين يديك ضرباً مبرحاً، وأنت ترى[٦] ولا تنكر في إبقاء المسلمين على هذا.

يا أمير المؤمنين، لقد رأيت في[٧] ملك الصين عدلاً ما رأيته في المسلمين، وهو أنه أصيب بسمعه، فدخلت عليه يوماً فوجدته يبكي، فقلت: ما يبكيك أيها الملك؟ قال: لست أبكي لما نزل بي من هذه المصيبة، يعني[٨] الصمم، ولكني كنت أسمع صريخ المظلوم ببابي، فأزيل مظلمته، والآن يصرخ ببابي فلا أسمعه، ولكن نادوا في الناس لا يلبس ثوباً أحمر إلا من كان مظلوماً، ثم صار يترقب أمور الناس، آناء الليل، وأطراف النهار، وإن رأى مظلوماً أزال مظلمته[٩]، هذا وهو كافر بالله تعالى بلغت رأفته بالكافرين، فكيف وأنت مؤمن بالله ورسوله لا رأفة لك بالمؤمنين؟

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - حيازة في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - خوان في (ج) و (د)
[٥] - |وعنهم| زيادة في (أ)
[٦] - قوي في (ب) و (ج)
[٧] - من في (ج) و (د)
[٨] - من في (ب) و (ج)
[٩] - ظلامته في (ب) و (ج) و (د)




قال: فبكى المنصور حتى غُشي عليه، فلما أفاق طلب الرجل فلم يجده، فقال المنصور: لعل هذا ملَك من ملوك[١] السماء، أرسله الله إليّ يوقظني به، فأمر برفع الحجاب، ولزم[٢] الجلوس من حينه، من أول النهار إلى آخره)) [٣]

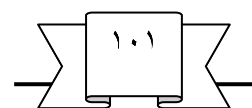
ولما ولي أحمد ابن طولون[٤] نيابة الديار المصرية، حصل منه من الظلم ما لم[٥] يعهد قبل، فلما اشتد الأمر على الرعايا، أتوا إلى السيدة نفيسة يشكوه[٦] إليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غد؛ فكتبت رقعة ووقفت في طريقه ونادته، يا أحمد، فلما رآها ترجل عن فرسه، وأخذ الرقعة من يدها، وقرأها. فإذا فيها مكتوب: ملكتم فأسرتم[٧]، وقدرتم فقهرتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة[٨] غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن ينام[٩] المظلوم ويبقى الظالم، ولكن اعملوا ما شئتم، فإنا صابرون، وجوروا، فإنا إلى الله مستجيرون، وسيعلم الذين ظلموا، أي منقلب ينقلبون.

فلما قرأها غُشي عليه، [فلما أفاق من غشيته][١٠] أقلع عن جميع ما حدث في زمانه من البدع والمظالم، وعدل في الرعية، حتى كاد الذئب مع الغنم يسرح، فلا يحصل لها منه ضررا مطلقا.

فعليك يا ملك الزمان بسلوك طريق هؤلاء الملوك، الذين بحسن السيرة تقدموك، فقد كان دأبهم التيقظ لأحوال العباد، [والنظر][١١] في عمران القرى والبلاد، وليكن دأبك المشي على سنتهم، واتباع مناهجهم، وعليك بالاهتمام التام بأمر[١٢] دينك، وأداء ما

---

[١] - ملائكة في (هـ). وهو الصواب، لأنها جمع (مَلَك).
[٢] - ولزوم في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - أنظر: كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة / ٢٢٦- ٢٢٨.
[٤] - أبو العباس أحمد بن طولون (ت٢٧٠هـ) الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركي مستعرب كان شجاعاً جواداً حسن السيرة يباشر الأمور بنفسه موصوفاً بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه، بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. أنظر : الأعلام للزركلي ١٤٠/١
[٥] - لا في (ب) و (ج)
[٦] - يشكوا في (د)
[٧] - فأمرتم في (ب) و (ج) و (د)
[٨] - مصيبة في (ب) و (ج) و (د)
[٩] - يموت في (ب) و (ج) و (د)
[١٠] - زيادة في (ب) و (ج)
[١١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[١٢] - بأمور في (ب) و (ج) و (د)




فرض الله عليك، واجتناب ما نهاك [عنه][١]، فإنك لن تقدر على إصلاح رعاياك؛ ما لم تبدأ بإصلاح نفسك، فالحذر ثم الحذر، أن يفقدك حيث أمرك، ويراك حيث نهاك، فإنك إذا فعلت ذلك[٢] أعانك [الله][٣] على إصلاح ولايتك، وعليك بالاجتهاد في إعزاز الخلق، والقيام برونق الحق، وعدم الخروج عن قواعد الشرع الشريف، وقوام نظام[٤] الملك المنيف، لتحمد سيرتك، وتخشى سطوتك، وتقع هيبتك في قلوب المفسدين[٥]، فإن ذلك عذر لك عند رب العالمين.

وعليك باحترام الصالحين، وإكرام العلماء العاملين، وملازمة الفعل الجميل، واجتناب الفعل الرديء الوبيل[٦]، واعدل ما استطعت فانك مجزى بالعدل عدلاً، وبالجور عذاباً[٧]، فإن عدْل السلطان خير من خصب الزمان، واعلم أن طباع الرعية نتيجة طباع الملك، واقتداء الرعية في كل زمان بالسلطان، ألا ترى أنه إذا وصف بعض البلاد بالعمار، وأن أهلها في خصب وأمان، كان ذلك دليلاً على كمال عقل السلطان، واستقامته مع الله في السر والعلانية[٨]، فقد صح قول القائل الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم.

قال سيد ولد عدنان: (كما تدين تدان)[٩]، وحاصل الأمر أن العدل في كل شيء محدود[١٠]، فالأولى أن لا يتعدى الحدود، فإن قوانين قاعدة الملة المحمدية مؤسسة على القوانين العدلية، إذ فيها من الحِكَم الإلهية ما يعجز عن إدراكها القوى العقلية.

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - |ذلك| زيادة في (أ)
[٣] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - |نظام| زيادة في (أ)
[٥] - |لتحمد سيرتك، وتخشى سطوتك، وتقع هيبتك في قلوب المفسدين| زيادة في (أ)
[٦] - الوبيل: الذي لا يُسْتَمْرَأ. أنظر لسان العرب ٧١٨/١١
[٧] - جورا في (ب) و (ج) و (د)
[٨] - والإعلان في (ب) و (ج)
[٩] - البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان (عبد الرزاق ، والبيهقى فى الزهد عن أبى قلابة مرسلاً)، أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر (١٧٨/١١ ، رقم ٢٠٢٦٢)، أنظر: مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . والبيهقى فى الزهد (٢٧٧/٢ ، رقم ٧١٠) . حديث أبى الدرداء الموقوف، أنظر: كتاب الزهد الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، سنة النشر ١٩٩٦، مكان النشر بيروت ١٤٢.
[١٠] - |محدود| زيادة في (أ) و (د)

قال الله تعالى في محكم التبيان: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[١]. فمن العدل الشفقة ولين الجانب في الأقارب والأجانب، والحكم المتوسط بين الغضب والصخب[٢]، واعلم يا ملك الزمان أنها أمانة قلدها الله تعالى في عنقك، فإن عملت بما أمرك الله تعالى فيها أثبت وأجرت، وفزت مع الفائزين، وان حدت عن الحق واتبعت الهوى وغرض النفس؛ ولم تعمل بما أمرك الله تعالى به ورسوله، خبت وخسرت وكنت من الهالكين.

واعلم أنها الأمانة التي عُرضت[٣] على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها وحملها الإنسان [إنه كان ظلوماً جهولا][٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[٥].

فلأجل هذا الخطر العظيم تورع عن هذا المقام الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل العابدين[٦].

---

[١] - النحل /٩٠

[٢] - السخط في (ب) و (ج) و (د)

[٣] - عرضها الله في (د)

[٤] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩٧/٤ ، رقم ٢٥٨٢) باب تحريم الظلم. ومن غريب الحديث : (يقاد) : يقتص (الجلحاء) : التى لا قرن لها . (القرناء) التى لها قرون .

[٦] - العابدون في (د) و (و)، بدون كلمة ذيل.

[وروى أبوذر قال: قلت يا رسول الله (ألا تستعملني على عمل فضرب بيده على منكبي وقال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وهي يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)[١]][٢].

**الاهتمام بالقناطر والمساقي والجسور:**

ومما يجب ويتعين على ولاة أمور الإسلام، بذل الجد والجهد، وغاية الاجتهاد، في النظر في أحوال المَساقِي[٣] والجسور، فإن ذلك من أهم المهمات، واضرّ[٤] الضرورات، إذ هي من معظم[٥] المواد التي يستقيم بها نظام الملك، وعمران البلاد.

فينبغي للملك المبادرة لأحوالها، والفحص عنها، وان يندب لها من الجند من يثق به، وبدينه، وأمانته، ومعرفته، واستقامته، بشرط أن لا يكون عنده طمع، ولا التفات إلى الدنيا، فينتدب لها في بدري الوقت حال كون الأرض رطبة، والعمل سهلاً، وليصحب معه من أهل المعرفة والخبرة من يثق بدينه، فيقوم عليها، ويتعاطى مصالحها، بإصلاح جواريفها[٦]، وصحة أخشابها، واستحسان أثوارها، ولتكن أثواراً قادرة على العمل، صالحة لذلك[٧]، وليسلمها لخولَة[٨] متدينين، مستقيمين، ويجعل عليهم ايمانا[٩] يحضر علفهم، ويعطي كل ثور منها حقه في العلف كاملاً، [وليباشرها إلى أن تتم أكل علفها][١٠]؛ وليكن الصرف عليها من بيت المال، وكذا على عمالها عند أوان العمل، وتعليق الجراريف[١١]، ولا يغفل عن العمال في إتقان الجروف

---

[١] - صحيح مسلم (١٤٥٧/٣ ، رقم ١٨٢٥) باب كراهة الإمارة بغير ضرورة. والحديث زيادة في (ب) و (ج)

[٢] - الحديث زيادة في (ب) و (ج) و (د).

[٣] - المِسقاة : موضع السقي وقناة يسقى منها الزرع والحيوان، وتطلق على آلة السقي وجمعها المَساقِي . أنظر: المعجم الوسيط ٤٣٧/١ ، المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية . تاج العروس ٢٩١/٣٨ ، أنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

[٤] - أعتقد أنه يقصد ضرورة من الضروريات

[٥] - أعظم في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - جرفها في (ب) و (ج)، جراريفها في (د)، جرايفها في (هـ). والصواب جروفها. لأن: الجُرُفُ ما أَكلَ السيلُ من أَسْفَل شِقِّ الوادي والنَّهر والجمع أَجْرافٌ وجُرُوف وجِرَفةٌ. أنظر: لسان العرب ٢٥/٩

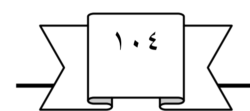
[٧] - له في (ب) و (ج)

[٨] - الخَوَل: العبيد والإماءُ وغيرهم من الحاشية الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. أنظر لسان العرب ٢٢٤/١١

[٩] - أمينا في (ب) و (ج) و (د)، وهو الصواب، لحدوث تحريف في الكلمة.

[١٠] - (وليباشره إلى تمام أكل علفه) في (ب)، أرجع الضمير إلى الثور.

[١١] - الصواب الجروف وهي جمع جرف والجرف هو: ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر والجمع أجراف وجروف وجرفة. أنظر لسان العرب ٢٥/٩




وإحكامها[١]، وليتتبع مواد قوة المياه عند طغيانها، فيحكم عمله[٢]، حتى يكون الجسر مانعاً حابساً للمياه، ويشدد على العمال ويتوعدهم إن حصل منهم تقصير، فان معظم الخراب من التهاون في أمر[٣] الجسور.

وكذا ينبغي الإمعان في النظر في أحوال القناطر والمساقي الخراجية، إذ القناطر من جملة الثغور، فكل قنطرة ثغر من ثغور الإسلام، وقد أحكمها الملوك المتقدمين، وأمعنوا في إحكامها، وجعلوا لها قوانين يجب الفحص عنها، والتيقظ لأحكامها، وعدم الغفلة عنها.

رُوي أن عبدالله[٤] بن عمر رضي الله عنهما، رأى والده في المنام[٥] بعد سنين، فقال: يا أبت ما رأيتك منذ كذا وكذا، قال: يا ولدي إن الأمر عظيم، ليت أم عمر لم تكن ولدت عمر! طوبي يا ولدي لمن [لم][٦] يكن والياً، ولا حاكما.

فقال يا أبت فاخبرني ماذا لقيت من ربك؟ قال: خيراً يا ولدي، فقد أوقفني الله تعالى بين يديه، فعاتبني فكدت أهلك، فمن بعض ما طالبني به بأن قال لي: يا عمر قنطرة بالعراق لم تحكم بنائها، وقعت فيها شاة فانكسرت، فقلت: ربِ أين عمر وأين العراق؟ فقيل لي: أمر لن تقدر عليه أن تحكمه فلم وليته.

فانظر يا ملك الزمان هذا عمر بن الخطاب، مع تيقظه[٧] وعدم غفلته، وبذل الجد والجهد في العدل، وهو أعدل الأمة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، عوتب في ذلك حتى كاد أن يهلك، مع جلالة قدره وإتباعه الحق في سائر أفعاله، وحرصه على ملازمة العدل والعمل به في ولايته، نوقش على غفلته عن الاهتمام بعمل تلك القنطرة، إذ هي ثغر من ثغور الإسلام، فكاد أن يهلك بسببها.

---

[١] - وإحكامه في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - عملها في (ب) و (ج) و (د)

[٣] - أمور في (د)

[٤] - عبد الله بن عمر (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبدالرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية.كان جريئا جهيرا. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها.أفتى الناس في الإسلام ستين سنة.ولما قتل عثمان عرض عليه نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى.وغزا إفريقية مرتين: الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤ هـ. وكف بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثا. وفي الإصابة: قال أبوسلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر، وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير. أنظر: الأعلام ١٠٨/٤

[٥] - النوم في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د). وبها يستقيم المعنى

[٧] - يقظته في (د)

فكيف بك يا ملك الزمان وفي مملكتك من القناطر، والسواقي[١]، والجسور، التي لم تحكم أمرها، ولم تتقن بناءها شيء كثير[٢]، وأنت عنه من الغافلين، فتنبه لذلك، وإلا خبت وخسرت، وهلكت مع من هلك، فإن تنبهت لها وأحكمت أمورها، وأثبت[٣] جرفها، وصرفت [عزم هممك][٤] إليها، حُبست المياه وأروت[٥] ما تحتها من البلاد، واطمأن العباد، وخصبت[٦] الزراعات، وكثر الأموال[٧]، ونمت الغلال.

فقد كان الملوك الذين بالحكم تقدموك، معظم اهتمامهم في إحكام الثغور، وإتقان الجسور، والذب عن الرعية[٨]، والعمل بالعدل في كل قضية.

**الاهتمام بعمران وتنمية البلاد:**

روي أن كسرى نوشروان المسمى بالملك العادل بتسمية سيد ولد عدنان[٩]، أنه ظهر ذات يوم أنه[١٠] مريض، وأن الطبيب وصف له لبِنَة[١١] قديمة من بلد خراب، فأنفذ رجاله فطافوا أقطار الأرض، ثم عادوا فلم يجدوا قرية خرابا، يأتوه بلبنة منها، فأتوه خائفين ذاهلين، لعجزهم عن أن يأتوا بلبنة من بلد خراب، فقالوا له معتذرين: أيها الملك لك المعذرة، فلقد طفنا أقطار مملكتك فلم نجد بلداً خراباً لنأتيك بلبنة منها، ففرح بذلك، وقال: إنما أردت أن أختبر حال[١٢] مملكتي، هل فيها قرية خراب فأعمرها، فسر بذلك سروراً كثيراً، وسر أهل مملكته.

ووفد إليه رسول ملك هندوستان[١٣] بمكتوب يقول فيه: أنفذ إلي خراج مملكتك، لأني أولى بالملك منك! فقد أنفذت قدحاً من بر، ليُبذر في مكان خال من الزرع، بعد

---

[١] - السواقي هي: مجاري الماء . أنظر لسان العرب ٢٤٥/٣

[٢] - |شيء كثيرٍ| زيادة في (أ) و (د)

[٣] - وأتقنت في (ب)

[٤] - عزمك في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - يقال أروت البئرُ النخيلَ. أنظر لسان العرب ١٤٨/٩

[٦] - |وخصبت| زيادة في (أ) و (د)

[٧] - الصواب : وكثر المال

[٨] - الرعايا في (ب) و (ج)

[٩] - حديث: ولدت في زمن الملك العادل يعني كسرى انوشروان، قال ابن حجر لا أصل له. أنظر: كتاب الغماز على اللماز للسمهودي نسخة المتحف البريطاني رقم OR. 94/2

[١٠] - وهو في (ب) و (ج)

[١١] - واللَّبِنة واللِبْنَة التي يُبْنَى بها وهو المضروب من الطين مُرَبَّعاً. لسان العرب ٣٧٢/١٣

[١٢] - زيادة في (ب) و (ج)

[١٣] - الهندوستان في (ب) و (ج) و (د)

ري الأراضي، فطافوا به أقطار مملكتي، فلم يجدوا مكاناً خال من الزرع يُبذر فيه ذلك القدح، فتبين لي أن مملكتي أعمر من مملكتك، فأنفذ إلي خراج مملكتك.

فلما قرأ كسرى كتاب ملك هندوستان، أمر بإنزال الرسول منزلاً[١] إلى الغد، ثم أحضره من الغد إلى الديوان، ثم دعا بصندوق ففتحه فأخرج منه صندوق آخر ففتحه، فأخرج منه قبضة من جلفا[٢]، فناولها للرسول، وقال له: في مملكتكم مثل هذا؟ قال: شيء كثير، فقال كسرى: ارجع إلى صاحبك، وقل له يجب عليك أن تعمر ولايتك، فإنها خراب، فكيف تطمع في ولاية عامرة، فإنك لو طفت قطر[٣] مملكتي لا تجد فيها أصلاً[٤] من جلفا، ولو بلغني أن في مملكتي عوداً واحداً من جلفا، لصلبت عامل تلك الولاية.

فانظر يا ملك الزمان، كيف كان اهتمام من تقدمك من الملوك، في عمران البلاد وتوطين العباد، وأمن السبل، وحفظ الأراضي، أن لا يحصل فيها أدني شيء من السواقي[٥]، أو أدنى بقعة ينبت فيها[٦] غير ما يزرعون.

فيجب عليك يا ملك الزمان، أن تسلك طريق الملوك[٧] الذين بنشر العدل في الرعايا تقدموك، فمتى لم تعمل بالعدل في مثل هذه الأمور، وإلا[٨] فأنت غبي[٩] مغرور.

---

[١] - |منزلاً| زيادة في (أ) و (د)

[٢] - من الجلفا شيء في (د) . وجمعها: جُلُوفٌ والجَلِيفُ نبت شبيه بالزرع فيه غُبْرةٌ وله في رؤوسه سِنَفةٌ كالبَلُّوطِ مملوءَةٌ حبّاً كحبّ الأَرْزَنِ . والأرزن شجر صلب تتخذ منه عصي صلبة، والسِّنْفة وِعاء كل ثمر مستطيلاً كان أَو مستديراً وجمعها سِنْفٌ وجمع السِّنْفِ سِنَفَةٌ ويقال لأَكِمَّةِ الباقِلاء واللُّوبياء والعَدَس وما أَشبهها سُنُوفٌ واحدها سِنْفٌ والسِّنْفُ العُود المُجَرَّدُ من الورق والمَسانِفُ السِّنُونَ. لسان العرب ٣٠/٩ ، ١٦٢/٩

[٣] - اقطار في (د)

[٤] - |أصلاً| زيادة في (أ) . لا تجد فيها من الجلفا شيء في (د)

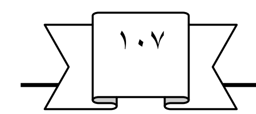
[٥] - الشراقي في (ب) و (ج) و (د)، و (هـ). وهو الصواب لأن : الشراقي في كلام أهل مصر: الأرض التي لم يصلها ماء. أنظر: المعجم الوسيط ٤٨٠/١

[٦] - بها في (ب) و (د)

[٧] - زيادة في (أ)

[٨] - (وإلا) بحذفها يستقيم المعنى

[٩] - عني في (هـ)، وأعتقد أن الصواب هو (عنيد) وهو المعرض عن طاعة الله. أنظر : لسان العرب ٣٠٧/٣




## منصب الاحتساب[١] وأهميته:

وأن مما يجب ويتعين على ولاة الأمور، أن يصرفوا هممهم فيما يتعلق بمنصب الاحتساب، فإنه منصب جليل، منصب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فقد تولاه بنفسه، فَعَدَلَت السوقة[٢] خوفاً من سطوته وبأسه، فقد كانت دِرَتهُ أهيب من سيف الحجاج، فإن هذا الأمر كل أحد إليه محتاج، كبيراً كان أو صغيراً، فقيراً كان أو أميراً، فإن سوقة هذا الزمان لا أحد أطغى، ولا أبغى، ولا أظلم منهم. وقد ورد حاسبوا السوقة، فإنهم لا ذمة لهم. فيجب ويتعين على ولي الأمر، أن [ينظر في أمر][٣] رعاياه إذا وقعت في نائبة من نوائب الدهر،كضيق معيشة، أو قحط زمان، أو غلو أسعار، فيبادر للتيقظ لذلك، والفحص بنفسه عما هنالك، ولا يكل ذلك إلى غيره، فإن محتسبي هذا الزمان كلاً منهم خبيث لبيث[٤] خوان، وهذا الباب من الأمور المهمة، التي لا ينبغي أن يغفل[٥] عنها، ولا يتساهل [فيها][٦]، فإن كل أحد محتاج إليها، فيأمر بإحضار أرباب [أهل][٧] الخبرة، وليأخذ الأشياء من أهلها، والبضائع من موادها، ويسأل عن أصل كل شيء ومادته، ومن أين يتحصل ذلك، كل حرفة بأرباب[٨] خبرتها[٩]، ولا يثق بأحد إلا بمن اختبر دينه، وأمانته واستقامته، فإذا اتضح

---

١ - الحسبة: الحساب ويقال فلان حسن الحسبة في الأمر يحسن تدبيره وفعله حسبة مدخرا أجره عند الله ومنصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب ويسمى المحتسب. أنظر: المعجم الوسيط ١٧١/١

٢ - السّوقة الرَّعيَّة التي يَسُوسُها الملِك ، سُمُّوا سوقةً لأنَّ الملوك يسوقونهم فينساقون لهم ، ويقال للواحد سُوقة وللجماعة سُوقة ، ويُجمع السّوقة سُوَقاً . و(السوقي) المنسوب إلى السوق أو السوقة ويقال هذا الشيء سوقي غير جيد الصنع. أنظر: المعجم الوسيط ٤٦٥/١

٣ - زيادة في (هـ).

٤ - لبيثٌ مُغَثْمَرٌ ومُغَذْمَرٌ ومغثومٌ : أي مخلَّطٌ ليس بجيِّد . ( وخَبِيثٌ لبيثٌ نَبِيثٌ ) كلّ ذالك ( إِتْبَاعٌ )، أنظر: تهذيب اللغة ٢٠١/٨، تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، - بيروت - ٢٠٠١م١٥، الطبعة : الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب. والمحتسب من أوكلت إليه مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومراقبة الأسواق يجب أن يكون صادقاً تقياً ونقياً وأن يكون شعاره العدل والابتعاد عن الرشا والبراطيل.

خبيثٌ نَبيث : فالنَّبيث يمكن أن يكون الذي يَنْبُث أمورَ الناس : أي يسْتَخرِجها وهو مأخوذ من قولهم نَبَثَ البِئْر أَنْبُثُها : إذا أخرجت نَبيثها وهو تُرابها وكان قياسه أن يقول خبيثٌ نابِث فقيل نَبيث لمجاورته لخَبيث. أنظر: المخصص لابن سيده ٢١٥/٤، المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المعروف بابن سيده، نشرته: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ط ١، تحقيق: خليل، إبراهم جفال. أنظر كذلك: تاج العروس من جواهر القاموس ٣٣٩/٥.

٥ - التغافل في (ب) و التغفل في (ج)

٦ - زيادة في (د)

٧ - زيادة في (ب) و (ج)

٨ - إلى أرباب في (ب)

٩ - حرفتها في (ب) و (د) و معرفتها في (ج)

وظهر له خيانة من أحد، قابله بالبطش فيه، بما هو مستحقه، ليرتدع غيره، ويلزم كل أحد الاستقامة، وعدم الخيانة، هذا في شأن أرباب الخبرة إن خان منهم أحد، واخبر بخلاف الواقع، ولا يعتمد ولي الأمر في هذه المواد، على متولي[١] الاحتساب؛ فقد انخرم[٢] نظام الاحتساب، وصار المحتسب عاملاً مكاساً[٣]، ليس عنده استقامة، وليس في قلبه من خوف الله ذره.

وقد كان المحتسبون،كلامهم من كلام ولاة الأمور، لا تجوز مخالفتهم في أمر من الأمور، حتى أن المحتسب سابقاً، زمن الأصحاب[٤] أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. روي أنه مر يوماً بمجلس القاضي، فوجده تخلف عن الجلوس، وأرباب الحوائج ينتظرونه، فعلق الدرة على مجلس حكمه، بعد أن أنكر عليه ذلك، يعني إن لم تبكر[٥] بالجلوس لتعاطي مصالح الرعايا، وإلا فجزاؤك الصفع بهذه الدرة.

فانظر انقلاب الدهر، حتى صار المحتسب عاملاً مكاساً فاسقاً[٦]، فينبغي لولي الأمر أن يتقرب إلى الله تعالى عز وجل، بإمعان النظر في هذا الباب بنفسه، فإن كل وأحد محتاج إليه، والرعايا أحوج الخلق إلى الإمعان في النظر في هذا الباب، خصوصاً فيما يتعلق بالأوقات[٧]، فإن في خلق الله تعالى من الرعايا من هو قليل الكسب، لا يتجاوز[٨] عمله في اليوم والليلة ثلاثة أنصاف، فماذا تقوم بأوده[٩] حال غلو الأسعار، خصوصاً إذا كان كثير العيال.

فلقد مات غالب الرعايا من شدة الحال، فلقد والله شوهد البعض من الرعايا يصيح بالجوع الجوع، إلى أن يقع فيموت، كل هذا وولاة الأمر عن هذا الحال متغافلون[١٠]، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[١] - الصحيح: تولي
[٢] - خرم معناها: فصم ونقص وانشق . أنظر لسان العرب ١٧٠/١٢
[٣] - المَكْسُ الجباية، وهي دراهم كانت تؤخذ من بائع السِّلَع في الأسواق في الجاهلية. أنظر لسان العرب ٢٢٠/٦
[٤] - أصحاب في (هـ)
[٥] - تبدر في (ب) و (ج) و يقدر في (د)
[٦] - يجب على المحتسب حفظ الأمانة فبضياعها يعم الجور والفساد، وتنعدم الثقة وتعم الفوضى وينعدم الأمن.
[٧] - بالأقوات في (ب) و (ج) و (د). وهو الصواب: لحدوث تحريف في الكلمة (أ).
[٨] - يجاوز في (ج) و (د)
[٩] - المقصود بأوده لا تفي بحاجته
[١٠] - غافلون في (ب) و (ج) و (د)

فغلو الأسعار تؤدي بالرعايا إلى ارتكاب المحرمات[١]، وما لا يجوز فعله، فإذا فحص ولي الأمر عن هذه المواد، وألزم كل منهم بعدم الجور فذلك المراد.

فقد ذهب الإنصاف من الناس، فلم يبق عند أحد إنصاف، ولقد تواصوا[٢] السوقة على اعتماد الجور والإجحاف، واعتمدوا غلو الأسعار، وتواصوا على أخذ أموال [الناس][٣] بالباطل، وقل إيمانهم [بالله واليوم][٤] الآخر.

فينبغي عدم الغفلة عن هذه المواد، فإن في إمعان النظر فيها نفع جل العباد، فلينظر أولاً في الحبوب وفي أسعارها، وليبدأ بالحنطة[٥] فيفحص عنها، وعن موادها، ويمنع تجارها أن يتجروا فيها للنصارى، أو يسافروا بها إلى بلاد الكفر، طمعاً في غلو أسعارها، فإن في ذلك ضرر للرعايا.

ولا يخفى ولي الأمر أعانه[٦] الله تعالى، أن في مدينة الديار المصرية جماعات يتجرون في الغلال، ليس لهم دأب سوى ذلك، قصدهم ومرادهم زيادة سعر فيها، فإذا ورد الديار المصرية مغل[٧] طيب، تبادر إليه[٨] هؤلاء التجار واشتروه بأغلى الأسعار، ويرشوا عليه المتكلمون، ويسيِّرونه[٩] ليلاً إلى نحو البرلس[١٠]، وإقليم البحيرة، ونحو ذلك، يرسلونه إلى بلاد النصارى، لأجل غلو الثمن، فيحرموا منه المسلمين، ويعينوا به النصارى الكافرين، فيجب منعهم عن ذلك، فإن بموجب هذا غلت الأسعار.

ومنهم جماعات منتدبين لكل بضاعة وصلت إلى الديار المصرية، فيحوزونها ويخزنونها، يطلبون غلو الأسعار فيها، فلا يظهرونها للبيع، إلا إذا طيبوا[١١] خاطر[١٢]

---

١ - غلو الأسعار في حال قلة الدخل وضيق اليد وكثرة المسئوليات والالتزامات وعدم القدرة على الوفاء بالاحتياجات، قد تساعد على ارتكاب المحرمات والمعاصي وحدوث الفوضى والفتن وانحلال المجتمعات وتمزق ودمار وهلاك الأمم، لذا يجب على ولي الأمر الاهتمام بما فيه راحة الرعية، ومراعاة العدل في كل قضية.

٢ - تواصى في (ب) و (ج) و (د)

٣ - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

٤ - زيادة في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)

٥ - الحِنْطة : القمح : أنظر لسان العرب ٥٦٥/٢

٦ - أيده في (ب) و (ج)

٧ - غلال في (ب) و (ج)

٨ - إليها في (ب) و (ج)

٩ - ويسيروا به في (د)

١٠ - البرلس: من أعمال مصر. أنظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر : دار الفكر – بيروت ٤٠٢/١

١١ - أرشوا في (ب) و (ج)

١٢ - |خاطر| زيادة في (أ) و (د)

المحتسب، بمبلغ يعطونه[١] له رشوة[٢]، حتى يسمح لهم أن يبيعوا[٣] بمرادهم، بأي سعر أرادوا، فيجب منعهم (عن ذلك)[٤]، وزجرهم وردعهم ليرجعوا عن ذلك.

ومنهم[٥] جماعات أتراك، [أرباب جوامك[٦]، أرشوا أغواتهم[٧]، وجعلوا أنفسهم سوقة، يشترون البضائع، ويبيعونها للرعايا بالحوف[٨] في الأسعار، ولا يقدر أحد من الرعايا بأن يقول لهم أعطوني][٩] حقي تماماً فإنكم وزنتم إلي ناقصاً [فإن كلمهم][١٠] يسبوه ويلعنوه وربما يضربوه فإذا شكاهم إلى المحتسب فلا يحكم فيهم، والقاضي لا يسمع عليهم دعوى، فينبغي إمعان النظر في ذلك، ويطلب ولي الأمر هؤلاء الأتراك، إما [أن][١١] يمنعهم عن ذلك، أو يأمرهم بالمشي على الاستقامة، أو يلزم أغواتهم بمنعهم عن ذلك، [وكل من جار في بيعه بالحوف[١٢] أدبه][١٣] وزجره عن ذلك وقابله بما يستحق.

---

[١] - يدفعونه في (ب) و (ج)

[٢] - |له رشوة| زيادة في (أ) و (د)

[٣] - يبيعونها في (ب) و (ج)

[٤] - |عن ذلك| زيادة في (أ) و (د) وبحذفها يستقيم المعنى، لأن كلمة ذلك مكررة في نهاية الفقرة.

[٥] - |ومنهم| زيادة في (أ) و (د)

[٦] - (علوفة ديوانية يرشون أغواتهم) في (ب) و (ج). (وجوامك وجامكيات وجماكي جمع الجامكية وهو لفظ فارسي مشتق من "جامة" بمعنى اللباس أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة) أنظر معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي /٥١، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، لمحمد احمد دهمان، بيروت، دار الفكر المعاصر ،1410/1990 . كما ذُكر في كتاب مفاكهة الخلان ٣٢٠/١، أنه شاع موت خوند زوجة السلطان قانصوه الغوري ، وكان السلطان حينئذ في همّة صرف جوامك العسكر، الذين عينهم للذهاب إلى البلاد الشامية ، لكل فارس مائة دينار برسم نفقته ، وثلاثين أشرفيا برسم عليق فرسه، وسبعة أشرفية بسبب أجرة حمل ما يحتاج إلى حمله. أنظر: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان: لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي، دار النشر : درا الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل المنصور.

[٧] - الآغا: بالمد فارسية معناها السيد، أنظر: الأعلام للزركلي ٢٥/١، وتطلق على من كُلِّف بمسؤولية عسكرية عليا كرتبة ضابط، وجمعها أغوات. أنظر: تاريخ الدولة العثمانية ٤٢٣/١ كما ارتبطت بالذين استؤمنوا على الحريم بالحرمين الشريفين المكي والمدني ، وللسيوطي رسالة في ذلك تسمى: فضل الأغوات الذين استؤمنوا على الحريم، وتوجد نسخة منها بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة برقم ( ١٨٣٥). وفي (هـ) أعوانهم.

[٨] - الصحيح. الحيْف وهو الظُّلْم . أنظر: المغرب في ترتيب المعرب ٢٣٧/١، المغرب في ترتيب المعرب : لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، الناشر : مكتبة أسامة بن زيد – حلب، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩، تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار

[٩] - هذه الفقرة جاءت في (ب) و (ج) كما يلي: (أرباب علوفة ديوانية يرشون أغواتهم ويجعلون أنفسهم سوقة يشترون البضائع ويبيعونها للرعايا بالحوف بالأسعار ولا قدرة لأحد من الرعايا على منعهم من ذلك فإن كل من نازعهم من الرعايا بأن يقول لهم ادفعوا لي).

[١٠] - زيادة في (د)

[١١] - زيادة في (ب) و (ج)

[١٢] - الصحيح : بالحيف

[١٣] - جاءت الفقرة في (ب) و (ج) كالآتي: (ويأمرهم بعدم الحوف في بيعه وان لم يوافق على ذلك أدبه على مخالفته)

ولا بد البتة، من تقنين قوانين البضائع، وتسعير أسعارها، وتسجيل ذلك في السجل الشرعي، (واجهار النداء)[١] بسعر كل بضاعة في أوانها، ولتكن البداية بالحبوب، ثم باللحم، ثم بالأمواه[٢] وهي الأدهان، كالسمن، والشيرج[٣]، والزيت، والعسل، ونحو ذلك.

وبالجملة كل صنف بصنفه، وكل بضاعة بمعرفيها وأرباب خبرتها، وليجعل في كل محلة شخص من أهاليها متدين، يرجع إليه أهل تلك المحلة، إذا جار أحد في بيعه أخبروه، ولا يصلح لذلك إلا الحاكم الشرعي، الذي في تلك المحلة. فكل حاكم شرعي يُلزم [بأهل][٤] محلته، أن ينظر في أفعالهم، وبيعهم وشرائهم.

وليجعل في كل محلة معرفاً متديناً، يرجع القاضي إلى معرفته بالأسلوب السابق، الذي كان عليه الحكام السابقون، فإذا علم من ذلك السوقي الجور في تلك البضاعة، صدرت[٥] إلى ولي الأمر أدبه، وزجره، واستخلص لذلك المشتري حقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا وزنتم فأرجحوا)[٦].

وقال الله تعالى في محكم القرآن: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾[٧] وقال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[٨] وقال: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[٩] فهذه المواد كلها، ينبغي أن لا يغفل عنها ولي الأمر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد ولاه الله تعالى أمور رعيته[١٠] فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم إلا حرم الله عليه الجنة)[١١].

فيتعين على ولي الأمر النصيحة لرعاياه، فلا يغشهم، ولا يدع بعضهم يأكل [مال][١٢] بعضا، في صورة البيع، وهو حيف[١٣]، وظلم، وغلو في الأسعار، فلا بد أن يلزم كل أحد منهم بالوقوف عند الحد المحدود له، والقانون الذي وقع عليه القرار.

---

[١] - (والجهر بالنداء) هو الصحيح
[٢] - الأمواه : جمع الماء في القلة ومياه في الكثرة. أنظر: لسان العرب ٥٤٣/١٣ ، والمقصود بها السوائل.
[٣] - الشيرج هو: دُهن السمسم. أنظر لسان العرب ٣٢٠/٧
[٤] - زيادة في (هـ)
[٥] - رجع في (هـ)
[٦] - أخرجه: ابن ماجه في سننه (٧٤٨/٢ ، رقم ٢٢٢٢) حكم الألباني (صحيح).
[٧] - الأنعام / ١٥٢
[٨] - الاسراء /٣٥
[٩] - البقرة /١٨٨
[١٠] - عبيده في (ب) و (ج)
[١١] - أنظر: صحيح مسلم ١٤٥٩/٣ رقم ١٤٢، باب فضيلة الإمام العادل
[١٢] - زيادة في (ب) و (ج)
[١٣] - حوف في (ب) و (ج)

فمن رآه تجاوز الحد ومشى على غير الاستقامة، أدبه، وزجره، فإن تساهل في ذلك وتغافل عنه؛ فهو مشي مائل عن الحق، غاش لرعيته، غير ناصح له[١]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من غشنا ليس منا)[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه)[٣]، معناه والله أعلم، أن تعامل الناس بما لو[٤] عاملوك به اخترته لنفسك. وقيل هو أن تنظر إلى الفقراء بعين التواضع، وإلى الأغنياء بعين النصيحة، وأن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها[٥].

فإن أم[٦] المعاصي ثلاثة: التكبر، والحرص، والحسد[٧]. وأن هلاك الملوك في ثلاثة: المعصية، والبغي، والانفراد بالرأي.

فح[٨] لا بد أن يصرف الملك همته لهذه المواد المتعلقة بأحوال السوقة من العباد، والفحص عن أحوالهم، وأفعالهم[٩]، فإن سوقة هذا الزمان ليس في قلبهم رأفة، ولا رحمة، بل[١٠] ولا خوف من الله في توفية الكيل والميزان.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتؤدن الحقوق يوم القيامة إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء[١١] من الشاة القرناء).

فالحذر كل الحذر من المساهلة في مثل هذه الأمور، فلا يصدنك عنها يا ملك الزمان نشاهم[١٢] الملك، فإن تعاطي هذه الخدمة واجب عليك، وأنت مسئول عن ذلك،

---

[١] - لهم في (ب) و (ج)

[٢] - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا). أخرجه مسلم في صحيحه (حديث رقم ١٠١) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا).

[٣] - أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧/١ ، رقم ٤٥) باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه. والبخاري في صحيحه (١٤/١ ، رقم ١٣) باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

[٤] - زيادة في (ب)

[٥] - زيادة في (ب) و (ج)

[٦] - زيادة في (أ)

[٧] - ذكر الإمام الغزالي في كتابه التبر المسبوك باب في ذكر حلم الحكماء، حكمة قال وهب بن منبه: في التوراة مكتوب أن أم المعاصي ثلاثة الكبر والحرص والحسد وأنها نتيجة خمسة أشياء الأكل والنوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس.

[٨] - فح: المقصود فحينئذ

[٩] - زيادة في (أ)

[١٠] - زيادة في (أ)

[١١] - الجماء في (ج)

[١٢] - تشاغل في النسخة (هـ)، وهو الصواب.

يوم يُسئل كل راع عن رعيته، وان معظم عذاب ولاة الأمور إنما هو[١] من تساهلهم، وغفلتهم، عن هذه الأمور، وتقليدهم الأمور لمن لا استقامة عنده[٢]، ولا صدق، ولا دين، ولا إيمان.

فلا خلاص لك أيها الملك عند الله إلا إن[٣] توليت ذلك بنفسك، وتعاطيته بذاتك، أو بمن تعتمد [عليه و][٤] على دينه وصدقه وأمانته واستقامته.

وإذا رُفع إليك شكوى ولو في حزمة بقل، فتأمر بإحضار بائعها، وتفحص عن أمره، وتستخبر عن قضيته، فإذا رأيته جار في بيعه، واتضح لكَ حوفه[٥]، وتجاوزه الحد وتعديه وجوره في الأسعار، فلا بد من تأديبه وزجره، وردعه لينزجر غيره، فإن السوقة لا ذمة لهم، ولا إنصاف عندهم، فيجب منعهم عن أخذ أموال الناس بالباطل.

واعلم أن هذه المصلحة قد انتدب لتعاطيها بنفسه من هو أعظم منك قدرا عند الله، حضرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان بنفسه يدور في الأسواق يتعاطى ذلك بذاته، وكانت درته أهيب من سيف الحجاج.

**الاهتمام بالشرطة والخفر:**

واعلم يا ملك الزمان، أن من جملة العدل الذي يجب على ولاة الأمور، النظر فيما يتعلق بمتولي الشرطة، الذي يسمونه السوباشي[٦]، وإمعان النظر، [في أحوال أتباعه، ورجاله][٧]، ومقدميه، والتفقد [لأفعالهم][٨]، وعدم الغفلة عنهم، وأن لا يُمكّن من الوقوف ببابه إلا من يكون على الاستقامة، وفي قلبه الخوف من الله تعالى، فإن فيهم من يتخذ تحت يده مفسدين، يحميهم، ويذب عنهم، فهم في النهار محافظون، وفي الليل خائنون ومفسدون. وربما والسوء مع بعض المحافظين[٩] الذين يسمونهم خفراء[١٠]،

---

[١] - زيادة في (أ)
[٢] - عندهم في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - زيادة في (ب) و (ج)
[٤] - زيادة في (ب) و (ج).
[٥] - ذلك في (ب) و (ج)
[٦] - السوباشي كلمة تركية معناها رجل الشرطة
[٧] - الفقرة في (ب) كالآتي: (فيما يتعلق بأتباعه والفحص عن أحوالهم وكذلك رجاله)
[٨] - لأحوالهم وأفعالهم في (ب) و (ج)
[٩] - الحافظين في (ج)
[١٠] - غفرا في (ب) و (ج) . والصحيح خفر. وخَفَرَ الرجلَ وخَفَرَ به وعليه يَخْفِرُ خَفْراً أَجاره ومنعه وأَمَّنَهُ وكان له خفيراً يمنعه، والاسم من ذلك كله الخُفْرَةُ والخَفارَةُ والخُفارَةُ بالفتح والضم. أنظر لسان العرب ٢٥٣/٤

فغالب ضرر الرعايا من سرقة وقتل ونحو ذلك إنما هو من هؤلاء وأتباعهم. فينبغي التفقد لأحوالهم، والكشف عليهم كل حين، وعلى أفعالهم، وعرضهم وإمعان النظر في ذاتهم، والفحص عن مستقيمهم من مفسدهم.

فكل من اتضح له منهم أنه على استقامة أقرّه وأوصاه [على المسلمين][١] خيرا، ومن اتضح له منه عدم الاستقامة منعه، وطرده، وإن استحق الحبس حبسه، وإن استوجب القتل قتله، ليرتدع غيره، ولا يقر الواحد منهم على خدمته إلا أن أقام له كفيلا يكفله، فيما (هو به)[٢] لعله يصدر منه من مفسدة أو[٣] ناقصة، فربما إذا وقع في شيء من ذلك انهزم[٤]، فيُطلب حين ذاك من كفيله أو كفلائه.

فإذا علم الناس ذلك لزم كلا منهم مكانه، ومشى على الاستقامة، وإن من جملة أفعال رجال السوباشي، أن في بعض الأحايين يبرز أمر ولي الأمر بإرسال بريد لأمر من المهمات، فيما يتعلق بالسلطنة، فيؤمر له بمسك دابة يسير عليها، فيندب السوباشي أعوانه لمسك شيء[٥]، فيمسكوا دابة كل بر وفاجر، ويأتوا بها باب السوباشي، مع أن المطلوب إنما هو دابة واحدة، فيجتمع عندهم دواب كثيرة، فمن أرشاهم أطلقوا دابته. وبالجملة، فلا يؤخذ للبريد من هذه الدواب إلا دابة واحدة، والباقي لا يطلقونه إلا بالرشوة[٦]، [فأي ضرر يحصل على الرعايا بسبب ذلك][٧].

ومثل هذه الأفعال كثيرة، خصوصاً عند خروج عسكر للغارة[٨]، أو لجهة من الجهات، فمنهم من يتعدى على الرعايا بمسك دوابهم، وإن كان راكب الدابة وجيها أو عليها شيئا محمول فيلقونه عنها، ويأخذونها ظلما، فأي ضرر يحصل بسبب ذلك؟

فيجب على ولي الأمر التيقظ لمثل ذلك، ومنع هؤلاء المذكورين وزجرهم، وردعهم، حسب الإمكان، وبالله تعالى المستعان .

---

[١] - بالمسلمين في (ب) و (ج)
[٢] - زيادة في (هـ)
[٣] - وناقصة في (ب) و (ج)
[٤] - المغرم في (ب)، وفي (هـ) أنهز بمن
[٥] - دابة في (ب) و (ج) و (هـ)
[٦] - برشوة في (ب) و (ج)
[٧] - (فيحصل على الرعايا مزيد الضرر بواسطة ذلك) في (ب) و (ج) وهو الصواب.
[٨] - للغزو في (ب) و (ج)

**الباب الثالث : يشتمل على أخبار، وآثار، ونصائح، ورغايب، وما وقع لبعض الملوك السابقين من الأحكام، وما ينبغي لولاة الأمور العمل به اقتداء بهم:**

قال الله تعالى : ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[١] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

فتيقظ يا أمير لهذا الوعيد الشديد، واعلم أنك[٣] لا عذر لك عند الله مقبول إن لم تعمل بما جاء به الرسول، فقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [٤].

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٥].

فإن كنت يا أخي أميراً أو مأموراً، فأول ما يجب ويتعين على ولي الأمر أن يكون عالماً بكل فن، عنده طرف من كل علم.

قال الله تعالى في الكتاب المكنون ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

وفي الحقيقة؛ لا سلطنة في الدنيا إلا للسيف والقلم[٧]، فإنهما قوام العالم، ونظام بني آدم، فما حدث من شر محاه سطوة سيف الملوك، وما حدث من خير أثبته قلم علماء الإرشاد والسلوك، فمن ملك[٨] هاتين الطريقتين، فقد حاز الفضيلتين.

ومدار الكون على القضاة الحكام بشريعة سيد الأنام، فإنهم كالملح في الطعام، إذ بصلاحهم تصلح الأشياء، وبفسادهم تفسد الدنيا، لأنهم لإزالة الفساد وصلاح

---

[١] - النساء /٦٥
[٢] - النور /٦٣
[٣] - الصحيح (أنه)
[٤] - الحشر /٧
[٥] - أخرجه البخارى في صحيحه (١٤/١ ، رقم ١٣) باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (٦٧/١ ، رقم ٤٥) باب الدليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.
[٦] - الزمر /٩
[٧] - ورد في كتاب تحفة المملوك وعمدة الملوك، الذي ألفه مؤلفه للسلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه: قال العباس بن محمد للرشيد: يا أمير المؤمنين إنما هو سيفك ودرهمك فازرع بهذا من شكرك وأحصد بهذا من كفرك، فقال الرشيد: ما أجد للخلافة غير هذين. مخطوط بمكتبة الفاتح بتركيا برقم ٣٤٦٥.
[٨] - سلك في (ب) و (ج)

العباد، بمنزلة الصابون للأوضار[١]، والاستغفار للأوزار، فمتى حصل في أحكامهم خيانة، بطلت الحقوق والأمانة، [وأنشد العارفون][٢] شعر:

إذا خان الأمير وكاتباه .. وقاضي الأرض زاه[٣] في القضاء

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ .. لقاضي الأرض من قاضي السماء[٤]

**العدل أساس الملك:**

وليعلم ولي الأمر أن لا أحداً يغني عنك[٥] من الله شيئا، ما لم تحكم[٦] بالعدل، إذ لا يخفاك[٧] ما جاء في الكتاب المكنون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨].

فإنْ كنت أميراً أو مأموراً فو الله لا ينفعك إلا ما قدمت من العدل في رعاياك، ولتعلم إن كنت نائباً، أول ما[٩] يتخلى عنك مستنيبك، الذي قلدك أمور الرعايا، فانه يخاصمك يوم القيامة بين يدي رب العالمين، فيقول: يا رب وعزتك وجلالك،لم أقلده الامارة إلا بأن يعمل فيها بما يرضيك، ولم أمره بالجور، ولا بما فيه أدنى ضرر لأحد من خلقك، فيلزمك الحجة، فتلتفت يمينا وشمالا فلا تجد لك ناصراً ولا معيناً، غير عملك الذي قدمت به على ربك، فإن يك خيراً فأنت من الفائزين الناجين، وإن يك غير ذلك، فقد خبت وخسرت، وهلكت مع الهالكين.

دخل بعض الصلحاء على المهدي أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك من الملك جزءاً كبيراً، فأعط رعاياك منه جزءاً يسيراً.

---

[١] - الوضر : وسخ الدسم واللبن ، أنظر : لسان العرب ٢٨٤/٥

[٢] - زيادة في (ب) و (ج).

[٣] - الزهو : الظُّلْمُ والاسْتِخْفافُ. أنظر: لسان العرب ٣٦٣/١٤ ، وفي كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ٢٢٠/١، جاءت الكلمة داهنَ : ومعنى داهنَ وأَدْهن أَي أَظهر خلاف ما أَضمر فكأَنه بيَّن الكذب على نفسه. والإِدْهانُ الغِش. أنظر: لسان العرب ١٦٠/١٣

[٤] - عن رجل من أهل اليمن قال اقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب إلينا لا تحركوه حتى يقدم إليكم كتابي ثم فتح فإذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان:
إذا خان الأمير وكاتباه *** وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل *** لقاضي الأرض من قاضي السماء ..أنظر: المستطرف في كل فن مستظرف ٢٢٠/١.
ذكرت هذه الأبيات في كثير من الكتب والمقالات دون ذكر لقائلها.

[٥] - عنه في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - يحكم في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - يخفاه في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - المائدة /٤٤

[٩] - من في (ب) و (ج)

قال: وما الذي ينبغي أن يعظ الرعايا؟

قال: العدل يا أمير المؤمنين، فإن رعاياك إذا نامت في عدلك، نمت آمناً في قبرك، فاعدل ما استطعت، فانك مجزى بالعدل عدلا، وبالجور عقابا، وكما تدين تدان، (لكن أنا)[١] أنبهك على أمور إن أنت عملت بها مخلصا فيها لله رب العالمين، كانت سبباً لنجاتك وفوزك مع الفائزين، وهي: أن تنظر في أحكام من تقدمك من الخلفاء الراشدين، فإن استطعت المشي على سنتهم، وإلا فانظر في أحكام من بعدهم من الخلفاء العادلين، كعمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين، فتتبع العمل بأحكامه، حسب الطاقة والاستطاعة، فإن لم يكن، فلا أقل أن تعمل بعمل كسرى نوشروان، أحد الملوك العادلين، فقد انتشر ذكره في العدل، مع أنه كان من القوم الكافرين، فلا يزال [منسوباً حكمه بالعدل][٢]، إلى آخر دهر الداهرين.

فكان معظم اهتمامه النظر في أحوال العباد، وعمران القرى والبلاد، وإحكام الثغور، وإتقان الجسور، والذب عن الرعية، والعمل بالعدل[٣] في كل قضية.

وليكن شعارك الخوف من رب العالمين، واعلم انه[٤] مراقبك، ومطلع على أقوالك، وأفعالك، وأحكامك، فاعمل عملا يسرك يوم المعاد، واعلم أن ربك لبالمرصاد.

**عدل وورع الصديق رضي الله عنه[٥]:**

((روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما آلت الخلافة إليه، صعد المنبر فقال: يا أيها الناس إنما أنا متبع، ولست مبتدعا[٦]، فإن أحسنت الحكم فيكم فأعينوني، وإن زغت فقوموني))[٧].

((وكان رضي الله عنه إذا وردت عليه الحكومة، نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى، وإلا نظر في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمل في أحكامه،

---

[١] - الصحيح: (لكني)
[٢] - حكمه منسوبا بالعدل في (ب) و (ج)
[٣] - |بالعدل| زيادة في (أ)
[٤] - |أنه| زيادة في (أ)
[٥] - أنظر مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس لتقي الدين الحصني أبي بكر بن محمد، من ص ٤٨ - ٨٠ نسخة جامعة الملك سعود رقم ١٣٣٥ وفيه سرد تفصيلي لسيرة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وسيرته في تاريخ الخلفاء ٣١/١ : هو خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم اسمه : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في مرة.
[٦] - بمبتدع في (ب) و (ج).
[٧] - أنظر: قمع النفوس ورقية المايوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٥٨

فإن وجد [فيها][١] ما يقضي به قضى، وإلا خرج يسأل الصحابة فيدلوه، ويقول: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ديننا))[٢].

((قال ابن عباس لما مرض أبوبكر رضي الله عنه، قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الأمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فإذا هو عبد نوبي، يحمل صبيانه، قالت عائشة رضي الله عنها: فبعثناه إلى عمر فقال عمر رضي الله عنه: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب[٣] من بعده تعباً شديداً، رضي الله تعالى عنه))[٤].

**عدل الفاروق رضي الله عنه:**

((وأما عمر رضي الله تعالى [عنه][٥]، فقد هابه الناس هيبة عظيمة حين تولى أمير المؤمنين بعد أبي بكر، حتى أنهم تركوا الجلوس بالأفنية، وقالوا: كان شديد البأس علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، فكيف وقد صار الأمر إليه فبلغه ذلك.

فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس اعلموا أن تلك الشدة إنما هي على أهل الظلم والمبتدعين، وأما أهل السلامة والدين، فإني ألين بهم من بعضهم لبعض، واعلموا أني لا أدع أحداً يتعدى على أحد بظلم، حتى أضع خده بالأرض، واضع قدمي على خده الآخر، حتى يذعن بالحق، ولكم عليَ أن لا ألقيكم في المهالك، وإذا غبتم بالبعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا، قال أبو سلمه: فوفى والله عمر بما قال، وزاد في الشدة في مواضعها، واللين في مواضعه.

ولقد كان والله يمشي إلى [النساء][٦] اللاتي غاب عنهن أزواجهن، فيسألهن ألكن حاجة فاشتري لكن، فيرسلن معه جواريهن، فيدخل السوق وأن[٧] وراءه من جواري

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج)
[٢] - أنظر: قمع النفوس ورقية المأيوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٠
[٣] - أتعبنا في (ب)
[٤] - أنظر: قمع النفوس ورقية المأيوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦١
[٥] - زيادة في (ب) و (ج)
[٦] - زيادة في (ب) و (ج)
[٧] - زيادة في (أ)

الناس وخدمهن ما لا يحصى عددا[١]، فيشتري لهن ما احتجن إليه ومن ليس لها خادم حمل حاجتها على عاتقه))[٢].

((قال أوفى[٣]: كان عمر رضي الله عنه، يقول لعماله لا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج، ويقول يجب علي أن أسافر [إلى][٤] أقطار الأرض، لأشاهد أفعال العمال حتى أعرف سيرتهم في الرعايا. وكان يبكي ليلا ونهارا فقيل له لم هذا البكاء؟ قال: قد وُليت أمراً إن أعدِل أُحاسَب، وإن أظلِم أعاقَب، إن نمت نهاراً أضعت الرعية[٥]، وان نمت ليلاً أضعت نفسي))[٦].

((قال وكان يعس ليلاً، فصحبته ذات ليلة، فبينما نحن سائرون[٧] إذ رأينا ناراً على بعد، تضيء تارة، وتنطفئ أخرى، فقصدناها فلما دنونا منها، وإذ امرأة بين يديها قِدر، وعندها أطفال يبكون، وهي تقول اللهم احكم بيني وبين عمر، فلما سمع عمر ذلك دهش عقله، فقال: يا أمَة الله أراك تذكرين عمر.

قالت: يحكم الله تعالى بيني وبينه[٨].

قال: وماذا صنع معك عمر؟[٩]

قالت: بعث والد هؤلاء إلى الغزو فقُتل، وبقي هؤلاء جياعا كما تراهم.

قال: ويحك ومن أين يعرفكم عمر؟

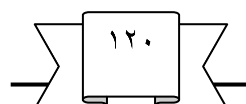
قالت: وما ظننت رجلاً يتولى أمور المسلمين ويخفى عليه أمرهم! أو ما علمت أن عمر مسئول عنهم يوم يُسأل كل راع عن رعيته؟

فارتعدت فرائص عمر وقال: كل الناس أفقه منك يا عمر.

ثم قال لها: ما في هذا القدر؟

---

[١] - زيادة في (أ)
[٢] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٢-٦٣
[٣] - الصحيح (أسلم) وهو مولى عمر رضي الله عنه. أنظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٦٠/١ .
[٤] - زيادة في (ب) و (ج)
[٥] - الرعايا في (ب) و (ج)
[٦] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٧١
[٧] - سائرين في (ب) و (ج)
[٨] - | قالت: يحكم الله تعالى بيني وبينه| زيادة في (أ)
[٩] - | قال: وماذا صنع معك عمر| زيادة في (أ)




قالت: ماءاً[١] أعللهم به حتى يناموا[٢]، فقام عمر من عندها ذاهل العقل على الفور[٣]، حتى دخل دار الإمارة، فاخرج منها عدلاً من دقيق، وجراب تمر وشحم وقال: شيل علي يا أخى[٤].

فقلت: أحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: شيل على كتفي يا أوفى[٥]، لا أم لك، إذا حملت عني اليوم فمن يحمل عني غدا؟

فرفعت[٦] معه العدل حتى وضعته على عاتقه، فقال: اطرح الجراب فوقه، فطرحته، فصار يمشي تارة، ويقعد أخرى، حتى طرح العِدل والجراب بين أيديهم، فأخرج منه دقيقاً، ولَتّهُ بدسم[٧]، ووضعه في القدر، فصار ينفخ والدخان يخرج من خلال لحيته، حتى نضج [الطعام][٨]، فغرف وأيقظ الأطفال وأطعمهم.

---

[١] - مراء في (ب) و (ج)

[٢] - ينامون في (ب) و (ج)

[٣] - تكون العبارة أصح إذا كانت: قام عمر من عندها على الفور ذاهل العقل

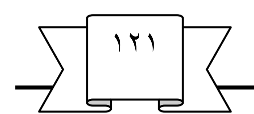
[٤] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس، لتقي الدين الحصني، نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٣ (شل علي يا أسلم)، وذكر (أسلم) أيضا في كتاب : محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٦٠/١-٣٦١، إذ جاء فيه: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: "خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار، إذا نار قال: "يا أسلم إني أرى ها هنا ركباً قصر بهم، الليل والبرد، انطلق بنا". فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان صغار، وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: "السلام عليكم يا أصحاب الضوء"، - وكره أن يقول: يا أصحاب النار - فقالت: "وعليكم السلام"، فقال: "أدنو؟"، فقالت: "ادن بخير أو ادع"، فدنا منها، فقال: "ما بالكم؟"، قالت: "قصر بنا الليل والبرد"، قال: "وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟"، قالت: "الجوع"، قال: "وأي شيء في هذه القدر ؟"، قالت: "ماء أُسَكِّتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر"، قال: "أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم!"، قالت: "يتولى أمرنا ثم يغفل عنا"، قال: فأقبل علي، فقال: "انطلق بنا"، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق وكُبة من شحم، فقال: "احمله عليّ"، فقلت: أنا أحمله عنك، فقال: "أنت تحمل وزري يوم القيامة، لا أم لك!"، فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: "ذُرّي عليّ، وأنا أحرّك لك"، وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها، فقال: "ابغني شيئاً"، فأتته بصحفة فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: "أطعميهم، وأنا أسطّح لهم". فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: "جزاك الله خيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين"، فيقُولُ: "قولي خيراً، وإذا جئت أمير المؤمنين وجدتيني هناك إن شاء الله". ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مربضاً، فقلت: ألك شأن غير هذا؟ فلا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدءوا، فقال: "يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت". أنظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٦٠/١، ليوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى : ٩٠٩هـ)، تحقيق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

[٥] - الصحيح (أسلم) وليس (أوفى) أنظر : المصدر السابق ٣٦٠/١.

[٦] - فشرعت في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - الدَّسَمُ هو : الودكُ ، وفي التهذيب كل شيء له ودك من اللحم والشحم. أنظر لسان العرب ١٩٩/١٢

[٨] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)




ثم قام من عندهم، فخرج ومشى قليلاً، وصار يحبو [1] على ركبتيه، ويبكي فقال له أوفى [2]: أضحكك الله يا أمير المؤمنين، لقد وفيت، قال: يا أخي والله لقد انصدع [3] قلبي لما رأيت في [4] حالهم)) [5].

وكان يطوف السوق وعليه جبة من صوف، فيها اثني عشر رقعة، والدرة على كتفه.

((ولما حُملت إليه خزائن كسرى، رأى مالاً عظيماً، فقال له خازن بيت [6] المال أفلا تدخل هذا بيت المال.

قال: لا بل أعمل فيه بما أمر الله تعالى به ورسوله: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [7] الآية)) [8].

وكان شديد البأس على ولاته، يصدر لهم الوصايا كل يوم اتقوا الله، واتقوا دعوة المظلوم، وأن لا تغلقوا أبوابكم دون الناس وحاجاتهم.

((وكان من جملة عماله على الكوفة سعد بن أبي وقاص، استأذنه أن يبني داراً يسكنها، فكتب إليه ابن بقدر ما يقيك من الحر، ويسترك من المطر، ولا تزد على ذلك)) [9].

((ولما أهم قيصر عظيم الروم أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أرسل رسولاً ينظر أحواله، ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل بعض أهلها أين ملككم؟

قالوا: ليس لنا ملك إنما لنا أمير. قال أين هو؟ قالوا خرج إلى ظاهر المدينة فخرج في طلبه فدُلّ عليه فرأى رجلاً نائما [فوق الرمل] [10] في حر الشمس، وقد وضع درته

---

[1] - يجثوا في (ب) و (ج) و (د)

[2] - الصحيح (أسلم) مولى عمر رضي الله عنه. أنظر : محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٣٦٠/١

[3] - صدع في (ب) و (ج) و (د)

[4] - من في (ب)

[5] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس، لتقي الدين الحصني، نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٣

[6] - ذلك في (ب) و (ج) و (د)

[7] - الأنفال /٤١

[8] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٦٧

[9] - أنظر: المصدر السابق ص ٦٩

[10] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

تحت رأسه كالوسادة، فلما رآه على تلك الحالة وقع الخوف في قلبه، وقال في نفسه رجل تهابه ملوك الأرض، لا يقر لهم قرار من هيبته، تكون هذه [الحال][١] حالته، لكنك يا عمر عدلت، فأمنت فنمت. وملكنا جَارَ[٢] فلم يزل ساهراً خائفاً، أشهد أن دينكم خير الأديان))[٣].

وكان يعس ليلاً ونهاراً، فمر ذات ليلة فإذا امرأة تقول لابنتها قومي فامرقي[٤] اللبن بالماء.

فقالت: ويحك يا أماه ألم تسمعي منادي عمر ألا يمرقن[٥] أحداً اللبن بالماء.

قالت: ويحك [وأين أنت][٦] وأين عمر في هذا الوقت؟

فقالت: لا إله إلا الله أطيعه نهارا وأعصه ليلاً، و الله لا فعلت[٧] [هذا][٨].

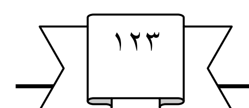
فلما سمع عمر ذلك أعجب من كلامهما، ثم علّم الباب بإشارة، فلما أصبح طلب البنت، فعقد لها على ولده، فكان من نسلها[٩] عمر بن عبدالعزيز الولي الصالح، الذي يضرب بعدله الأمثال.

**عدل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:**

((وأما علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، لما تولى الخلافة، أتته امرأة شاكية فوجدته قائما يصلي، فلما أحس بها سلم من صلاته، والتفت إليها برأفة ورفق، فقال: ألك حاجة؟

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - جبار في (ج)
[٣] - أنظر التبر المسبوك للإمام الغزالي١/ ٤ .
[٤] - الصحيح فامذقي . المَذِيقُ اللبن الممزوج بالماء. أنظر: لسان العرب ٣٣٩/١٠
[٥] - الصحيح : يمذقن
[٦] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٧] - أفعلن في (ب) و (ج)
[٨] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٩] - نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته عن مذق اللبن بالماء فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة فإذا بإمرأة تقول لإبنة لها ألا تمذقين لبنك فقالت كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق فقالت قد مذق الناس فامذقي فما يدري أمير المؤمنين فقالت إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم ما كنت لأفعله وقد نهى عنه فوقعت مقالتها من عمر فلما أصبح دعا عاصما ابنه فقال يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ووصفها له فذهب عاصم فإذا هي جارية من بني هلال فقال له عمر اذهب يا بني فتزوجها فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب فتزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب فولدت له فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم فأتت بعمر بن عبد العزيز . أنظر: سيرة عمر بن عبدالعزيز ٢٣/١، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ) ، تحقيق أحمد عبيد، الناشر عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكان النشر بيروت – لبنان.




قالت: يا أمير المؤمنين إن الرجل الذي وليته الصدقات، قد جار علينا، ولم يعمل بما أمرت، فبكى رضي الله عنه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الشاهد أني لم آمره بظلم خلقك، ولا بترك حقك. ثم أخذ قطعة من جلد فكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾[1]، إذا قرأت كتابي هذا فأحفظ ما في يدك من عمل، حتى يرد عليك من يقبضه منك، والسلام فعزله لوقته))[2] .

**عدل معاوية رضي الله عنه:**

وأما معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه، بينما هو ذات يوم في منظرة عالية جالس ينظر إلى الصحراء، وكان يوما شديد الحر، وقد نفخ الهجير، فإذا رجل مقبل من البادية، وسط النهار في شدة الحر، فقال معاوية لجلسائه: انظروا هل رأيتم أشقى من هذا الرجل، الذي خرج في مثل هذا الوقت؟

فلما رأوه قال بعضهم لبعض: لعله ملهوف قاصد أمير المؤمنين.

فقال معاوية: لئن ورد علي هذا[3] سائلاً لأعطينه، أو مستجيراً لأجيرنه، أو مظلوماً لأنصرنه، ثم التفت إلى غلام كان واقفاً بين يديه، فقال: قف بالباب حتى يرد هذا الإعرابي، فإن طلب الدخول إليّ فادخله.

فخرج الغلام فرأى[4] الإعرابي[5] بالباب، فقال له الغلام: ألك حاجة؟

---

[1] - الأعراف /٨٥ ، جاء في المخطوط (موعظة) بدلاً من( بينة).

[2] - ذكر أن سودة بنت عمارة بن أسد قالت أتيت علياً في رجل ولاه علينا فوجدته قائما يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته فقال برأفة ورحمة ألك حاجة فأخبرته فبكى وقال اللهم أشهد علي وعليهم إني لم أمرهم بظلم أحد من خلقك ولا بترك شيء من حقك ثم أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. أنظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ص ١٧٠.

[3] - |هذا| زيادة في (أ)

[4] - فوافى في (ب) و (ج) و (د)

[5] - وحكى أبوالفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المترجم بذم الهوى بسند رفعه إلى هشام بن عروة قال: أذن معاوية بن أبي سفيان يوماً للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عذرة، فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذري بين السماطين فأنشد يقول: مُعاوي يا ذا الفضل والحلم والعقل .. وذا البر والإحسان والجود والبذل .. أتيتك لما ضاق في الأرض مسكني .. وأنكرت مما قد أصب به عقلي .. ففرج كلاك الله عني فإني .. لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي .. وخذ لي هداك الله حقي من الذي .. رماني بسهم كان أهونه قتلي .. وكنت أُرجى عدله إن أتيته .. فأكثر ترددي مع الحبس والكيل .. سباني سُعدى وانبرى لخصومتي .. وجار ولم يعدل وغاصبني أهلي .. فطلقتها من جهد ما قد أصابني .. فهذا أمير المؤمنين من العدل. أنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت ٧٣٣هـ) ١٧٢/٢ ، نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة . أنظر كذلك: مصارع العشاق ١١/٢، مصارع العشاق: لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني

فقال: أطلب أمير المؤمنين، فأدخله فلما دخل أنشد فقال[١]:

معاويُ يا ذا العلم والحلم والنبل ويا ذا الندا والجود والعدل والفضل
أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي فيا غوث لا تقطع رجائي من العدل
وجد لي بإنصاف من الجائر الذي بلاني بشيء كان أيسره قتلي
سباني سُعدا وانبرى لخصومتي وجار ولم يعدل وغاصبني[٢] أهلي
وهم بقتلي غير أن منيتي [قامت][٣].. ولم استكمل الرزق من أجلي[٤]

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه[٥]، قال: مهلا يا إعرابي اذكر لي قضيتك[٦]، وأفصح عن قولك.

قال: يا أمير المؤمنين كان لي زوجة تدعى سُعدى، وكنت محباً [لها][٧]، وبها كلفا، وأنا بها قرير العين، طيب العيش، وكانت لي صرمة[٨] من الإبل، استعين بها على قيام أودي، وكفاف حالي، فإصابتنا سنة شديدة الحطم[٩]، أذهبت الخف والظلف، فصرت لا أملك شيئا.

---

السراج القارئ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته.

[١] - شعر في (ب) و (ج)

[٢] - وعاجني في (ب) و (ج) . والصحيح هو (وغصبني)، والغَصْبُ أَخْذُ الشيءِ ظُلْماً . أنظر لسان العرب ٦٤٨/١

[٣] - قامت في (ب) و (ج). وما أتت في (هـ). تبقت في (د) . لا توجد في (أ)

[٤] - أكلي في (د)

[٥] - قلبه في (ب) و (ج)، فؤاده في (هـ)

[٦] - فقال له معاوية : ادن بارك الله عليك، ما خطبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين إنني رجل من بني عذرة تزوجت ابنة عم لي. وكانت لي صرمة من ابل وشويهات، فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتني نائبة الزمان وحادثات الدهر رغب عني أبوها، فكرهت مخالفة أبيها، فأتيت عاملك ابن أم الحكم، فذكرت ذلك له، وبلغه جمالها، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذني فحبسني وضيق علي، فلما أصابني من الحديد وألم العذاب طلقتها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب وسند المسلوب، فهل من فرج؟ ثم بكى. وقال في بكائه: في القلب مني نار .. والنار فيها شنار .. وفي فؤادي جمرٌ والجمر فيه شرار .. والجسم مني نحيل .. واللون فيه اصفرار .. والعين تبكي بشجو .. فدمعها مدرار .. والحب داء عسير .. فيه الطبيب يحار .. حملت منه عظيماً .. فما عليه اصطبار .. فليس ليلي ليلاً .. ولا نهاري نهار. مصارع العشاق ١١٢/٢

[٧] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - الصِرْمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين. لسان العرب ٥٢٤/٢

[٩] - الحَطْمَةُ والحاطوم: السنة الشديدة الجدب، قال ذو الخرق: من حطمة أقبلت حتت لنا ورقا .. نمارس العود حتى ينبت الورق. لسان العرب ١٣٧/١٢

فلما قل مالي، وساء حالي، وعلم أبوها ما أنا فيه من القلة، أخذها من عندي، وجحدني وطردني، وأغلظ علي القول[١]، فأتيت عاملك (مروان ابن الحكم)[٢] مستصرخا، راجياً لنصرته، فاحضر أباها وسأله عن حالي، فقال لا أعرفه قبل اليوم، فقلت: أصلح الله الأمير، إن اقتضى رأيه أن يرسل إليها، فيحضرها ويسألها عن قول أبيها فليفعل.

فأرسل إليها مروان فاحضرها، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب، فصار لي خصماً، وعلي منكرا، فانتهرني واظهر لي الغضب، وبعث بي إلى السجن، فصرت كأنما خررت من السماء في مكان سحيق، ثم دفع لأبيها مبلغا، وسأله أن يزوجها له، وعليه خلاصها من هذا الإعرابي، فرغب أبوها في البذل فأجابه لذلك.

فلما أصبح أرسل طلبني من السجن[٣]، فلما وقفت بين يديه نظر إلي كالأسد الغضبان، وقال لي: طلق سُعدى، فقلت: لا أطلق زوجتي، فأسلمني لجماعة من غلمانه، فنوعوا لي أنواع العذاب، فلم أجد بداً من طلاقها فطلقتها، فأعادني إلى السجن، إلى أن انقضت عدتها، فعقد عليها ودخل بها، وقد أتيتك مستجيرا بك واليك ملتجئا، ثم ألقى نفسه بالأرض، واخذ [يلتوي][٤] كالحية المقتولة.

فلما رآه معاوية على هذه الحالة، قال: لقد تعدى وظلم ابن الحكم، وجار في حدود الدين، واجترأ على حرم المسلمين، ثم دعا بدواة وقرطاس، فكتب إلى مروان[٥]: أما بعد: فقد بلغني انك قد[٦] اعتديت[٧] على رعيتك، وانتهكت حرمة من حرم

---

[١] - [القول] زيادة في (أ)

[٢] - في سنة إحدى وأربعين ولى معاوية مروان بن الحكم المدينة. وفي مصارع العشاق ونهاية الأرب ذكر أن المقصود هو : ابن أم الحكم وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي (ت ٦٦هـ) : أحد الأمراء في العصر الأموي أمه "أم الحكم" أخت معاوية بن أبي سفيان ولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة (٥٧ هـ) فلم تحمد سيرته فأخرجه أهل الكوفة وعاد إلى الشام . أنظر: مصارع العشاق ١٢/٢ ، نهاية الأرب ١٧٣/٢، تاريخ الخلفاء ١٧٣/١ ، الأعلام ٣١٢/٣.

[٣] - ليستقيم المعنى أرى أن تكون الجملة كالآتي: فلما أصبح الصبح أرسل في طلبي من السجن

[٤] - زيادة في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)

[٥] - قد يكون المقصود (ابن أم الحكم) من خلال كتاب معاوية إليه. أنظر : مصارع العشاق ١٣/٢، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٧٤/٢. وتزيين الأسواق لداود بن عمر الأنطاكي، ٣٢٨/١ (الناشر: عالم الكتب بيروت، سنة ١٤١٣هـ، تحقيق: محمد التونجي).

[٦] - [قد] زيادة في (أ) و (د)

[٧] - تعديت في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)

المسلمين، وتعديت على حدود الدين، وينبغي ويتعين على كل وال، أن يغض بصره[١] عن شهواته، ويزجر نفسه عن شهواته[٢]. ثم كتب إليه يقول[٣]:

وليت ويحك أمرا لست تدركه فاستغفر الله من فعل امرء زان

فقد أتانا الفتى المسكين منتحبا يشكو إلينا ببث ثم أحزان

أعطي لربي يمينا لا أكفرها عنما[٤] وابرأ من ديني ودنياني[٥]

إن أنت خالفتني فيما أمرت به لأجعلنك لحماً بين عقباني[٦]

طلق سعاد وجهزها معجلة مع الكميت ومع نصر بن ذبياني[٧]

ثم طوى[٨] الكتاب، وطبعه بخاتمه، وناوله للكميت، ونصر بن ذبيان، وقال لهما: اذهبا إلى هذا الخبيث، فإن هو أجاب وأناب، وإلا فاضربا عنقه، فخرجا من عند أمير المؤمنين معاوية إلى أن وصلا[٩] على مروان ابن الحكم[١٠]، فلما أبصرهما تغير لونه، فناولاه الكتاب، وكل[١١] منهما متقلد سيفه، فلما قرأ الكتاب لم يسعه إلا أن أمر[١٢]

---

[١] - طرفه في (هـ)

[٢] - لذاته في (هـ)

[٣] - كتب معاوية إلى ابن أم الحكم كتاباً غليظاً وكتب في آخره: ركبت أمراً عظيماً لست أعرفه .. استغفر الله من جور امريء زان .. قد كنت تشبه صوفياً لـه كتب .. من الفرائض أو آيات فرقان .. حتى أتاني الفتى العذري منتحباً .. يشكو إلي بحق غير بهتان .. أعطي الإله عهوداً لا أخيس بها .. أو لا فأبرأ من دين وإيمان . إن أنت راجعتني في ما كتبت به .. لأجعلنك لحماً بين عقبان .. طلق سعاد وفارقها بمجتمع .. وأشهد على ذاك نصراً وابن طيبان .. فما سمعت كما بلغت من عجب .. ولا فعالك حقاً فعل إنسان . فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال: وددت أن أمير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف. وكتب ابن أم الحكم كتاباً لأمير المؤمنين معاوية كتب فيه يقول: لا تحنثن أمير المؤمنين فقد .. أوفي بعهدك في رفق وإحسان .. وما ركبت حراماً حين أعجبني .. فكيف سميت باسم الخائن الزاني .. أعذر فإنك لو أبصرتها لجرت .. منك الأماقي على تمثال إنسان .. وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها .. عند البرية من إنس ومن جان .. حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت .. أقول ذلك في سر وإعلان. أنظر: مصارع العشاق ١٣/٢- ١٤ ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٧٤/٢. وتزيين الأسواق لداود بن عمر الأنطاكي، ٣٢٨/١ .

[٤] - غنما في (ب) و (ج)، حتما في (د) و أيضا في (هـ). ونعم في سمط النجوم ١٤٥/٣ ، أنظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت ١١١١هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، مكان النشر بيروت، وأظنها: أعطي لربي يمينا لا أكفرها (قسما) وأبرأ من دين وإيمان

[٥] - إيمان في (ب) و (د)، ودنياي في (هـ)، دياني في سمط النجوم ١٤٥/٣ ، وإيماني في إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ٢٦/١

[٦] - عقبان في (ب) و (ج)

[٧] - ذبيان في (ب) و (ج) و (د)، الكميت ونصر بن ذبيان : كان يستنهضهما معاوية للمهمات لأمانتهما. أنظر سمط النجوم العوالي ١٤٥/٣

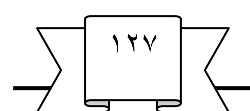
[٨] - فطوى في (ب) و (ج)

[٩] - دخلا في (ب) و (ج) و (د)

[١٠] - المقصود (ابن أم الحكم) كما ذكرنا سابقاً.

[١١] - وكلا في (ب) و (ج)

[١٢] - زيادة في (أ)




بإحضار الجارية على الفور، فأبانها عن عصمته، [وسلمها إليهما][١]، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب إلى أمير المؤمنين يقول، شعر:

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد[٢] … أوفي بنذرك في رفق وإحسان

وما أتيت حراما حين أعجبني … فكيف أُدعى باسم الخائن الزاني

اعذُر فانك لو أبصرتها لجرت … منك الأماقي على تمثال إنسان

وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها … عند الخليفة لا[٣] انس ولا جان

ثم طوي الكتاب، وناوله إليهما مع الجارية، فسارا إلى أن دخلا على معاوية بالجارية، فناولاه الكتاب.

فلما قرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، لكنه أطنب في وصف الجارية، فأمر بإحضارها، فرأى صورة لم ير مثلها جمالاً وكمالاً، فخاطبها فوجدها من أفصح النساء[٤].

فقال: عليَ بالإعرابي فأُحضر، وهو على غاية من سوء الحال، فقال: يا إعرابي هذه سُعدى؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدين، وألم بك شعث المسلمين، فقال له أمير المؤمنين: يا إعرابي هل [لك][٥] من سعدى من رغبة وأنا أعوضك عنها ثلاث جواري[٦] بنات أبكار، مع كل واحدة منهن ألف درهم[٧]، واقسم

---

[١] - وأرسلها إلى معاوية صحبة القاصدين المذكورين ، في (د)

[٢] - فقط في (ج)

[٣] - من في (ب) و (ج) و (د)

[٤] - لما وصلت الجارية إلى معاوية، وقد تعجب الناس من حسنها، وقالوا هذه لا تصلح لأعرابي، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها، فإذا هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها، قال نعم إذا بان رأسي عن بدني، ثم أنشد: لا تجعلني والأمثال تضرب بي .. كالمستجير من الرمضاء بالنار .. أردد سعاد على حران مكتئب .. يمسي ويصبح في هم وتذكار .. قد شفه قلق ما مثله قلق .. وأشعر القلب منه أي إشعار .. والله والله لا أنسى محبتها .. حتى أغيب في رمس وأحجار .. كيف السلو وقد هام الفؤاد بها .. وأصبح القلب عنها غير صبار . أنظر: تزيين الأسواق للأنطاكي ٣٢٨/١ ، تزيين الأسواق، لداود بن عمر الأنطاكي الضرير، دار النشر : عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ .، الطبعة : الأولى، تحقيق : د . محمد التونجي

[٥] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - جوار في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - دينار في (ب) و (ج)، وفي إعلام الناس ٢٦/١ أمر معاوية بإحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال ، فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان ، فقال : علي بالأعرابي . فأتي به وهو في غاية من تغير الحال فقال معاوية : يا أعرابي هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار نهد أبكار ، كأنهن الأقمار ، مع كل جارية ألف دينار. أنظر: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس: لمحمد دياب الإتليدي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز سالم.

لك من بيت المال ما يكفيك، ويعينك على صحبتهن؟ فلما سمع كلام معاوية صرخ صرخة ظن الحاضرون أنه قد خرجت روحه.

فقال معاوية: [ما بالك][١] يا إعرابي؟ قال: أشر بال، وأسوأ حال، قد استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فإلى من أستجير من جورك؟

فقال معاوية: يا اعرابي أنت مقر بأنك طلقتها، وأما مروان فقد أبانها، ونحن الآن نخيرها، فان اختارت سواك زوجناها به. ثم قال لها أمير المؤمنين: ما تقولين يا سُعدى أيما أحب إليك أمير المؤمنين، وعزه وشرفه وسلطانه؟ أو مروان في عسفه[٢] وجوره؟ أو هذا الإعرابي في فقره، وسوء حاله؟ فسكتت طويلاً.

فقال لها[٣] أمير المؤمنين: ما تقولين يا سعدى، أيما أحب إليك أمير المؤمنين وعزه وسلطانه، وما تصيرين إليه عنده، أعاد عليها[٤] ما قاله أولاً، فأنشدت تقول:

هذا وإن كان في فقر[٥] وإضراري    أعز عندي من أهلي ومن جاري[٦]
أو صاحب التاج أو مروان عامله    وكل ذي درهم عندي ودينـاري[٧]

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين؛ ما أنا بخاذلته لنكبات الزمان؛ ولا لغدرات[٨] الأيام؛ وان لي معه صُحبة لا تُنسى، ومحبة لا تَبلى، وأنا أحق من صبر معه في الضراء، كما تنعمت معه في السراء[٩].

[١] - مالك في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - عنفه في (ب) و (ج)
[٣] - [لها] زيادة في (أ)
[٤] - إليها في (ب) و (ج) و (د)
[٥] - جوع في (ب) و (ج)
[٦] - جار في (ب) و (ج)
[٧] - دينار في (ب) و (ج)
[٨] - الصحيح (غدر الأيام)
[٩] - خيّرها معاوية بينه وبين أم الحكم وبين ابن عمها، فأنشدت: هذا وإن أصبح في اطمار .. وكان في نقص من اليسار .. أكبر عندي من أبي وجاري .. وصاحب الدرهم والدينار .. أخشى ان غدرت حر النار .. خلى سبيلي ما به من عار .. لعلنا نرجع للديار .. وإن عسى نظفر بالأوطار. تزيين الأسواق ٣٢٩/١ .
وفي سمط النجوم: ١٤٧/٣ : قالت والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدر الأيام فإن لي معه صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى فأنا أحق من صبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فعجب معاوية من عقلها ومروءتها وموافاتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وردها إلى الأعرابي بعقد صحيح.

فلما سمع معاوية كلامها، اهتز طربا لِما رأى من عقلها، وعظم مروءتها، فأمر لها وله[١] بعشرة آلاف درهم، وأعادها للأعرابي بعقد جديد. ولقد كان معاوية أمير المؤمنين عنده من الحلم [جانب عظيم و][٢] جزءا وافرا.

((روي أنه كان له أرضا يزرعها [فيها عبيده فتيانا يزرعونها كل عام، وبجوارها أرض لعبدالله بن الزبير، بها عبيده وفتيانه يزرعونها له، فجار عبيد معاوية على قطعة أرض من أرض عبدالله بن الزبير، اخذوا منها جانبا، فعسر على (عبيد)[٣] عبدالله بن الزبير، فكلموهم في ذلك، فبطش عبيد معاوية في عبيد عبدالله بن الزبير][٤]. فبلغ سيدهم فساءه ذلك، فكتب إلى معاوية، أما بعد: يا معاوية فإن لك عبيدا، فعلوا بعبيدي واغتصبوا [جانبا][٥] من أرضي، ولقد أقسمت إن لم ترد عبيدك، عما[٦] فعلوا بعبيدي وأرضي، وإلا كان بيني وبينكم شأن.

فلما وصل الكتاب إلى معاوية أمير المؤمنين قرأه، وناوله لولده يزيد فقرأه، فلما قرأه يزيد تغير لونه، فقال له [والده معاوية][٧] ما ترى؟

قال: أرى أن ترسل [إليه جيشا أولهم عنده، وآخرهم عندك][٨]، يأتوك برأسه، فسكت معاوية، ثم قال لولده: إني أرى غير ذلك.

ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب إلى عبدالله بن الزبير سلام عليك، أما بعد: فقد وصل إلي كتابك يا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأته وفهمت معناه، والله لقد ساءني ما ساءك، والدنيا وما فيها هينة في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي كتابا أشهدت الله فيه على نفسي، وأشهدت من حضرني من جميع المسلمين، أن الأرض التي لي ملكتها لك،|والعبيد التي بها ملكتهم لك، فضم الأرض إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك|[٩]، والسلام عليك ورحمة الله.

---

[١] - لا توجد في (ج)
[٢] - زيادة في (ب) و (ج)
[٣] - أضفتها ليستقيم المعنى
[٤] - الفقرة في (ب) و (ج) جاءت كالآتي: (له عبيده فجار عبيد معاوية على قطعة أرض من أرض عبدالله بن الزبير)
[٥] - زيادة في (هـ)
[٦] - عن ما في (ب) و (ج)
[٧] - أبوه في (ب) و (ج)
[٨] - الفقرة في (ب)، (إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندك)
[٩] - |زيادة في (أ)

فلما وصل الكتاب إلى عبدالله بن الزبير تهلل وجهه، وكتب إليه لا أعدمني الله بقاء حس أمير المؤمنين، ولا أعدمه هذا الرأي الذي أحله هذا المحل العظيم[١]))[٢].

فانظر يا ملك الزمان حلم الملوك السابقين، كيف أحيا الله به ذكرهم، حتى صاروا يمتدحوا[٣] به، إلى آخر دهر الداهرين[٤].

فعليك يا ملك الزمان بالمشي على سننهم، واقتفاء آثارهم، لتصير عند الله من الفائزين، وعند رعاياك من الممدوحين المشكورين.

دخل الأحنف بن قيس[٥] على معاوية يوما من الأيام، فقال له معاوية: كيف الزمان يا أبا بحر؟ قال: يا أمير المؤمنين أنت الزمان، إن صلحت صلح الزمان[٦]، وإن فسدت فسد الزمان، لأنك في رعاياك بمنزلة القلب، الذي هو المضغة في الجسد، فإذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد.

**عمر بن عبدالعزيز عدل وزهد:**

((ولما آلت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز، رقى المنبر وقال: يا أيها الناس قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني، ولا رغبة لي فيه، ولا طلبته، وإني قد خلعت

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج)

[٢] - وفي كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة المنسوب لأبي عبدالله القلعي، طبعة دارا لمنار ص ١٤٠-١٤٠ ، جاء فيه : وروي أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض متاخمة لأرض معاوية قد جعل فيها عبيدا من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض ابن الزبير فكتب إلى معاوية أما بعد يا معاوية فامنع عبدانك عن الدخول في أرضي وإلا كان لي ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له يا بني ما ترى قال أرى أن تنفذ إليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه قال أو خير من ذلك يا بني علي بدواة وقرطاس فكتب إليه وقفت على كتاب ابن حواري رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وساءني ما ساءه والدنيا عندي بأسرها هينة في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي صكا بالأرض والعبدان له وأشهدت علي فيه فليستضيفها مع عبدانها إلى أرضه وعبدانه والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأي الذي أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه وقال يا بني إذا بليت بمثل هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء.

[٣] - يمدحوا في (ب) و (ج)

[٤] - ومن حلم معاوية : روي أنه أتي معاوية برجل من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان قد أبلى معه بلاء حسنا فقال معاوية الحمد لله الذي أمكن منك فقال لا تقل ذلك ولكن قل إنا لله وإنا إليه راجعون فإنها مصيبة قال وأي نعمة هي أكبر من أن الله قد أظفرني برجل قتل بساعة واحدة جماعة من أصحابي اضربا عنقه فقال اللهم اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك ولا أنك رضيت قتلي ولكن يقتلني على سبيل الغلبة على حطام هذه الدنيا فإن فعل فافعل به ما هو أهله وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله قال معاوية قاتلك الله لقد سببت فأبلغت بالسب ودعوت فأبلغت في الدعاء خليا عنه. كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ص ١٧٠

[٥] - الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبوبحر: (ت٧٢هـ) : سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. أنظر الأعلام للزركلي ٢٧٦/١

[٦] - |الزمان| زيادة في (أ). قال سفيان الثوري : صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة الملوك والعلماء. أنظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ص ١٨. نشرته دار الجيل ببيروت.

مما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح المسلمون، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك، وضجوا ضجة عظيمة.

فلما سكتوا حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، واعملوا لآخرتكم، واذكروا الموت، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم، واني والله لا أعطي أحدا باطلاً، ولا أمنع لأحد حقاً، واعلموا عباد الله أن من أطاع الله تعالى وجبت إطاعته، ومن عصى الله تعالى فلا إطاعة له، أطيعوني ما أطعت الله تعالى، فإن عصيته بارتكابي غير ما أمر الله به؛ فلا إطاعة لي عليكم. ثم نزل فدخل منزله وأرخى الستور.

فقال له ولده: ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟

قال: كنت أمس سهرانا وأريد أن أقيل.

قال: يا أبت أتنام عن رد المظالم؟

قال: إذا استيقظت بعد الظهر إن شاء الله جلست لرد المظالم.

قال: من أين لك يا أبت[1] أن تعيش إلى الظهر فترد المظالم؟

فخشع قلبه فقال: أدن مني يا ولدي، فدنى منه فقبل ما بين عينيه. فقال: الحمد لله الذي وفق ولدي وجعله معيناً لي على ديني، فخرج وترك النوم.

وأمر مناديه فنادى من له ظلامة؟ فقام رجل ذمي، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال [أمير المؤمنين][2]: وما شأنك قال: إن العباس ابن الوليد هذا الحاضر بين يديك غصبني أرضي، فالتفت إليه أمير المؤمنين فقال: ما تقول فقال: يا أمير المؤمنين أقطعنيها الوليد حين كان أمير المؤمنين.

فقال الذمي: أسألك كتاب الله يا أمير المؤمنين، فقال عمر: كتاب الله أحق إتباعا من كتاب الوليد، أردد عليه أرضه يا عباس فردها. ثم صار لا يدع شيئا مما في يد أهل بيته من المظالم إلا ردها لمستحقيها))[3].

---

[1] - [أبت] زيادة في (أ)

[2] - زيادة في (د)

[3] - أنظر: مخطوط قمع النفوس ورقية المأيوس، لتقي الدين الحصني، نسخة جامعة الملك سعود رقم (١٣٣٥) ص ٨٤-٨٥

قال مالك[١] ابن دينار: لما ولي عمر بن عبدالعزيز، قالت رعاة الشاة من هذا الرجل الصالح الذي تولى خليفة على المسلمين؟ قيل: وما أعلمكم به، قالوا: إن السباع والذئاب كفت عن شياهنا، ولا يكون هذا إلا من عدل الإمام.

قال حسن القصاب[٢] لقد مررت بشياه فيها نحو ثلاثين وحشا أحسبهم[٣] كلاباً، فقلت لرعاتها لقد أكثرتم من الكلاب في شياهكم، قالوا: إنما هي ذئاب.

فقلت: إن هذا لعجب! فقال الرعاة أو ما علمت أن [حاكم الوقت][٤] كالقلب، والرعايا بمنزلة الجسد[٥]، فالقلب إذا صلح صلح الجسد، وبالعكس.

وروى الفهري[٦]: قال دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز وهو يقسّم مال الفيء، وله ولد صغير بجانبه، فمد الولد يده فتناول دينارا[٧]، فانتزعه منه بعنف، وألقاه على الفيء، فقام الولد من عنده يبكي.

فقلت له لو[٨] تركته يا أمير المؤمنين، قال: ذكرت قول رب العالمين: ﴿مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [٩] الآية.

فمن أجل هذا الوعيد الشديد تورع عن الدنيا الزاهدون، وشمر عن التلوث بها ذيل العابدين[١٠].

---

[١] - قال مالك بن دينار: (لما ولي عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قالت رعاة الشاة في رؤوس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس قال: فقيل لهم وما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا قام خليفة صالح كفت الذئاب والأسد عن شاتنا). أنظر: أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز ٥٠/١ . أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته، رواية أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عيلان، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ، مكان النشر بيروت . و قال مالك بن دينار : لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاء الشاء : من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة ؟ عدله كف الذئاب عن شائنا أنظر: تاريخ الخلفاء ٢٠١/١

[٢] - الغفران في (ب) و (ج). قال حسن القصاب : رأيت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية في خلافة عمر بن عبد العزيز فقلت : سبحان الله ذئب في غنم لا يضرها ! فقال الراعي : إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس. أنظر: تاريخ الخلفاء ٢٠١/١

[٣] - أظنهم في (ب) و (ج)

[٤] - الحاكم في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - القلب في (ب) و (ج)

[٦] - أبو محمد عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري، فقيه من الأئمة من أصحاب مالك جمع بين الفقه والحديث والعبادة، كان حافظا وعرض عليه القضاء فخبأ نفسه ، مولده ووفاته بمصر (ت ١٩٧هـ).

[٧] - درهما في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - لما في (ب) و (ج) ، ألا في (د)

[٩] - الحشر /٧

[١٠] - العابرين في (ج)

لم يرض عمر بن عبدالعزيز [أن][١] يترك لولده دينارا[٢] واحداً مما جعله الله لليتامى والمساكين، فانظر يا ملك الزمان، كيف تورع عمر بن عبدالعزيز أن يدع الدينار[٣] لولده الصغير، وهو مال خراج القرى، الذي جعله الله تعالى للفقراء، الذين ذكرهم في الكتاب العزيز. فكيف الجواب غداً عند الله حين يُسأل كل راع عن رعيته.

لكنه بسبب هذا الزهد العظيم وحرصه أن يتعاطى لنفسه أو لولده درهما واحداً، من مال بيت المسلمين، الذي جعله الله للفقراء، والمساكين، واليتامى، سعد السعادة الأبدية، وحظي عند سيد المرسلين.

ورُوي[٤] أنه رُؤيَ في المنام جالساً بجانبه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليه أبوبكر، وعمر، فقيل يا رسول الله أيجلس إليك هذا مقدما على أبي بكر وعمر؟

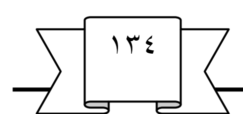
[فقال صلى الله عليه وسلم][٥] : لأنه حكم بالعدل في زمن الجور، وهما حكما بالعدل في زمن العدل.

فانظر يا ملك الزمان استعمال العدل كيف يقرب صاحبه إلى غاية القرب من حضرة صاحب الجناب الرفيع، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، فهنيئاً له من إمام ما كان أعدله، وأخوفه من رب العالمين[٦].

روي أنه أصبح ذات يوم جالساً لتعاطي الحكومات، إذ دخلت إليه امرأة فقالت: رأيت لك[٧] في هذه الليلة رؤيا مناما يا أمير المؤمنين، أقصها عليك قال: ما الذي رأيت؟ قالت: رأيت كأن القيامة قد قامت فاصفر لونه، قالت: وحُشر الناس للحساب، ونصب الميزان، ومدّ الصراط على متن جهنم، فجثى عمر على ركبتيه.

---

[١] - زيادة في (د)
[٢] - درهما في (ب) و (ج) و (د)
[٣] - الدرهم في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - عن خصيف قال : رأيت في المنام رجلا قاعدا وعن يمينه رجل وعن شماله رجل إذ أقبل عمر بن عبدالعزيز فأراد أن يجلس بين الذي عن يمينه وبينه فلصق بصاحبه فأراد أن يجلس بينه وبين الذي عن يساره فلصق بصاحبه فجذبه الأوسط فأقعده في حجره قال قلت من هذا قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وهذا عمر وهذا عمر بن عبدالعزيز. أنظر : تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٣/٤٥
[٥] - زيادة في ب و ج، عليه الصلاة والسلام في (د)
[٦] - | فهنيئاً له من إمام ما كان أعدله، وأخوفه من رب العالمين| زيادة في (أ) و (د)
[٧] - |لك| زيادة في (أ)




فقالت: وإذ المنادي ينادي أين مروان بن الحكم[١] أمير المؤمنين؟ فأُتي به يرفل في قيوده، فأُمر به فصعد الصراط، فارتج به فخر على أم رأسه في النار.

ثم نادى المنادي [ثانياً][٢] أين عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين؟ فأُتي به ويداه مغلولتان إلى عنقه، يرفل في قيوده، فأُمر به فصعد الصراط، فارتج به فخر على أم رأسه في النار.

ثم نادى المنادي أين فلان أين فلان وكل مخر على أم رأسه في النار[٣].

ثم نادى المنادي أين عمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين؟ فأُتيَ بكَ، [فصرخ عمر بن عبدالعزيز لما أن قالت فأُتي بك][٤]، وخر مغشيا عليه لا يفيق، فصارت تصرخ في أذنه، وتقول: والله رأيتك نجوت، وهو لا يفيق إلى الليل.

فانظر يا ملك الزمان شدة هذا الخوف، الذي يكاد ينفطر منه قلب الإنسان، هذا وهو أعدل الخلفاء بعد الخلفاء الراشدين، فماذا يكون حالك غداً بين يدي رب العالمين.

**خلافة الرشيد وزهد سفيان:**

ولما آلت الخلافة إلى الرشيد، وفد العلماء إليه من كل فج يهنئونه بالخلافة، فلما ولي الخلافة تباعد عنه سفيان[٥]، لما علم فيها من الخسران عند مخالطة السلطان.

---

[١] - مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبدالملك (ت ٦٥هـ): خليفة أموي، هو أول من ملك من بني الحكم بن العاص، وإليه ينسب "بنومروان" ودولتهم "المروانية" تولى المدينة (٤٢ – ٤٩هـ) في عهد معاوية، وأخرجه منها عبدالله بن الزبير. أنظر : الأعلام ٢٠٧/٧

[٢] - زيادة في (د)

[٣] - | ثم نادى المنادي أين فلان أين فلان وكل مخر على أم رأسه في النار| زيادة في (أ) و (د)

[٤] - | فصرخ عمر بن عبدالعزيز لما أن قالت فأُتي بك| زيادة في أ

[٥] - ذكر في النسخ (ب) و (ج) و (د)، قد تكون الرسالة أرسلت من هارون الرشيد إلى سفيان الثوري قبل تولية الرشيد الخلافة، لأن: سفيان الثوري، لم يحضر خلافة هارون الرشيد الذي عاش خلال الفترة (١٤٨-١٩٣هـ) وتولى الخلافة خلال الفترة (١٧٠-١٩٣هـ)، بينما توفي سفيان الثوري سنة (١٦١هـ)، قبل تولية هارون الرشيد للخلافة بتسع سنوات، وهو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ – ١٦١هـ) ، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبوعبدالله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة وراوده المنصور العباسي (أبوجعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس حكم من ١٣٦ – ١٥٨هـ) على أن يلي الحكم فأبى، ثم طلبه المهدي (محمد بن أبي جعفر المنصور حكم من ١٥٨ – ١٦٩هـ)، فتوارى، وخرج من الكوفة سنة (١٤٤هـ) فسكن مكة والمدينة، وانتقل إلى البصرة ومات فيها. أنظر الأعلام ١٠٤/٣.

فكتب إليه الرشيد: من عبدالله هارون [الرشيد][١] إلى أخيه سفيان، أما بعد: يا أخي فقد علمت أن الله تعالى آخى بين المؤمنين، وقد آخيتك مؤاخاة فلم أصرم[٢] لك منك[٣] حبلاً، ولا قطعت لك منها وداً، وأني منطو لك على أفضل ما تعهد مني من المحبة والمودة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا، لما أجد لك في قلبي من الاشتياق[٤]، ولم يبق[٥] أحد من إخواني وإخوانك إلا زارني وقد استبطأتك، ولا يخفاك ما ورد في حق المؤمن وزيارته أخاه[٦]، فإذا ورد عليك كتابي فأعجل إلي، لترى مني ما تقر به عينك والسلام.

ثم طوى الكتاب. ودعا عباد الطالقاني، وناوله الكتاب، وقال: أوصله إلى سفيان، فلما وصل عباد [إلى][٧] الكوفة سأل عن سفيان، فقيل [له][٨]: أنه بالمسجد فأتاه؛ فلما رآه سفيان، قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قام مستقبلا يصلي ولم يكن وقت صلاة، قال عباد: فنزلت عن دابتي وربطتها بباب المسجد، ودخلت فسلمت، فرد علي السلام من في مجلسه، فوقفت طويلا وكلهم[٩]، باهتون[١٠] ساكتون[١١]، ما منهم أحد يعرض علي الجلوس، ولا يسألني من أين أتيت فلحقتني رعدة[١٢] من هيبتهم، فلما سلم سفيان من صلاته ناولته الكتاب، فلم يمد يده، فوضعته بين يديه فناولته[١٣]، فتباعد عنه كأنه حية، ثم قال لأحد[١٤] ممن عنده: اقرأ ما فيه، فقرأه فلما سمع سفيان

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)
[٢] - الصَّرْمُ القَطْعُ البائنُ وعم بعضهم به القطع ، وتَصْرِيمُ الحبال تقطيعها ، وصَرَمْتُ الشيءَ صَرْماً قطعته . أنظر: لسان العرب ٣٣٤/١٢
[٣] - منها في (ب) و (ج) و (د)
[٤] - الأشواق في (د)
[٥] - |يبق| زيادة في (أ) و (د)
[٦] - | ما ورد في حق المؤمن وزيارته أخاه| زيادة في (أ)
[٧] - زيادة في (د)
[٨] - زيادة في (ب)
[٩] - وهم في (ب) و (ج)
[١٠] - والبَهْتُ الانقطاعُ والحَيْرَة رأَى شيئاً فبُهِتَ يَنْظُرُ نَظَر المُتَعَجِّب. أنظر: لسان العرب ١٢/٢
[١١] - ساكنون في (د)
[١٢] - الرِّعْدَة النافض يكون من الفزع وغيره وقد أُرْعِدَ فارتَعَدَ وتَرَعْدَد أَخَذته الرعدة والارتعاد الاضطراب تقول أَرعده فارتعد وأُرْعِدَت فرائصه عند الفزع. أنظر لسان العرب ١٧٩/٣
[١٣] - |فناولته| زيادة في (أ)
[١٤] - لواحد في (ب) و (ج)

ما فيه تبسم كالمتعجب، وقال للذي قرأه: أردد له الجواب في[١] ظهر كتابه، فقلت: يا أبا عبدالله إنه خليفة، فلو كتبت له في قرطاس.

ثم قال: يا عباد بل في ظهر كتابه[٢]، ليعود مكتوبه إليه، فان كان اكتسبه من حل فسيجزى[٣] به، وان كان من حرام فسيصلى[٤] به.

فكتب: الحمد لله، أما بعد: فليعلم أمير المؤمنين، أني قد صرمت حبله، وقطعت وده، فكن أنت يا أمير المؤمنين على حذر فيما وليته، واعلم أنك ستقف غداً بين يدي [رب العالمين][٥] الحكم[٦] العدل، فيجازيك بالعدل عدلا، وبالجور جورا، فاتق الله في نفسك، ولا تغتر بما أوتيته، فقد صرت للظالمين إماما، وما كفاك ذلك يا مغرور حتى تدعوني إليك وأنت في هذه الحالة، بئس والله من محبة، تجذب محبوبها إلى عذاب النار، ومفارقة الأخيار، والله يا أمير المؤمنين، إن قدومي عليك لا يغني عنك شيئا من الله، فلا يقربك إلى الجنة، ولا يباعدك عن النار[٧]، فكأني بك يا هارون وقد بلغت بك الروح التراق، وقيل من راق، وظن أنه الفراق، فلم تشعر إلا وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك، بلاء على بلاء، وظلمة على ظلمة.

إنما أوصيك بتقوى الله عز وجل، فاتق الله في رعاياك، وأحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته، واعلم أن هذا الأمر لم يصير إليك، إلا وهو صائر إلى غيرك، هكذا الدنيا! تفعل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزود زاداً نفعه لأخراه، ومنهم من خسر دينه ودنياه.

ثم ناولني الكتاب من غير طي، فأقبلت به، وقد نالني من الموعظة ما أيقظني ما كنت فيه من الغفلة، فصرمت ود حبل أمير المؤمنين، وألقيت ما كان علي من

---

[١] - على في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - | فقلت: يا أبا عبدالله إنه خليفة، فلو كتبت له في قرطاس. ثم قال: يا عباد بل في ظهر كتابه| زيادة في (أ) و (د). (أبا عبدالله هي كنية سفيان الثوري).

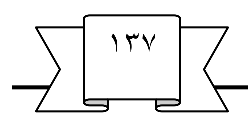
[٣] - يجزى في (ب) و (ج) . ومعنى من حل : من حلال

[٤] - يصلى في (ب) و (ج) و (د)

[٥] - زيادة في (د)

[٦] - الحاكم في (د)

[٧] - | ومفارقة الأخيار. والله يا أمير المؤمنين، إن قدومي عليك لا يغني عنك شيئا من الله، فلا يقربك إلى الجنة، ولا يباعدك عن النار| زيادة في (أ)




ملبوس كنت أجالس به أمير المؤمنين، ولبست جبة من صوف، وأقبلت أقود البرذون[١] الذي كنت راكبه.

فلما رآني الحجّاب أنكروني، لما رأوا من حالتي، فنهروني، وطردوني، حتى عرفني بعضهم، فأدخلني فلما رآني أمير المؤمنين تغرغرت عيناه بالدموع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد سعد الرسول وخاب المرسل.

فناولته الكتاب، فصار يقرأه ودموعه تتحدر، وقال لقد جعل الله سفيان أمة وحده، ولم يزل الكتاب عنده لا يفارقه، ويقرأه عند كل صلاة .

رُوي أن الإمام أبا جعفر دخل على الرشيد[٢] يوماً فوجده في أشد الوجل والغضب، واستخفه الطيش والصخب، فقال: يا أمير المؤمنين إن كان[٣] غضبك لرب العالمين فلا تسرف في غضبك، ولا تغضب أكثر من غضبه لنفسه سبحانه، فقد حد لكل شيء حدا، فلا تتعدى حدوده، فقد ملكك عبيده فعامله فيهم بالعفو والحلم، واقتد بقول الراسخين في العلم، واذكر حال وقوفهم بين يديك، ووقوفك بين يديه، وانتقامك منهم، وسؤالك عنهم عند قدومك عليه، فسكن غضب أمير المؤمنين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)[٤].

ويحك أيها الأمير ارحم الصغير[٥]، واعف عن الكبير، وعامل رعاياك بما تحب أن يعاملك به اللطيف الخبير، فإن العمر قصير، والناقد بصير، والحساب عسير، والميزان على الذرة يطير، والناس فريقان، فريق في الجنة، وفريق في السعير، وأنه لا طاقة لك بحر نار السعير. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أهون الناس[٦] عذابا

---

[١] - هو الهجين من الخيل : قالت الأعراب : الخيل نوعان: عتيق وهو المسمى فرساً وهجين وهو المسمى برذوناً، والفرق بينهما أن عظم البرذون أغلظ من عظم الفرس، وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون، والبرذون أحمل من الفرس، والفرس أسرع من البرذون. أنظر نهاية الأرب ١٤/١٠

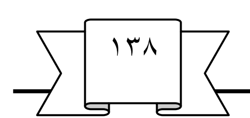
[٢] - المنصور في (د). الرشيد : هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن العباس استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين (١٧٠هـ - ١٩٣هـ) و مائة قال الصولي : هذه الليلة ولد له فيها عبد الله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة و قام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة. أنظر: تاريخ الخلفاء ٢٤٩/١

[٣] - |كان| زيادة في (أ)

[٤] - أخرجه البخارى في صحيحه (١٧٢٦/٤ ، رقم ٤٤٠٩) باب سورة هود. ومسلم في صحيحه (١٩٩٧/٤ ، رقم ٢٥٨٣) باب تحريم الظلم .

[٥] - الضعيف في (د)

[٦] - |الناس| زيادة في (أ)




يوم القيامة، رجل يوضع تحت أخمصيه جمرتان[1]، يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحداً أشد عذاباً منه، وأنه لأهون الناس عذابا يوم القيامة)[2] .

شعر:

| | |
|---|---|
| من ذا الذي قد حاز راحة سره | في عسره كان أو في يسره |
| إني رأيت الطير في طيرانها[3] | فرأيت أكثر ما يصاد بواكره |
| وأخا الوزارة لم يزل مترجفا | مما يلاقي من نوائب دهره |
| وكذلك السلطان في أحكامه | رهن الهموم على جلالة قدره |
| والله لو عاش الفتى من عمره | ألفا من الأعوام مالك أمره |
| متلذذا فيها بكل نفيسة | ومبلغا فيها مآرب فخره |
| لا يعرف الأسقام فيها مرة | كلا ولا تجري الهموم بفكره |
| ما كان ذلك كله مما يفي | بمبيت أول ليلة في قبره |

**نصيحة ابن السماك لأمير المؤمنين الرشيد:**

دخل ابن السماك[4] على أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك نيرانا تتأجج[5]، قد أضرمها حجابك، وأنت مسئولُ عنها، فاتق الله يا أمير المؤمنين، ولا تصلح دنياك بفساد آخرتك.

يا أمير المؤمنين: إن عمالك قد اتخذوك سلما، للتوصل إلى شهواتهم، فأنت كالماسك قرن الشاة، وهم الحالبون، وأنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا، يا أمير المؤمنين والله لو أن قميصا، من ملبوس أهل النار، أُلقي في الأرض، لصارت الأرض وما فيها، من جبال، وبحار، وأشجار، جمرة حمراء، فكيف بمن لبس ذلك القميص؟

---

[1] - جمران في (ج) و (د)

[2] - إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخْمَص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم . أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٠٠/٥ ، رقم ٦١٩٤) ، باب صفة الجنة والنار.

[3] - أوكارها في (ب) و (ج) و (د). لم أتمكن من معرفة الشاعر.

[4] - ابن السماك، محمد بن صبيح العجلي أبو العباس مولى بني عجل (ت ١٨٣هـ) ، سيد الوعاظ، وعظ الرشيد يوماً قائلاً: إن لك بين يدي الله موقفا فانظر أين منصرفك، إلى الجنة أم النار ؟ فبكى الرشيد حتى كاد يموت. أنظر سير أعلام النبلاء ٣٣٧/١٥ ، حلية الأولياء ٢٠٣/٨

[5] - الأجيج : تلهب النار وتئج وتؤج أجيجاً إذا سمع صوت لهيبها. لسان العرب ٢٣/١

يا أمير المؤمنين: والله لو ظهر من النار مقدار أنف ثور بالمشرق، ورجل بالمغرب، لسال دماغه من شدة حرها.

يا أمير المؤمنين: إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة، فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا وجثى على ركبتيه.

يا أمير المؤمنين: إن اشد الناس عذاباً يوم القيامة، رجل أتاه الله حكماً فجار في حكمه، ولم يعدل في رعيته.

يا أمير المؤمنين: أين من سبقك من الملوك الذين لم تكن همتهم[١] إلا نشر العدل في الرعايا، وإفشاء[٢] المحامد وسد الثغور، وإتقان القناطر والجسور، وأمن السبل والتقرب إلى الله تعالى بفعل الخيرات، وإزالة المنكرات، بما آثاره باقية إلى الآن.

أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها [وعمروا القصور وزخرفوها][٣] ؟ فو الله أنهم قد أصبحوا رهن أعمالهم في ظلمات القبور، إلى يوم البعث والنشور، متأسفين على ما فرطوا في هذه الدار، وعلموا وتحققوا[٤] أنما هي[٥] دار البوار، فطوبي لمن نظر فيها بعين الاعتبار، فتفكر يا أمير المؤمنين فيما حل بمن سبقك من ملوك الأقطار، فاستعذ بالله ممن ارتكب ببغيه وجوره منهم معظم الأوزار، أولئك جهنم يصلونها فبئس القرار، فتيقظ لنفسك يا أمير المؤمنين، واحذر عواقب[٦] التبعات، واستحلل[٧] ما[٨] استطعت مما[٩] اقترفت من المظالم الموبقات، وعامل رعاياك بما ترجو أن يعاملك به جبار الأرض والسموات.

---

[١] - هممهم في(ب) و (ج) و (د)
[٢] - واقتفاء في (ب)، واقتناء في (هـ)
[٣] - زيادة في (هـ)
[٤] - [وتحققوا] زيادة في (أ)
[٥] - أنها في (ج)
[٦] - عقاب في (ج)
[٧] - واستحلال في (ج)
[٨] - من في (ب) و (ج)
[٩] - بما في (ب) و (ج)

واعلم: أن وراءك طالب[١] حثيث مدركك[٢] لا محالة، وأنت سائر إليه لا تشعر، فالحذر الحذر من ارتكاب البغي والضلالة، فراقب في أفعالك وأوامرك ديان يوم الدين[٣]، واجتهد أن تكون يوم القيامة من الفائزين.

قال الله تعالى في محكم الكتاب المبين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أخذ حظه من الموعظة فقد هدي إلى الصراط المستقيم ومن لم يقبل النصيحة فليستعد للعذاب الأليم)[٥].

فكأني بك يا ملك الزمان وقد قدمت على ربك ووردت الموقف العظيم، ويداك مغلولتان إلى عنقك، فلا يفكها إلا عدلك وإنصافك، وإلا خبت وخسرت، وهلكت مع الهالكين.

فانتبه من غفلتك يا ملك الزمان[٦]، وعليك بمراقبة الملك العلام، فلا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك الآخرة[٧]، واعلم أن هذه الولاية ما وصلت إليك إلا بموت من كان قبلك، وستصل إلى غيرك بموتك، فلا تفرط في نفسك، وتزود من دنياك لآخرتك، واعلم أن العدل محمده في الدارين، فافتح لرعاياك باب رحمة وعدل، لينالوا من حسن سياستك نوع راحة وفضل. وملاك الأمر كله المشي على التقوى فمن تمسك بها فقد تمسك بالأقوى شعر:

عليك بتقوى الله سراً وجهرة　　فانك مسئول وربك عالم
ولا تخش إلا الله وارحم عباده　　فرحمته ذخر لمن هو راحم
وأحسن إلى من قد توليت أمره　　فان زال عنك الأمر فالأجر دائم
فما ضاع معروف وما[٨] خاب محسن　　وما نام مظلوم ولا ساد ظالم

---

[١] - طلب في (ب) و (ج)
[٢] - يدركك في (ب) و (ج)، حيث سيدركك في (هـ)
[٣] - القيامة في (ب) و (د)
[٤] - القصص /٨٣
[٥] - لم أقف على هذا الحديث في كتب الحديث المشهورة.
[٦] - الإسلام في (د)
[٧] - آخرتك في (ب) و (ج)
[٨] - ولا في (ب) و (ج) . لم أتمكن من الوقوف على قائلها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).

شعر :

أحسن إذا كنت ذو[١] غناء    فان دنياك مستعارة
ثم اختش تارة الليالى    فإنها تارة وتارة
وعامل الله في الرعايا    تجده من أربح التجارة
لعل تنجو من حر نار    وقودها الناس والحجارة

**الدنيا مزرعة الآخرة:**

واعلم يا ملك الزمان، أن الدنيا وان كانت فانية، فهي مزرعة للآخرة الباقية، ولتعلم أن الله سبحانه وتعالى ولاك هذه المزرعة، وعلق بأوامرك ما بها من ضرر ومنفعة، وحكّمَك في البلاد، وملّكك رقاب العباد، فإياك والخلل بنظام هذه الزراعة، أو تسلم زمام تدبيرها لمن يقابل أوامرك فيها بالإضاعة، فإن مصالح عسكرك بها منوطة، ونظام أحوال ملكك بالعساكر مربوطة، فإذا عمرت الضياع أخصبت غلة البلاد والبقاع، فاستراح الأجناد والرعية، واستمرت مواطن الملك مرعية، وقلّت المظالم، وكفت أكف الظالم.

وملاك الأمر كله العدل والاستوى، ومجانبة الأغراض الفاسدة والميل إلى الهوى، فهذا الذي يقتضيه مقامك، ويتم به مرامك، فإنما الملك إنما هو ملك بالأجناد، والنظر في مصالح العباد، وعليك بإلقاء مقاليد الأحكام للشرع الشريف، [وتفويض أمورها لحكام الدين المنيف، ومهما ثبت فيها بموجب الشرع الشريف][٢] فعليك النفاذ، فذلك أسرع إلى نجاتك غدا بين يدي رب العالمين والعباد.

فالواجب على ولاة الأنام[٣]، ومالكي أزفة[٤] الأحكام، أن يراعوا في أحكامهم أمر سلطان السلاطين، واستخلاص أداء[٥] حقوق عباده المستضعفين، وليعلموا أنهم غدا

---

[١] - ذا في (ج). لم أتمكن من الوقوف على قائلها.
[٢] - | وتفويض أمورها لحكام الدين المنيف، ومهما ثبت فيها بموجب الشرع الشريف| زيادة في (أ)
[٣] - الأمور في(ب) و (ج)
[٤] - أزمة في (ب) و (ج) و (د) و (هـ)
[٥] - |آداء| زيادة في (أ)

يعرضون على رب العالمين، يوم يسأل كل راع عن رعيته، وينكشف لكل امرئ عما كان في طويته، فالأمر كله لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**فيما ينبغي للملك اتخاذه من الوزراء:** فيجب على [الملك][١] أن يتخذ وزراء عقلاء، نصحاء، صلحاء، دأبهم الدين والتقى[٢]، متصفين بحسن التدبير، لا ينفرد واحد منهم بقول ولا فعل، إلا بعد المشاورة مع بعضهم بعضا، فإذا تشاوروا في ذلك، واتفق رأيهم على ذلك الفعل، فلا يقدم الكبير منهم على عرض ذلك للملك إلا بعد الاستخارة أيضا، فإنه (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار)[٣].

والحذر الحذر أن يكون بينهم تحاسد، أو تباغض، أو شحناء، فإنهم إذا كانوا بهذه الصفات[٤] أدى ذلك إلى صلاح الملك، [فينبغي أن لا يخرج الملك][٥] عن رأيهم، ولا ينفذ أمرا إلا بمعرفتهم، ولا يستبد[٦] برأيه دونهم.

قال بعض الحكماء: إن من القواعد الكسروية الدائرة بين البرية، ما وضعه[٧] بعض الملوك، وجبل من بعده فيه على السلوك، أن يكون للملك وزراء عقلاء[٨]، فصحا نصحا[٩]، أتقياء، متصفين بغزارة الدين والعفة، وعدم الطيش[١٠] والخفة، وينبغي أن يكون الوزير صحة[١١] ملك ملكه، أحب إليه من صحة[١٢] جسمه.

وان يقدم مراد الملك على مراده، بصحة[١٣] التدبير، وحسن السياسة، وان يتعهد الرعايا كتعهده إماطة فضلات نفسه، وليحرص أن يقع في مملكة أستاذه أدنى خلل، أو يظهر فيها أدنى عيب، وليحذر مصادقة أعداء الملك، أو معاداة أصدقائه،

---

[١] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٢] - وأتقياء في (ب) و (ج)

[٣] - حديث ضعيف تقدم في ص ٧٣

[٤] - كلمة الصفات جاءت في المتن بالتاء المربوطة (الصفاة) وتم تصحيحها في جميع مواضعها.

[٥] - زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - ينفرد في (هـ)

[٧] - وصفه في(ج) و (د)

[٨] - وحكي أن المأمون كتب في اختيار وزير إني التمست لنفسي وتدبير أموري رجلا جامعا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن ائتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه. أنظر: المنهج المسلوك للشيزري، تحقيق على عبدالله الموسى ٢١٣/١

[٩] - زيادة في (ب) و (ج)

[١٠] - البطش في (ب) و (ج)

[١١] - صحبة في (ب) و (ج)

[١٢] - صحبة في (ب) و (ج)

[١٣] - بصحبة في (ج)

ويجتهد في صيانة عرض ملكه، ولا يدخر عنه نصيحة، فإذا كانوا بهذه الصفات فلا يخرج الملك عن رأيهم.

قال الحكماء: من ظن من الملوك أن له فطنة تزيد على فطنة وزيره فقد غلط، وإذا أضاف لذلك الغلط مخالفة الوزير في رأيه لم يفلح، هذا[١] إذا كان الوزير عاقلاً، تقياً، نقياً، عفيفاً، عارفاً، فاضلاً، مدبراً، سيوساً.

قال العارفون: يُستدلُ على إدبار الملك بأشياء:

أحدها: تقليد الوزراء الأحداث، ومن لا خبرة له في الأمور، وعدم التأمل في عواقب الأمور.

ثانيها: أن يقصد أهل مودته بالإيذاء.

ثالثها: استهانته بنصائح العقلاء .

رابعها: أن يكون تقريبه وإبعاده[٢] بالهوى.

خامسها: أن ينقص خرجه، عن مؤنة أتباعه[٣].

قال الحكماء العارفون بالله: الرأي يفسده ثلاثة أشياء: أن يكون الوزراء متحاسدون، أو يعدل الملك عن رأيهم مع اتصافهم بالصفات الحميدة، ويستبد برأيه دونهم، أو يملك التدبير من كان غائبا وأبوا أن ينتظروه.

والحذر أن يكون الوزير[٤] قصده من منصب الوزارة جمع الحطام يغتنمه، فإن ذلك سبب الشقاء، بل تكون همته بذل الجد والجهد، في إدامة نعمة ملكه، التي هي سبب نعمة الوزير.

((وينبغي للوزير أن لا يخفى عن أستاذه نصيحة، وأن يساعد عنده[٥] على الحق المحض بما تصل[٦] إليه قدرته، ولو في حق عدوه، فما أقبح فعل من كان له قول نافذ عند ولي الأمر[٧]، ورأى مظلوما يستغيث فقام يصلي، وترك المظلوم يتخبط في

---

[١] - |هذا| زيادة في (أ)
[٢] - وتبعيده في (ج)
[٣] - اخراجه عن مودته أتباعه في (هـ)
[٤] - |الوزير| زيادة في (أ)
[٥] - عبده في (د)
[٦] - ما اتصلت في (ب) و (ج)
[٧] - أمر في (ج)

ظلمه، فلم يناصره، وهو قادر على إنجاده، والمظلوم لا يجد له منجدا[١] ولا معينا، فذاك الذي صلاته وبال عليه، وهو مطالب يوم القيامة لعدم مناصرته له، وتفريطه في عدم مناصرته لذلك المظلوم سواء قبل ذلك منه أو لا، فإذا ناصره ولم يقبل منه ذلك كان عذرا له عند الله تعالى، وكان مُثابا على ذلك، وبريء من المطالبة بذلك))[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[٣] ومعنى ذلك: إن كان ظالما ترده عن ظلمه.

قال نوشروان لولده: أكرم وزيرك، وإياك أن تخرج عن رأيه، فإنه إذا رآك على ما لا يجوز لا يوافقك[٤] عليه، هذا إذا كان الوزير متصفاً بتلك الصفات الحميدة، فلا تجوز مخالفته البتة[٥]، والله تعالى اعلم.

---

[١] - ناصرا في (ب) و (ج)
[٢] - أنظر: كتاب معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبدالوهاب السبكي، تحقيق محمد النجار وآخرين ط٢ ناشر مكتبة الخانجي بمصر ١٤١٣هـ ص ٣٧-٣٨
[٣] - صحيح مسلم (١٩٩٨/٤ ، رقم ٢٥٨٤) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً. صحيح البخاري (٨٦٣/٢ رقم ٢٣١١ – ٢٣١٢) ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً. ومعنى الحديث إن يكن ظالماً فاردده عن ظلمه وإن يكن مظلوماً فانصره. لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصرة وإن كان مظلوما فلينصره.
[٤] - يوافق في (ج)
[٥] - له في (ب) و (ج) . (والبتة معناها: لا رجعة فيه. أنظر لسان العرب ٦/٢)

**الباب الرابع : في فوائد ومنافع وخواص صحت بالتجربة:** جمعتها من كتب الإمام الجليل أبي العباس أحمد البوني[١] وغيره يحتاج الناس إليها[٢]، وأشد الناس لها[٣] احتياجاً ولاة الأمور، فأقول[٤]:

قال الإمام أحمد البوني أربع آيات، من أربع سور متواليات، [في[٥] كل آية منها عشر قافات[٦]][٧]، فيها من الأسرار ما لا يكاد أن يحصر[٨].

**الأولى:** في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٩].

**الثانية:** في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ *ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١٠].

**الثالثة:** في سورة النساء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[١١].

**الآية الرابعة:** في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١٢].

---

[١] - أحمد بن علي بن يوسف أبوالعباس البوني ، متصوف مغربي الأصل نسبته إلى بونة بشمال أفريقية ومن كتبه شمس المعارف، توفي بالقاهرة (ت ٦٢٢هـ). أنظر الأعلام ١٧٤/١

[٢] - لها في (ب) و (د)

[٣] - إليها في (ب) و (ج)

[٤] - فأول فائدة في (ج)

[٥] - يقرأ في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - مرات في (ب) و (ج) و (د)

[٧] - كل آية منها تقرأ عشر مرات في (ب) و (ج) و (د)

[٨] - يوصف في (ب) و (ج) و (د)

[٩] - البقرة /٢٤٦

[١٠] - آل عمران /١٨١ ــ ١٨٢ ، الآية رقم (١٨٢) زيادة في النسخة (أ) وهي خارجة من عد حرف القاف.

[١١] - النساء /٧٧

[١٢] - المائدة /٢٧

قال الإمام البوني رحمه الله تعالى إذا أراد احد من ولاة الأمور أن يقاتل قوماً وآن وقت دخوله في الحرب، وقصد الظفر عليهم بمعونة الله تعالى، فليتوضأ ويصلي ركعتين، ثم يلتقط من الأرض سبع حصيات، بقدر الحمص، كل حصاة يلتقطها بحرف من حروف [فقج مخمت][١]، ثم يضعها في راحة كفه[٢] اليسرى ويأخذ منها حصاة واحدة بيده اليمنى، فيتلوا عليها الآية الأولى عشر مرات ثم يرفع يده اليمنى بالحصاة الواحدة التي قرأ عليها عشر مرات فيقول: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ﴾[٣] ويحذفها أمامه.

[ثم يأخذ من كفه اليسرى حصاة ثانية بيده اليمنى، فيتلوا عليها الآية الثانية، عشر مرات ثم يرفع يده ويقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ﴾[٤] ثم يحذفها خلفه][٥].

ثم يأخذ من كفه اليسرى حصاة ثالثة بيده اليمنى، فيتلوا عليها الآية الثالثة عشرا، ثم يرفع يده ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ﴾[٦] ويحذف الحصاة عن يمينه.

ثم يأخذ بيمينه من يساره حصاة رابعة فيتلوا عليها الآية الرابعة، عشر مرات ثم يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا﴾[٧] ويحذفها عن يساره. يتأخر[٨] في يساره ثلاث حصوات[٩] يضعها[١٠] في رأسه ويدخل المعركة فلا يجرح ولا يناله شيء من السوء مطلقاً بعون[١١] الله تعالى.

---

[١] - (فقج مخمت) لم أعرف المقصود منها، ويغني عنها دعاء (شاهت الوجوه).. وكلام البوني ليس بالحديث ولا الأثر وفيه أشياء غير معلومة ووقفه في الآيات وقف قبيح.

[٢] - كف يده في (ب) و (ج)

[٣] - البقرة /١٨ الوقف قبيح، والآية كاملة هي: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾. يرجعون جاءت في النسخة محرفة (يحدثون).

[٤] - المؤمنون /١١٥ الوقف قبيح، والآية كاملة هي: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[٥] - الفقرة بكاملها زيادة في (ب) و (ج) و (د)

[٦] - يس /٩ الوقف قبيح، والآية كاملة هي: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾

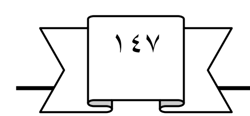
[٧] - الرحمن /٣٣ الوقف قبيح، والآية كاملة هي: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

[٨] - الصحيح (يؤخر)

[٩] - حصيات في (ب) و (ج) و (د). الحَصَى صِغارُ الحجارة الواحدةُ منه حَصاة وجمعها حَصَيات وحَصىً وحُصِيٌّ وحِصِيٌّ. أنظر: لسان العرب ١٨٣/١٤

[١٠] - يضعهم في (ج)

[١١] - بإذن في (د)




## الخاتمة

من خلال دراستي وتحقيقي لكتاب الشيخ القرافي (اللؤلؤ المنثور في نصيحة ولاة الأمور) تبين لي أن الكتاب كسائر كتب العلماء المسلمين، يحمل بين طياته ما فيه سعادة البشرية وذلك لاهتمامه بالأمور والقضايا التي تهم الإنسانية، ويتضح ذلك من خلال قضايا مهمة تناولها الكتاب ومنها:

١-اهتمامه بالعقل وضرورة المحافظة عليه.

٢-المحافظة على العدل الذي هو أساس الملك.

٣-حسن اختيار ولي الأمر وأن يكون عاقلا في ملكه، موفياً بعهده، صلباً في دينه، ومتفكرا متدبراً في رأيه.

٤-حسن اختيار الوزير وأن يكون وفياً، مخلصاً، ناصحاً، عاقلاً، وأميناً.

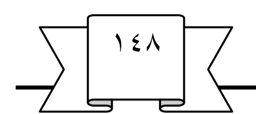
٥-يجب على الحكام الاهتمام بالرعية وتفقد أحوالهم وحل مشاكلهم خاصة عند وقوعهم في نائبة من نوائب الدهر كضيق معيشة وقحط وغلو أسعار وحروب وفتن، والاهتمام بمناحي الحياة المختلفة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والارتقاء بالدولة وتنميتها وعمرانها وسعادة أهلها.

٦-وجوب طاعة الرسل وأولي الأمر والتي قرنها الله بطاعته.

٧-حسن الخلق ونبذ الحسد والتباغض وتقديم النصح والمشورة وعدم الانفراد بالرأي.

٨-الاحتكام لشرع الله، والتأني والتثبت في الأمور قبل إصدار حكم فيها واتخاذ قرار بشأنها والبعد عن المحاباة والهوى، وعدم تولية الكافرين على المسلمين.

ألّف وخلّف علماء المسلين كنوزاً من المخطوطات الإسلامية تناولت فنوناً مختلفة ولكنها تبعثرت في أنحاء متفرقة من العالم بعضها دمر وأحرق وأغرق، وقليل منها تم كشفه وصيانته وحفظه وتحقيقه ونشره. وكثير من هذه المخطوطات الإسلامية مجهولة ومفقودة و وبعضها جارت عليه عوامل الزمن كالأرضة والأمطار وسوء الحفظ وتحتاج إلى تعقيم وترميم، لذا أوصي المنظمات




والجامعات والمعاهد ومراكز البحث ذات الصلة نفض الغبار عن هذه الكنوز الثمينة بحصرها وجمعها وحفظها وتعقيمها وترميمها وتصويرها وتحقيقها ونشرها حتى يمكن الاستفادة منها في خدمة الإنسانية والباحثين والبحث العلمي.

ختاماً أحمد الله الذي وفقني لإتمام هذا البحث، وأرجو أن أكون قد وفقت لما قصدت، وسددت أو قاربت، وحسبي أني قد بذلت جهدي ولم آل، وأنا على يقين تام أن التقصير حاصل، والخطأ لا ينفك عنه الإنسان، والمنصف من اغتفر خطأ المرء من غير قصد، وتقدير صوابه فيما بذل من جهد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

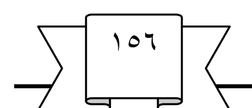
## فهرس الآيات القرآنية حسب ورودها في القرآن الكريم

# فهرس الأحاديث

# فهرس الأعلام

## فهرس المصادر

١. أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته، رواية أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عيلان، الناشر مؤسسة الرسالة، سنة النشر ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ، مكان النشر بيروت / سورية.
٢. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر دار البشائر الإسلامية، سنة النشر ١٤٠٩ - ١٩٨٩، مكان النشر بيروت.
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، الناشر دار إحياء التراث العربي، سنة النشر ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، مكان النشر بيروت - لبنان.
٤. الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، خيرالدين الزركلي، بيانات النشر : دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠
٥. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، المؤلف : محمد دياب الإتليدي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز سالم
٦. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف المعلم رفعت بيلكه الكليسي ، منشورات مكتبة المثنى بغداد
٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، الناشر دار الجيل، سنة النشر ١٤١٢ - ١٩٩٢، مكان النشر بيروت.
٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، العلامة محمد بن علي الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق بلا، الناشر دار المعرفة، سنة النشر بلا، مكان النشر بيروت.
٩. التاريخ الكبير، المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار الفكر، تحقيق : السيد هاشم الندوي.
١٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مكان النشر حيدر أباد/ الهند.




١١. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، لمؤلفه: علي محمد محمد الصلابي، الناشر : دار الإيمان بالإسكندرية، تاريخ النشر : ٢٠٠٣م.

١٢. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، لمحمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة – السعودية – المدينة المنورة .

١٣. الحلم : لابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان أبو بكر، الناشر: مؤسسة الكتب، الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطاء.

١٤. الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر المكتب الإسلامي ، دار عمار، سنة النشر ١٤٠٥ – ١٩٨٥، مكان النشر بيروت .

١٥. السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، لأبي بكر بن أحمد بن أبي بكر، باعلوي (ت ١٠٥٣هـ)، مخطوط توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٦– تاريخ، وصورة منها بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٢٩٦٣–ف

١٦. الصمت وآداب اللسان، المؤلف : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبيس الدنيا أبو بكر، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق : أبو إسحاق الحويني.

١٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق، الناشر منشورات دار مكتبة الحياة، سنة النشر، مكان النشر بيروت.

١٨. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق ، الناشر دار صادر، سنة النشر ، مكان النشر بيروت.

١٩. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، المؤلف : أبو الحسن علي بن عُمَر ابن أحمد بن مهدي الدارقطني، (٣٠٦ – ٣٨٥ هـ)، الناشر : دار طيبة الرياض – شارع عسير، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م، تحقيق وتخريج : د. محفوظ الرحمن زين الله

٢٠. الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إلكيا (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، مكان النشر بيروت.

٢١. الزهد الكبير، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، سنة النشر ١٩٩٦، مكان النشر بيروت.

٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار الناشر : دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة : الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

٢٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي،، تحقيق، الناشر منشورات دار مكتبة الحياة، سنة النشر، مكان النشر بيروت.

٢٤. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر مكتبة الزهراء، سنة النشر ١٤٠٤ – ١٩٨٣، مكان النشر الموصل.

٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٢٦. المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، المؤلف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩، تحقيق : كمال يوسف الحوت.

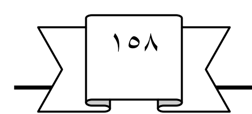
٢٧. المخصص ط١: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، المعروف بابن سيده، نشرته: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، تحقيق: خليل، إبراهم جفال.

٢٨. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر دار الحرمين، سنة النشر ١٤١٥، مكان النشر القاهرة.

٢٩. المعجم الوسيط ، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

٣٠. معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، احمد بن عبدالله بن احمد، تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان، ناشر مكتبه الدار بالمدينة المنورة ١٩٨٨/١٤٠٨.

٣١. المستدرك على الصحيحين، المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص.





٣٢. المستطرف في كل فن مستظرف مجلدين، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مكان النشر بيروت.

٣٣. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف : الدكتور جواد علي، الناشر : دار الساقي، الطبعة : الطبعة، الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٤. الكبائر، المؤلف : محمد بن عثمان الذهبي، الناشر : دار الندوة الجديدة – بيروت.

٣٥. المغرب في ترتيب المعرب، المؤلف : أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز، الناشر : مكتبة أسامة بن زيد – حلب، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار.

٣٦. الكنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق، أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر دار ابن حزم، سنة النشر ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، مكان النشر بيروت/ لبنان.

٣٧. الكواكب السائره باعيان المئة العاشرة، محمد بن محمد بن محمد ، نجم الدين الغزي، جبرائيل سليمان جبور ؛ محقق، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩ ، الطبعة ٢

٣٨. المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، (ت ٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر مكتبة السنة، سنة النشر ١٤٠٨ – ١٩٨٨، مكان النشر القاهرة.

٣٩. المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر بن عبد الرحمن الشيزري (ت ٥٨٩هـ)، تحقيق علي عبد الله الموسى، الناشر مكتبة المنار، سنة النشر ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، مكان النشر الزرقاء.

٤٠. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي (ت ١٠٣٧هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٠٥، مكان النشر بيروت.

٤١. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، سنة النشر ١٤١٣ – ١٩٩٢، مكان النشر المدينة المنورة.

٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

٤٣. تاريخ الخلفاء، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر : مطبعة السعادة – مصر، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد.
٤٤. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، الناشر دار النفائس، مكان النشر بيروت.
٤٥. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، الناشر : دار الجيل – بيروت.
٤٦. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٩٩٥، مكان، النشر بيروت.
٤٧. تزيين الأسواق، المؤلف : داود بن عمر الأنطاكي الضرير، دار النشر : عالم الكتب – بيروت / لبنان – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣ .، الطبعة : الأولى، تحقيق : د . محمد التونجي.
٤٨. تفسير ابن عرفة: لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، الناشر: مركز البحوث بالكلية، الزيتونية – تونس – ١٩٨٦م، الطبعة : الأولى، تحقيق: د. حسن المناعي
٤٩. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، المؤلف / أبو عبد الله القلعي، دار النشر مكتبة المنار – الأردن الزرقاء، الطبعة : الأولى، تحقيق : إبراهيم يوسف – مصطفى عجو
٥٠. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة : الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
٥١. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة الأولى، محمد أبو الفضل، إبراهيم.
٥٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥.
٥٣. خزانة التراث، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض
٥٤. درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية، سنة النشر ١٤١٨/١٩٩٨هـ، مكان النشر بيروت.

٥٥. ذخيرة الحفاظ، محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق د.عبد الرحمن الفريوائي، الناشر دار السلف، سنة النشر ١٤١٦هـ -١٩٩٦م، مكان النشر الرياض

٥٦. ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الناشر، سنة النشر ١٩٦٢، مكان النشر .

٥٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي (ت ١١١١هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، مكان النشر بيروت.

٥٨. سنن ابن ماجه، المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، الناشر : دار الفكر - بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٥٩. سنن أبي داود، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت.

٦٠. سنن أبي داود، المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، مصدر الكتاب : وزارة الأوقاف المصرية .

٦١. سنن البيهقي الكبرى، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

٦٢. سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت - التحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط الطبعة.

٦٣. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، الناشر عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكان النشر بيروت - لبنان.

٦٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ابن العماد) (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر دار بن كثير ، سنة النشر ١٤٠٦هـ، مكان النشر دمشق. ١٠

٦٥. شعب الإيمان، المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

٦٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، .

٦٧. صحيح البخاري ( الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق وتعليق : د. مصطفى ديب البغا .

٦٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٩. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المؤلف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، المحقق : إحسان عباس، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت ص. ب: ٥٧٨٧/١١٣، الطبعة : ٢ ، ١٩٨٢ .

٧٠. فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس بواشنطن، صلاح الدين المنجد، ناشر: دارا لكتاب الجديد، مؤسسة النشر والطباعة – بيروت ١٩٧٩م.

٧١. فهرس المخطوطات المصورة في الأدب والبلاغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وضعه: عبدالرزاق حسين، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٧٢. فهرس دار المخطوطات بصنعاء – اليمن

٧٣. فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية بالجزائر، الجزائر

٧٤. فهرس مخطوطات جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض

٧٥. فهرس مخطوطات مكتبة رفاعة رافع الطهطاوي، يوسف زيدان، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م

٧٦. قضاء الحوائج، المؤلف : عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا أبو بكر، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم.

٧٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المؤلف : العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، الناشر : دار إحياء التراث العربي.

٧٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق ، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٣ – ١٩٩٢، مكان النشر بيروت.

٧٩. لسان العرب، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط١، الناشر : دار صادر – بيروت.

٨٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ.
٨١. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، المؤلف : يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى : ٩٠٩هـ)، المحقق : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م .
٨٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط .
٨٣. مسند الشهاب، المؤلف : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.
٨٤. مصارع العشاق، المؤلف : أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني السراج القارئ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، أحمد رشدي شحاته.
٨٥. مصنف عبد الرزاق، المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.
٨٦. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، تأليف: محمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٩٩٠م/١٤١٠هـ.
٨٧. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد احمد دهمان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠/١٩٩٠
٨٨. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر : دار الفكر – بيروت.
٨٩. معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربيه، عمر رضا كحاله، بيروت، دار احياء التراث العربي ، ١٩٥٧-١٣٧٦
٩٠. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، المؤلف : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالحي، دار النشر : درا الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة : الأولى، تحقيق : خليل المنصور.

٩١. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامري الخرائطي، المتوفى عام ٣٢٧هـ، تحقيق ودراسة الدكتور / عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري، طبعة مكتبة الرشد سنة ٢٠٠٦ م.

٩٢. نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة

٩٣. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف - استانبول سنه ١٩٥١، أعادت طبعه بالاوفست دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

Paris National Library, Catalogue de Manuscrits Arabes, pa M. Le Baron de Slane, Paris, Imprimerie Natioale, 1883 - 1895

Arabischen Litteratur, von Carl Brockemann, Cppyright 1943 by E. J. Brill, Leiden, Netherlands

## فهرس الموضوعات